شبكة الطريق إلى الله
طريقك نحو معرفة الله
Way2allah.com

سلسلة: فقه الدعوة

لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: فضل الدعوة
من سلسلة: فقه الدعوة
لفضيلة الشيخ: د. أحمد سيف

فضل الدعوة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

إن شاء الله النهاردة يا جماعة هنتكلم على فضل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ومعنى الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

بدايةً لا يخفى أن الدعوة شرف عظيم، وقيمة من القيم العظمى في هذا الدين، يعني صراع الحق والباطل صراع مستمر دائم، الله –سبحانه وتعالى– خلق الإنسان وعلم الإنسان البيان، خلق الإنسان وعلمه البيان، علمه كيف يبين ما بداخله، يعني من الحاجات السيئة إنك تتعامل مع شخصية لا تبين ما بداخلها، مانتاش عارف توصل هو زعلان هو فرحان هو مبسوط هو متضايق، هو عايز إيه، هو مش عايز إيه، مش عارف، أفهم لوحدك. يعني إيه أفهم لوحدي؟ ما أنا مش فاهم.

فربنا –سبحانه وتعالى– علم الإنسان البيان، أول البشر آدم –عليه السلام–، خلق الله آدم بيده، يبقى هل الأصل كان في هذه الأرض كان الإسلام ولا كان الكفر؟ الأصل في هذه الأرض كان الإسلام.

أول من خلق الله –سبحانه وتعالى– من البشر كان آدم –عليه السلام–، وسيدنا آدم كان نبي، فهنا أصل الإنسان كان على الإسلام، أصل الإنسان كان على التوحيد، أصل الإنسان كان على معرفة الله –سبحانه وتعالى–، وتعظيم الله –سبحانه وتعالى–، ثم بعد ذلك تناسل آدم وحواء وخرجت ذرية آدم وحواء، وبدأ يحصل الصراع على الحق والباطل، والشياطين اجتالتهم عن دينهم وبدأت تغير معالم الدين، وبدأت تغير أفكار الناس وتصورات الناس وعقائد الناس ومعاملات الناس، وبدأت تلعب على نفوس الناس على الحسد والحقد والكبر والكذب وأمراض القلوب، وبدأت تدخل شهوات وبعد كده تدخل شبهات، فبدأ الإنسان يتغير عن مساره الطبيعي وبدأ الإنسان ينحرف عن الهدف الذي لأجله خُلِق. الله –سبحانه وتعالى– خلق الإنسان لكي يعبده –سبحانه وتعالى– على إرادة، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– أراد إن الإنسان يعبد ربنا –سبحانه وتعالى– وهو حر يختار ما يشاء.

فجعل الله –سبحانه وتعالى– للإنسان إرادة حرة "إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" البلد:١٠، هو كل إنسان هو حر في اختياره، فلما بدأ يحصل نوع من أنواع اندثار الحق، بعث –سبحانه وتعالى– نبي وراء نبي، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: بعث الله مائة وأربع وعشرين ألف نبي، مية أربعة وعشرين ألف نبي بعثهم الله –سبحانه وتعالى– دعاة إلى هذه الكرة الأرضية؛ إلى هذه الأرض.

ربنا –سبحانه وتعالى– قص علينا في كتابه الكريم بضعًا وعشرين نبي في القرآن الكريم، معظمهم كانوا أنبياء الشرق الأوسط، يعني تقريبًا كل الأنبياء اللي ربنا –سبحانه وتعالى– ذكرهم في كتابه الكريم من ١٢٤ ألف نبي تقريبًا ستة وعشرين نبي غالبهم بعثوا في الشرق الأوسط في

الجزء الموجود فيه العرب، اللي هو الشام وجزيرة العرب ومصر واليمن، هذه المنطقة هي التي ذكر فيها الأنبياء الذين ذكرهم الله –سبحانه وتعالى– في القرآن، بعثوا في هذا المكان؛ سيدنا داود وسليمان في الشام وسيدنا عيسى في الشام وسيدنا موسى في مصر وسيدنا محمد في جزيرة العرب، سيدنا إسماعيل في جزيرة العرب، سيدنا إبراهيم في العراق، سيدنا إسحاق ويعقوب في الشام ومصر، يعني تقريبًا كل الأنبياء الذين ذكرهم الله –سبحانه وتعالى– ذكرهم في هذه المنطقة.

١٢٤ ألف نبي بعثهم الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الكريم إلى هذه البشرية، إلى هذه البسيطة، ليهدي الناس إلى الحق في صراع الحق والباطل الصراع المستمر، كل ما الناس تبعد عن ربنا –سبحانه وتعالى– وتبدأ الناس تنحرف عن طريق الله –سبحانه وتعالى– وتبدأ أفكارها تتغير وتصوراتها تتغير وعقليتها تتغير وكل حاجة تتغير بعيدًا عن شرع الله –سبحانه وتعالى–، ربنا –سبحانه وتعالى– يرحم البشر فيبعث لهم نبي يعيد لهم أمر الدين، ويعلمهم ويبين لهم الحق من الباطل، فيؤمن مع هذا النبي مجموعة ويحارب هذا النبي مجموعة ويحصل صراع مرة أخرى، وهذا الصراع صراع مستمر إلى يوم القيامة، حتى كانت آخر بعثة؛ بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

كل نبي يا جماعة كان مسئول إن هو يدعو قومه بنفسه، يعني سيدنا إبراهيم كان بيدعو قومه بنفسه، سيدنا عيسى كان بيدعو قومه بنفسه، سيدنا موسى كان بيدعو قومه بنفسه، فكانت الدعوة مسئولية الأنبياء لأن هو كل نبي كان مسئول إن هو يدعو الناس؛ ربنا –سبحانه وتعالى– بينزل عليه الوحي عشان يعلمه حتى يدعو الناس هو بنفسه يدعو الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ولما مرت الأيام وكانت هناك الرسالة الخاتمة هذا القرآن العظيم وهذا الكتاب الجليل الذي بين يدينا، الله –سبحانه وتعالى– يعني آذِن في أن يرسل أفضل رسول بأفضل كتاب، اللي هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– بالقرآن الكريم، وميزة هذا الكتاب عن غيره أنه خطاب بدايةً للعالمين، يعني كل نبي بعث للناس خاصة لكن هذا القرآن خطاب للعاملين، يعني إيه العالمين؟ يعني كل من عاش على وجه الأرض من الإنس والجن، يعني هو القرآن خطاب للجن؟ آه خطاب للجن، خطاب للإنس؟ آه خطاب للإنس. طب ده كان في زمان النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ لا في كل زمان وكل مكان، طب ازاي هيكون في كل زمان وكل مكان والنبي –عليه الصلاة والسلام– هيعيش فترة محددة؟ لذلك كانت هذه الوظيفة العظيمة التي أذِن الله –سبحانه وتعالى– لهذه الأمة بها وفضل الله –سبحانه وتعالى– بها هذه الأمة: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ" آل عمران:١١٠.

وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظيفة الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وظيفة البيان، وظيفة التعليم.

خلينا نقول النهاردة لو جينا نعرف الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– بآية قرآنية واضحة قال تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" الجمعة:٢.

هنا ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر من وظائف النبي –صلى الله عليه وسلم– وذكر وظيفة النبي –صلى الله عليه وسلم– واضحة جلية قال: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ" تلاوة القرآن على الناس هذا من أعظم الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، إن واحد يكون بيقرأ القرآن على الناس، ده بيبلغ الناس، يبلغهم يعني ايه؟ يعني هو بيتلو الآيات فقط، سؤال: هو القرآن للعالمين ولا القرآن لنا احنا كمسلمين نفهمه احنا ونعيشه احنا وبعد كده بعد ما نفهمه ونعيش لأن احنا مؤمنين بيه، نبدأ نشرحه للناس؟ يعني فيه ناس كتير مثلًا لها صاحبتها ملحدة لها صاحبتها عندها شبهات لها صاحبتها النصرانية، له واحد زميله مش مؤمن بإله خالص، لما بييجي يكلمه تقول له كلمة بالقرآن يقول لك: لأ لأ هو أصلًا مش مؤمن بالقرآن، ما ينفعش أكلمه بالقرآن. أومال هتكلمه بايه؟ يقول لك أنا لأ أنا هكلمه بالعقل عشان أوصله لنقطة إن هو يفهم، لا لا. هنا خطأ؛ يا جماعة ربنا –سبحانه وتعالى– بعث النبي –صلى الله عليه وسلم–، وخاطب النبي –صلى الله عليه وسلم– بالقرآن، وخاطب كفار قريش بالقرآن، وخاطب العالمين بالقرآن، هنا من الحاجات المهمة أن المنطلق هو القرآن، أن "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ" يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كان منهم، كلمة منهم دي فكرتها إيه؟ فكرتها إن هم "يَعْرِفُونَهُ

"كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" البقرة:١٤٦، إن هم عارفينه وعارفين نسبه وعارفين أصله وعارفين فصله وعارفين أخلاقه وعارفين معاملته، فبالتالي لما ييجي يقول لهم كلام هم بالنسبة لهم مش هيقولوا ده واحد غريب واحد بيقول كلام ما نعرفوش، ده هم عارفينه كويس جدًا، فهنا ده ادعى في الصدق إن هم لما يقول كلام وهم عارفين صدقه قبل ذلك يبدأوا يصدقوه، وهم عارفين أخلاقه قبل ذلك يبدأوا يفكروا هو إيه اللي حصل طارئ على هذا الرجل؟ إيه اللي خلاه يتغير هذا التغيير؟ فيبدأوا يفهموا أن هناك تغيير حقيقي وأن هناك شيء حقيقي آمن به النبي –صلى الله عليه وسلم– كما قال الله –سبحانه وتعالى–: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ" البقرة:٢٨٥، فكان أول من آمن هو النبي –صلى الله عليه وسلم–.

يبقى يا جماعة من معاني الدعوة رقم واحد اكتبوا كده واحد: يتلو عليهم آياته يتلو عليهم آياته يتلو عليهم آياته، يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– يتلو القرآن على الناس هل ده من الدعوة؟ هل ده من وظائف الدعوة؟ آه دي من وظائف الدعوة التي كادت أن تندثر، إن واحد يتلو القرآن على الناس، إن واحد يُسمِع الناس آيات الله –سبحانه وتعالى–، بس كده من غير ما يفسر من غير ما يوضح من غير ما يبين من غير ما يقعد يحكي قصص من غير ما يقول أمثلة قبل وأمثلة بعد؟ لا فقط يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ هذه وسيلة الدعوة الرئيسية، واحد يبلغ الناس الآيات القرآنية، الناس دي مين؟ الناس دي: العالمين، الناس دي كل حد في العالم، الناس دي فقير وغني وكبير وصغير وعالم وجاهل، وصاحب حسب ونسب وصاحب منصب في المجتمع وواحد ملوش أي منصب ولا له أي قيمة عند كثير من الناس، وواحد عبد وواحد حر، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يتلو على الجميع آياته.

وَيُزَكِّيهِمْ هي النقطة الثانية من معاني الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– معاني التزكية. معاني التزكية يعني ايه؟ يعني واحد مهتم بتزكية الناس، وتزكية دي لفظ شرعي يا جماعة مهم جدًا "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" الأعلى١٤:١٥، "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا" الشمس٩:١٠، "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" التوبة:١٠٣، "قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ" النور:٣٠.

ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر التزكية وذكر معنى التزكية؛ التزكية في العبادات والتزكية في "قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى"، التزكية في الذكر، التزكية في الصلاة، التزكية بالزكاة، التزكية بالصدقة والإنفاق، التزكية بغض البصر، فيه معاني كتير للتزكية ممكن نبقى نتكلم مرة عن التزكية لكنها أيضًا وظيفة من وظائف الأنبياء، التزكية غير التربية؛ التربية معنى من المعاني أشمل، يعني التربية معنى أن أنت بتربي شيء يعني بتكبره على شيء ودي نقطة أساسية أيضًا من النقاط المهمة جدًا في تناول موضوع الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– أن يا جماعة التربية مش مسألة رد فعلية، مش مسألة إصلاحية لأخطاء الآخرين إنما مسألة إيجابية قيمية، يعني فيه فرق إن أنا بربي عن طريق إن أنا لما ألاقي الولد بيكذب أقول له ما تكذبش أو لما ألاقيه ما بيصليش أقول له صلي أو لما ألاقيه بيعمل حاجة غلط أصلحها له، ده نوع من أنواع التربية بالنقد تربية بإصلاح الأخطاء، لكن هناك معنى أعلى من هذا مسألة غرس القيمة نفسها، وده من الحاجات الأساسية الأصيلة التي جاء بها الشرع الذي بُعث بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، إن كان فيه قيمة بتظهر كده اسمها قيمة الصدق، فيه قيمة بتظهر كده اسمها قيمة الإنفاق، فيه قيمة بتظهر كده اسمها قيمة الإيثار، فيه معنى من المعاني مهم أصيل ربنا –سبحانه وتعالى– ذكره اسمه الشجاعة، إن فيه قيمة اسمها قيمة الحق، فيه قيمة اسمها قيمة العدل، ده بُيغرس في الناس ويفضل الناس تكبر عليه وتربى عليه. فيه قيمة اسمها قيمة الاجتماع، إن فيه قيمة اسمها قيمة الكبر ينبغي أن يُحَذَّر الناس منها، فيه قيمة اسمها قيمة الكذب، قيمة الغضب، فيه قيم، إن احنا بنغرس قيم عند الناس، ده يزكيهم، يعني إيه يزكيهم؟ يعني يربي ينمي الخير في داخلهم ويجعل هذا الخير متنامي ومتكاثر.

التربية معنى أعلى شوية من التزكية، التزكية يعني لها مجال لكن التربية أشمل لأن التربية لها مجالات كثيرة جدًا.

يبقى من معاني الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– معنى رقم واحد: يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ اللي هو تبليغ الدين، فقط دون أن يفسر دون أن يشرح دون أن يبين دون أن يفسر للناس المقصود، هو فقط أن هو يبلغ، عارفين أن فيه جماعة اسمها جماعة التبليغ دول يبلغوا الناس الدين، فقط هو بيمشي كده يكلم الناس عن ربنا ويقول للناس المفروض إن أنتم مثلًا تصلوا بس كده، فيه واحد بقى وظيفته إن هو هيتكلم عن فضل الصلاة وأهمية الصلاة ويحبب الناس في الصلاة ويقول للناس الأثر الدنيوي للصلاة وأثر البركة في الصلاة ويحذر الناس من عقوبة ترك الصلاة، ده معنى تاني، ده معنى الوعظ، تناول الأشياء المتقابلة تناول الجنة والنار تناول الخير والشر تناول الأبيض والأسود تناول الثواب والعقاب ده اسمه الوعظ، والوعظ ده من وظائف الدعوة هنيجي له حالًا.

يبقى يا جماعة من وظائف الدعوة أو من معاني الدعوة؛ تلاوة الآيات، من معاني الدعوة؛ التزكية والتربية على الخير، من معاني الدعوة؛ وَيُعَلِّمُهُمُ يعني لو واحد جلس يعلم الناس فقه الصلاة، لو واحد جلس يعلم الناس معنى الزكاة وفقه الزكاة، لو واحد جلس يعلم النساء فقه الحيض والنساء، واحد جلس يعلم الرجال فقه التجارات والبيوع، هل ده من الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ آه ده من الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

إن يا جماعة ده معنى ثالث؛ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ إن هو يعلمهم أحكام الكتاب، يعلمهم قيم الكتاب، يعلمهم الحدود الشرعية، يعلمهم الأوامر الشرعية.

يبقى من معاني الدعوة؛ البلاغ، من معاني الدعوة؛ التزكية والتربية، من معاني الدعوة؛ التعليم، التعليم دي مسألة مهمة جدًا ومجالس النبي –عليه الصلاة والسلام– في التعليم مجالس واضحة، وكان تعليم النبي –عليه الصلاة والسلام– تعليم خطير تعليم أسلوبه جميل. النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يعلم الناس بالتلقين والعمل يعني كان بيعلمهم وكان يعلمهم عملي؛ "كنا نحفظ القرآن عشرًا عشرا، وكنا لا نجاوزها حتى نعمل بها، فتعلمنا العلم والعمل معا" يعني كانوا بياخدوا العلم مُطبق؛ بياخدوا العلم ويطبقوه في الواقع، ياخدوا العلم وينزلوا يعيشوا به. وكانت الآيات بتنزل هم ياخدوا الآية ويعيشوا بها، فده من الحاجات المهمة جدًا إن ده من معاني الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

"وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" الحكمة هنا طريقة التنفيذ؛ سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–. إن ربنا –سبحانه وتعالى– علم النبي –صلى الله عليه وسلم–، الحكمة يا جماعة في اللغة هي فعل أفضل الأشياء بأفضل العلوم في أفضل وقت على أفضل وجه. يعني فيه واحد عنده حكمة في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وفيه واحد ما عندوش حكمة في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، حكمة في الدعوة أنه بيختار وقت كويس، بيعرف يكلم الناس امتى، بيعرف يكلم الناس يقول لهم إيه، بيعرف يكلم كل واحد بما يناسبه، بيكلم الراغب بالطريقة اللي هو ينفع إن هو يكلمه بيها، ويكلم المعرض بالطريقة اللي ينفع يكلمه بيها، مش هينفع خطاب الكبير زي الصغير، ولا خطاب العامي زي الجاهل، ولا خطاب المتعلم زي اللي ما بيعرفش يقرأ، ولا خطاب الإنسان اللي عنده شبهات، زي خطاب الإنسان اللي مسلم وجاي منقاد، ولا خطاب الإنسان اللي إيمانه عالي زي خطاب الإنسان اللي إيمانه على شفا حفرة، يعني هو عنده حكمة بيختار الوقت المناسب والكلام المناسب واللفظ المناسب واللبس المناسب اللي يقابل به الناس ويعرف هو بيقول إيه فين لمين، مش كله بيتقال قدام أي حد ومش كل حاجة بتتقال قدام أي حاجة هنا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.

إن هنا من معاني الدعوة الحكمة في الدعوة إن ربنا –سبحانه وتعالى– لما أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالدعوة قال: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" النحل:١٢٥، قال له وأنت بتدعو إلى الله أنت عندك القيم الشرعية هتدعوهم إلى إليه؟ هتدعوهم للوحي هتدعوهم إلى كلام الله هتدعوهم إلى أوامر الله –سبحانه وتعالى–، وتطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم– لهذا الكلام، طيب لكن ربنا –

سبحانه وتعالى– أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– إنه يستعمل في الدعوة؛ الحكمة والموعظة الحسنة. الحكمة ده اللي هو إنك أنت النبي –عليه الصلاة والسلام– أرفق الخلق وأعلم الخلق بالله وأكثر الناس عذرًا للناس، أكتر واحد بيعذر الناس وأكتر واحد بيرحم الناس وأكتر واحد حريص على الناس، يعني عارف هو ربنا –سبحانه وتعالى– يضمد جراح النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقول: "فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا" الكهف:٦، لإن ربنا بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام– أنت هتموت من كتر الحرص على الناس وعلى توصيل الهداية للناس.

فمن معاني الدعوة معنى البلاغ، رقم واحد: تلاوة القرآن وتلاوة الآيات على الناس، من معاني الدعوة؛ التزكية، من معاني الدعوة؛ التعليم.
ومن الأخطاء يا جماعة إننا نفصل بين هذه الأشياء وبعضها البعض على سبيل التناقض، يعني تلاقي مثلًا اللي بيعرف يعلم يبص للراجل اللي بيدعو إلى الله اللي هو بيبلغ الناس الآيات أو بيتلو الآيات على الناس إن ده يقول لك يا عم ده واحد ما بيفهمش حاجة هو ده ييجي إيه في اللي احنا بنعمله، واللي بينزل يكلم الناس يبص للراجل اللي بيعلم يقول لك يا عم ده فاهم حاجة ده واحد قاعد في المكتبة ما يعرفش أي حاجة عن أي حاجة ولا يعرف الناس عايشة ازاي احنا بنتعب واحنا بنبذُل واللي عايش في التربية والتزكية –خلينا نستعمل مصطلح التزكية أفضل لإن مصطلح التربية يعني يتناول كل هذا؛ يتناول الدعوة، يتناول التبليغ ويتناول التعليم لإن تربية طالب العلم تختلف عن تربية اللي بيشتغل في تلاوة الآيات، تختلف عن تربية اللي بيشتغل في الوعظ، كل ده اسمه يعني التربية لفظ كبير شوية لكن خلينا نستعمل مصطلح الآيات "يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ".
من الأخطاء إن احنا نفاصل بين هذه الأشياء أو نجعل هذه الأشياء كأنها متعارضة مع بعضها البعض. إنما هي أحيانًا مراحل وأحياناً متداخلة أن إنسان بيحتاج إلى وعظ وبيحتاج إلى إنه يسمع الآيات وبيحتاج إلى أن هو يعلم.

من يخاطب بالدعوة؟ الجميع مخاطب بالدعوة. يعني ينفع أنا أدعوكم؟ آه. ينفع أنتم تدعوني؟ كذلك آه. قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"[1] إن الكل بينصح والكل بيُنصح، مفيش حد فوق الدعوة الى الله –سبحانه وتعالى–.
يعني دعوة ربنا –سبحانه وتعالى– فوق الجميع، كلام الله –سبحانه وتعالى– فوق الجميع، ومفيش حد فوق الدعوة، كل الناس يحتاج إلى كلام الله –سبحانه وتعالى–، ويحتاج إلى سُنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

يبقى يا جماعة من معاني الدعوة؛ معنى تلاوة الآيات، معنى التبليغ، معنى التزكية، ومعنى التعليم. على فكرة أنا عايز أقول لكم إن ده تفنى فيه أعمار، يعني ممكن واحد يعيش عمره كله يُبَلِّغ، وممكن واحد يعيش عمره كله يُعلِّم، وممكن واحد يعيش عمره كله يزكي، وممكن واحد يعرف يعمل التلاتة مع بعض وهذا الذي فعله النبي –صلى الله عليه وسلم–.

من أساليب الدعوة الرئيسية وهنتكلم هيبقى لنا مجلس خاص عن أساليب الدعوة الحكمة والموعظة الحسنة.
من يُخاطب بالدعوة؟ الجميع مخاطب بالدعوة. من يدعو؟ الكل يدعو. هل للدعوة شروط؟ آه للدعوة شروط، قال –تعالى–: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" يوسف:١٠٨.

[1] صحيح مسلم

يبقى يقولوا شروط الدعوة؛ العلم، شروط الدعوة؛ العلم، شروط الدعوة؛ العلم، شروط الدعوة؛ الإخلاص، شروط الدعوة؛ الاتباع.

فيقولوا طب إيه العلم؟ العلم بإيه بالظبط؟ يعني أنا عشان ينفع اتكلم في آية، هل لازم أكون عندي علم في الآية؟ يقول له آه لازم يكون عندك العلم. يقول له طب علم زي مين يعني؟ زي الطبري مثلًا ولا زي ابن كثير؟ ما هو ابن كثير لما تكلم في الآية ما كانش عنده علم زي الطبري، والشيخ السعدي لما جه اتكلم في التفسير ما كانش عنده علم زي علم ابن كثير، يعني إيه شرط العلم ده؟ تقول له العلم المجمل بالآيات، وهيجي معنا واحنا بنتكلم في شروط الدعوة.

لكن عمومًا يبقى من معاني الدعوة يا جماعة معاني الدعوة واسعة جدًا ممكن معني الدعوة يصل إلى الدعوة للإسلام عمومًا.

إلى ما يُدعى الناس؟ يُدعى الناس إلى كل الإسلام مجمل الإسلام، ويُدعى الناس إلى تفاصيل الإسلام، يعني ينفع أدعو واحد إلى العقيدة؟ آه. ينفع أدعو واحد إلى الصلاة؟ آه. ينفع أدعو واحد إلى الشريعة؟ آه. ينفع أدعو واحد إلى الأحكام؟ آه. ينفع أدعو واحد إلى الأخلاق؟ آه. يعني ينفع من الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– إن أنا أدعو واحد إلى الصدق؟ آه، ينفع أدعو واحد إلى الصدق. ينفع أدعو واحد إلى الشجاعة؟ آه ينفع أدعو واحد إلى الشجاعة. ينفع أدعو واحد إلى الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ آه ينفع أدعو واحد إلى الدعوة إلى الله. طيب ما دي تفاصيل من تفاصيل الشرع، يبقى أنا ممكن أدعو الناس إلى معاني قلبية، ممكن أدعو الناس إلى عقائد، ممكن أدعو الناس إلى تصورات، ممكن أدعو الناس إلى أحكام، ممكن أدعو الناس إلى كل تفاصيل الشرع. يبقى ممكن أدعو الناس إلى الشرع مجملًا، ممكن أدعو الناس إلى الإسلام عمومًا؟ آه، ممكن أدعو الناس إلي الإسلام عمومًا. ممكن أدعو الناس إلى تفاصيل الإسلام؛ ممكن أدعو واحدة إلى النقاب، واحد إلى اللحية، ممكن أدعو واحد إلى الصلاة، ممكن أدعو واحدة إلى أنها تطيع زوجها، ممكن أدعو واحد إلى بر أمه، ممكن أدعو واحدة إلى أنها يكون عندها حياء؟ آه، كل ده من الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى يُدعى إلى أصول الإسلام، ويُدعى إلى تفاصيل الإسلام، لكن هنا محتاجين إن احنا يبقى عندنا الحكمة احنا بنكلم مين؟ وهنقول له إيه؟ لما هتيجي نكلم طالب علم مش هينفع تدعوه بنفس الأسلوب اللي هتكلم به واحد ما عندوش أي خلفية عن العلم. لما تيجي تكلم واحد على مستوى معين من الإسلام؛ يعني واحدة أسلمت جديد وأنتِ بتكلميها عن الدين بتختلف عن واحدة مسلمة عاشت في بلد مسلمة وقطعت أشواط في كثير من التعليم الديني وبعد كده هي فيه حتة معينة محتاجة إن هي تعرفها.

فدي نقاط مهمة في يعني تعريف الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– بعيدا عن التعريفات التنظيرية يعني الكتب للدعوة كتيرة جدًا ولعل إن شاء الله ممكن في مرة أخرى نتناول كتاب من كتب الدعوة، ونتناول تفاصيل ومصطلحات العلماء في التعريفات، لكن الواحد آثر في هذه الدورة إن هي تكون –لأنها طبعًا أنا مش عارف الناس أيضًا كلها ومش عارف الخطاب هيناسب الناس ولا مش هيناسبهم هل هيبقى يعني الواحد عامل سوء تقدير ولا الكلام مستواه يبقى يكون مش مناسب للجميع! يعني الواحد بيحاول بس يسبر أغوار المجموعة الأول لحد ما يعرف إيه اللي يناسب الناس بطريقة أفضل إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

فضل الدعوة إلى الله

طيب فضل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؛ لما كان الخير مش كيان اعتباري متحيز بذاته، إنما الخير ده مفهوم لابد أن يحمله مجموعة من الناس ويطبقه مجموعة من الناس ولابد أن يدعو إليه مجموعة من الناس، كان لزامًا لسيادة الحق أن يكون هناك صراع بين الحق والباطل، وأن يحمل الخير دعاة وهداة وجند وحزب، قال –تعالى–: "أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" المجادلة:٢٢، قال –تعالى–: "أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ" الأنعام:٩٠، قال –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" محمد:٧.

فربنا –سبحانه وتعالى– أمر المؤمنين أن ينصروا هذا الدين، وذلك بالقيام بالدين والدعوة إليه. فالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وجهاد أعدائه ويقصدوا بذلك وجه الله –سبحانه وتعالى–، وده من نصرة الدين دين الله –سبحانه وتعالى–.

الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– يا جماعة أمر شرعي ربنا –سبحانه وتعالى– أمر به الناس، ربنا –سبحانه وتعالى– قال للنبي –عليه الصلاة والسلام–: "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" النحل:١٢٥، ربنا –سبحانه وتعالى– أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– إن هو يدعو الناس.

قالوا الدعوة منقسمة إلى ثلاثة: دعوة بالحكمة، الموعظة الحسنة، الجدال بالتي هي أحسن.

قالوا: إن فيه واحد محتاج الموعظة؛ غالب الناس محتاج موعظة. محتاج موعظة يعني محتاج حد يكلمه عن الجنة والنار ويخوفه من الجنة والنار ويكلمه عن الحاجات اللي تخليه يعمل حاجة، يعني اللي بتشرب سجاير عارفة إن السجاير حرام اللي بيكلم بنت في الحرام هو عارف إن كلام البنت حرام، البنت اللي بتتفرج على حاجة حرام هي عارفة إن الحاجة حرام، لكن هي مشكلتها مش إن هي مش عارفة إن الفيلم اللي بتتفرج عليه ده وفيه مشاهد خليعة وفيه حاجات حرام إن ده حرام هي عارفة كويس، لكن هي ما عندهاش الوازع إنها تترك ده.

إن فيه كتير من الناس مشكلته مش مشكلة عقل ولا مشكلة إن المعلومة مش عنده، هي مشكلته إن هو قلبه ضعيف، إن هو إيمانه مش قادر يتحمل إن هو ياخد القرار، فهنا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ إن هو محتاج موعظة، محتاج يوعظ، محتاج حد يهز قلبه.

النقطة الثانية: الحكمة والموعظة الحسنة وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فيه بقى واحد عنده شبهات؛ ده نقطة تانية خالص عنده إشكال، حقيقةً عنده نوع من أنواع العقبة للفهم، فيه حاجة فيه فكرة تلقاها مخالفة للفكرة الرئيسية الأصلية اللي هو بيتلقاها الآن، فبالتالي هو عنده شبهة في هذا الكلام، إما مش محترم الموجود بيتكلم أصلًا وإما إنه بيحترمه بس هو عنده مشكلة في إن هو يسمع الكلام لإن فيه فكرة مضادة لهذا الكلام، وإما إن هو عنده فكرة مضادة بتعوق أو عنده حاجز نفسي أو عنده حاجز دنيوي يمنع أصلًا إن الكلام يدخل ويقع موقعه، فبالتالي هو عنده شبهة فمحتاج حد يحل معاه هذا الإشكال، يعني ممكن يكون واحد العائق أمام الدعوة بالنسبة له فلوس، هو أصلًا مش فاضي ومش شغل فبيقعد يجادل وبيعمل حاجات غريبة لكن هو حقيقة أمام معضلة رئيسية هي مسألة مادية حياتية بالنسبة له، ده عائق هو محتاج حد هنا يحل له هذا الإشكال وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

هو أنا قرأت على الشات الآن إيه الفرق بين التلاوة والبلاغ؟ التلاوة بلاغ، البلاغ له معنى خاص ومعنى عام؛ المعنى الخاص اللي احنا بنقول: "بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ" المائدة:٦٧، فهي تشمل كل هذا، معنى البلاغ العام إن هو إن كل ما قلناه يعتبر من البلاغ، وفيه بلغ اللي هو إن واحد ذهب يبلغ شيء يعني يأتي بخبر فيؤديه كما سمعه فبلغه لفلان، هنا ده هو بلغه فقط فلان ده يقبل ما يقبلش يرفض ما يرفضش لكن هو بلغه يقولوا البلاغ معنى أخص من الدعوة ليه؟ بلغ يعني وصل، فيقولوا يستنفذ فيه كل الجهود في البلاغ، يعني بيختار صوت حسن بيختار وقت حسن يحاول يوصل بكل طريق عشان الأمانة تؤدى كما أُمر بها.

طيب ازاي نحقق ده بشكل سليم للدعوة أونلاين؟ لا ده خلينا يا جماعة التطبيقات على الواقع أرجوكم خلينا نحاول نفهم، وبعد كده التطبيقات على الواقع جاية كتير، بلاش كل ما ناخد معلومة نحاول إن احنا نطبقها على الواقع الآن، لأ أنا عايزك تاخدي المعلومة وتحاولي بس تركزي فيها شوية وتحاولي تفكري فيها شويتين تلاتة وبعد كده هتجدي إن التنفيذ على الواقع بقى مسألة أبسط بكتير، يعني خلينا نخلص الدرس ونخلص الفكرة على بعضها وبعد كده نقدر ننزلها على الواقع، بدل ما كل معلومة نحاول ننزلها على الواقع لوحدها، لأن كده مبنى الأفكار

مش هيتبنى على بعضه، هيتبني كل فكرة خاصة لوحدها من الآخر كده الفكرة بتتشكل على حياتي أنا، أنا عايز ابني الفكرة على بعضها خلي حياتنا بعد كده هتتشكل على هذه الأفكار.

طيب عمومًا عشان برضه نجاوب ازاي أحقق ده بشكل سليم في الدعوة أونلاين؟ رقم واحد احنا اخترنا لنفسنا إيه؟ احنا بنفهم إيه؟ احنا نعرف نعمل إيه؟ احنا هنعرف نِدي إيه؟ احنا امكانياتنا في ده إيه؟ احنا محتاجين إيه؟ أنا بعرف أعمل إيه؟ هل أنا هخاطب كل العالمين؟ لأ أنا مش هعرف أخاطب كل العالمين لأن أنا مش النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، إن أنا هختار أنا إمكانياتي إيه ومهاراتي إيه وهستطيع إن أنا أبدأ منين وأبدأ ازاي، هشتغل على أي مرحلة؟ وهدفي من المرحلة دي إيه؟ وهدفي مع الناس دي إيه؟ بحيث إن أنا أقدر أرفع الناس خطوة من درجة لدرجة، هدفي إن أنا أوصل مفاهيم معينة من مفاهيم الوحي؟ طب إيه المفاهيم اللي أنا هاوصلها؟ هدفي إن أنا أبلغ دين ربنا –سبحانه وتعالى–؟ إيه في الدين اللي هوصله؟ هوصله ازاي؟ هوصله لمين؟ هدفي إن أنا عايز أنقل الناس دي من مرحلة لمرحلة أو من درجة لدرجة أو عايز أوصل قيم معينة؟ طب إيه القيم دي؟ طب أنتِ جبتيها منين؟ هتوصليها ازاي؟ فنقطة ازاي هادعو الناس أونلاين دي مسألة كبيرة قوي، فاحنا هنختار اللي احنا مستهدفينه وهنختار احنا عايزين نوصل لهم ازاي، وهنختار احنا هنبدأ معاهم امتى وهننتهي امتى، ونقطة هننتهي امتى دي نقطة مهمة أوي يا جماعة، يعني قبل ما تحددي نقطة البداية حددي نقطة النهاية، ودي نقاط أساسية أصيلة إن بلاش تسيبي نفسك في المفتوح، بلاش لأن ده مضيعة للأعمار ومضيعة للأوقات.

طيب كنا بنقول يا جماعة فضل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؛ ربنا –سبحانه وتعالى– أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بأن هو يدعو الله –سبحانه وتعالى– وقال له: "يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ" المدثر١:٢، قال له قوم أنذر، ومن الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–؛ النذارة، اللي هو تخويف الناس، وكذلك البشارة "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ" النساء:١٦٥، اللي هو حمل الأخبار للناس بها تتغير بشرتهم، يعني يضحك، يعني يفرح، يعني يعرف الحق فيفرح، يعني يفهم الكلام فيفرح، يعني يعرف معاملة ربنا –سبحانه وتعالى– وقد إيه ربنا هيكرمه فيفرح. فهنا اسمها بشارة مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.

الله –سبحانه وتعالى– جعل الكتاب يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، يبشرهم بالخير، فيه حاجة من وظائف الدعوة؛ البشريات، كنا عاملين سلسلة في رمضان اسمها بشريات الوحي، جميلة يعني إن فكرة إن احنا ربنا –سبحانه وتعالى– بشرنا بأشياء؛ بشر الصابرين، وبشر المخبتين، وبشر المجاهدين، وبشر الصامدين، والقابضين، وبشر المشائين إلى الفجر بالنور التام، فبشر الله –سبحانه وتعالى– الناس بالخير.

يعني ربنا –سبحانه وتعالى– قال لهم أخبار؛ الأخبار دي ترسم على وجوههم على بشرتهم فرحة فيفرحوا بالله –سبحانه وتعالى–، ويفرحوا بعطاء الله –سبحانه وتعالى–.

عبد الله بن عمرو بن العاص بيقول: النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً"[٢] يعني إيه بلغوا عني ولو آية؟ شرح البخاري العلامة العيني بيقول: ولو آية يعني علامة، بعض أهل العلم حمل كلمة ولو آية يعني بلغوا الآية يعني مجرد آية من القرآن بلغها للناس، لكن هنا هو حمل المعنى إنه بيقول لك علامة يعني مجرد إن النبي –عليه الصلاة والسلام– عمل حاجة لو أنت بلغتها ده من الحاجات المهمة لأن النبي –عليه الصلاة والسلام– مش بيلعب، النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث من الله –سبحانه وتعالى– للعالمين، فبيقول لك بلغ دين الله –سبحانه وتعالى–، قال: أي علامة ظاهرة، يعني فعل أو إشارة أو غير ذلك.

---

[٢] صحيح البخاري

قال ابن حجر: ليسارع كل سامع بتبليغ ما وقع له من الآيات ولو كان قليلاً، وعلى كل قادر على الدعوة الى الله أن يؤدي من هذا الواجب في حدود مجالات عمله. يعني كل إنسان يا جماعة يقدر يبلغ آية، يقدر يبلغ حديث، كل إنسان يقدر يبلغ معنى من معاني الدين، قيمة من قيم الدين، أصحابه وأسرته إخواته وزوجته، هي تبلغ زوجها تبلغ أبناؤها يعني ده متاح للجميع، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ" الخير ده يا جماعة اسم جامع لكل الدين، الدين كله خير. فهنا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" آل عمران:١٠٤، شوفوا المعنى الجميل اللي ربنا –سبحانه وتعالى– جعل هؤلاء هم المفلحون، مين اللي نجح يا جماعة في الدنيا؟ اللي جاب دكتوراه؟ اللي جاب ماجستير؟ اللي اتخرج من جامعة كبيرة؟ اللي خد مش عارف إيه؟ اللي حقق منصب إيه؟ لا لا لأ اللي نجح في الدنيا اللي قابل ربنا –سبحانه وتعالى– بقلب سليم "يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" الشعراء:٨٨، اللي نجح في الدنيا المفلحون وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

يبقى فيه واحد فلح في الدنيا نجح في الدنيا فاز في الدنيا "ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" البروج:١١، فاز في الدنيا بإيه؟ فاز في الدنيا ربنا –سبحانه وتعالى– قال مين اللي هيفلح ومين اللي هينجح ومين اللي هيفوز؟ قال: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"

وهنتكلم يا جماعة من معاني الدعوة؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من معاني الدعوة؛ الدعوة إلى الخير. الدعوة يعني الطلب يعني لما بدعو واحد يقولوا أنا بطلب منه إنه يعمل حاجة، لما بأمره ده من أعلى لأدنى، لما بنهاه ده أنا بقول له ما تعملش كذا، يعني أحيانًا بتكون الدعوة إن أنا أقول له قم صل، وأحيانًا بتكون الدعوة أقول له ما تزنيش، وأحيانًا بالدعوة ممكن أقول له ممكن تعمل كذا ده يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ. يبقى على حسب الأسلوب على حسب واحد هيكلم زوجته غير لما يكلم ابنه غير لما يكلم أمه غير لما يكلم جاره غير لما يكلم زميله في العمل، زميله في العمل لما يكلم رئيسه غير لما يكلم مرؤوسه، يعني لما بتكلم المساعد أو بتكلمي المساعدة أو اللي شغالة معاكي ولكن في مقام في الشغل أقل منك يختلف عن اللي بيتكلم عن رئيسه أو مديره، كل إنسان له خطاب مختلف عن الآخر.

يبقى هنا نقطة مهمة إن ربنا –سبحانه وتعالى– أمر بالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وأمر الناس أنها تدعو إلى الله –سبحانه وتعالى–، وده هو الفلاح وعكس الفلاح الخسران قال –تعالى–: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ" العصر١:٣.

يبقى مين يا جماعة اللي هيفوزوا وينجحوا؟ اللي هيفوزوا وينجحوا اللي تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، إن الناس اللي تواصوا؛ وصت بعضها البعض بالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–. بل إن ربنا –سبحانه وتعالى– جعل هناك وعيد على من ترك الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" البقرة:١٥٩، تخيلوا يا جماعة واحد كتم، يعني إيه كتم؟ يعني واحد جوه صدره حاجة لكنه حاول إن هو يكتمها، يقولوا كلمة يكتمون دي فيها مجهود، واحد عمل مجهود زايد عمل مجهود عشان يكتم ليه؟ لأنه نفسه يبين لأن هو الكلام اللي جوه صدره عايز يطلع للناس، الخير اللي جوه صدره عايز يطلع للناس، الحق اللي جوه صدره عايز يطلع للناس، لكنه بيحاول يكتمه، فربنا –سبحانه وتعالى– توعد من يكتم الحق وهو يعلم الحق. قال: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ" يعني واحد علم الكتاب البينات والهدى الحلال والحرام والهدى طريق الحق، فواحد عارف طريق الحق فين، وعارف الحلال فين والحرام فين وسايب الناس بتعصي وترك هؤلاء "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" ليه يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون؟ لأنهم كتموا ما أنزل الله –سبحانه وتعالى– قال –تعالى–: "إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" البقرة:١٦٠، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا خدوا بالكم تابوا وأصلحوا وبينوا خدوا بالكم تابوا وأصلحوا وبينوا، يعني إيه بينوا؟ يعني دعوا إلى الله –سبحانه وتعالى– وبينوا الحق من الباطل، يعني لم يكتموا بل بينوا للناس الهدى والحلال والحرام.

قال -تعالى-: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ *كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" المائدة٧٨:٧٩، فربنا -سبحانه وتعالى- لعن بني إسرائيل على لسان نبي ملك اللي هو داود -عليه السلام-، وعلى لسان نبي رسول اللي هو المسيح عيسى ابن مريم، -خدوا بالكم إن سيدنا داود هو أعلى درجة من درجات مُلك بني إسرائيل وسيدنا عيسى هو أكتر نقطة من نقاط الاستضعاف عند بني إسرائيل، يعني النقطة الزمنية التي كان فيها بنو إسرائيل في قمة الاستضعاف اللي فيها رفع عيسى وأراد اليهود والرومان قتل عيسى -عليه السلام- وكان أهل الحق في قمة الاستضعاف اللي هو أن كانوا الرهبان وعلماء بني إسرائيل آنذاك كانوا في الصوامع كانوا ما حدش فيهم يقدر يتكلم أصلًا، أكتر نقطة من نقاط الاستضعاف في عهد بني إسرائيل، وأكتر نقطة في نقاط التمكين في عهد بني إسرائيل ربنا -سبحانه وتعالى-: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ" في نقطتين في أعلى درجة من درجات التمكين وفي أكتر درجة من درجات الاستضعاف. لعنوا في نقطتين: على لسان داود الملك وعلى لسان عيسى ابن مريم المسيح. ليه؟ قال تعالى: "ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ" ليه يا رب؟ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه. شفتم يا جماعة إن ترك الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- ممكن يؤدي إلى لعنة، اللعنة طرد من رحمة الله -سبحانه وتعالى-.

إن هذه الأمة فُضّلت بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، أنا عايز أقول لكم إن البلاءات بتتنزل بسبب المصايب والمعاصي، ومصيبة ترك الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، ومعصية ترك الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- من المعاصي العظيمة. يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ العامَّةَ بعمَلِ الخاصَّةِ" ربنا -سبحانه وتعالى- بيقول إن لو مجموعة من الناس ظلمت ناس، مجموعة من الناس قتلت ناس، مجموعة من الناس عملت معصية فيما بينها، عملت فحش عملت مصيبة، المجموعة دي ممكن تُعَذب فربنا -سبحانه وتعالى- بيقول إن الله لا يعذب هؤلاء العامة الناس اللي حواليهم اللي ما عملوش ده بعمل الخاصة اللي هم عملوا المعاصي الكبيرة من الظلم والفحش والزنا والخمر. إيه اللي يخلي العامة يعذبوا بعامة الخاصة؟ قال: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَلَا يُنْكِرُونَهُ، فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْعَامَّةَ وَالْخَاصَّةَ"[٣]
هنا نقطة إن النبي -عليه الصلاة والسلام- بيوضح إن العامة إذا سكتوا عن المعاصي الخاصة ربنا -سبحانه وتعالى- ينزل عذاب عام وينزل نقم عامة. فالعقاب اللي بينزل لترك الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- عقاب عدم إجابة الدعاء.
قال النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ما صعد المنبر: "يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: مُروا بالمَعروفِ، وانهَوْا عنِ المُنكَرِ، مِن قَبلِ أنْ تَدعوني فلا أُجيبَكم، وتَسألوني فلا أُعطيَكم، وتَستَنصِروني فلا أنصُرَكم"[٤] فما زاد عليهن حتى نزل. فهنا يا جماعة من العقوبات إن الدعاء لا يستجاب، ليه؟ عشان الناس تركت الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

حذيفة بن اليمان صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم- بيقول: "والَّذي نَفسي بيدِهِ؛ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتَنهَوُنَّ عنِ المنكَرِ، أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكُم عذابًا من عندِهِ، ثمَّ لتدعُنَّهُ، فلا يُستَجابُ لَكُم"[٥] طبعًا الدعاء إلى الله -سبحانه وتعالى-، وده مضطرد جدا في كتاب الله -سبحانه وتعالى-، مضطرد جدًا وواضح جدًا في كتاب الله -سبحانه وتعالى- إن الدعاة إلى الله ينجون حين يهلك الناس، بل الدعاة إلى الله هم سبب نجاة الناس، أبو العلي بيقول عن المعصية: -دايمًا يا جماعة مفهوم الإعمار ومفهوم الإفساد ومفهوم الإصلاح ومفهوم الخسران

---
٣ أخرجه أحمد
٤ أخرجه ابن ماجه وأحمد
٥ حسنه الألباني

مفاهيم محتاجة إعادة تعريف، يقول لك "احنا وظيفتنا إعمار الأرض" لا، احنا مش وظيفتنا إعمار الأرض، إعمار الأرض دي مسئولية من مسؤوليات الإنسان، لكن احنا وظيفتنا وهدفنا الرئيسي هو تحقيق عبودية الله –سبحانه وتعالى–. طب معناه إيه إعمار؟ يعني إيه إعمار الأرض؟ معنى إعمار الأرض يعني إصلاحها بالطاعات. يعني إيه إصلاحها بالطاعات؟ يعني "إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" التوبة:١٨، إن احنا نعمر الأرض بتوحيد الله –سبحانه وتعالى– وبإقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–، أبو العلي بيقول: "من عصى الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والعباد بالطاعة" كلمة خطيرة أوي يا جماعة محتاجة تتكتب دي بخط عريض أوي من عصى الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والعباد بالطاعة.

الله –سبحانه وتعالى– بيقول: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" الروم:٤١، الكون بيتفاعل بمعاصي الإنسان، الحياة بتُفسد بمعاصي الإنسان، الله –سبحانه وتعالى– ينزل النقم والعذاب والبلاءات بمعاصي الإنسان.
فلما تنتشر المعاصي والذنوب بتحل النقم، وهنا لابد من أناس يقومون بالحق، لابد من قوَّام بالحق، لابد من رجل يقوم بالحق، لابد من مجموعة من الناس "أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ" هود:١١٦، هناك من يرد الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–، يُبَصِّر الناس بحقيقة اختياراتهم ويبصر الناس بحقيقة المصير إذا استمروا في معصية الله –سبحانه وتعالى–، يقوم يبلغ الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدعوهم إلى الحق، فإذا استمر الناس على المعصية هنا بينزل عقاب، لما ينزل العقاب ده شوفوا بقى مضطرد جدًا جدًا في كتاب الله –سبحانه وتعالى– إنه بينزل العقاب أول حد بينجو أهل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– قصة أصحاب السبت؛ قال –تعالى–: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" الأعراف:١٦٥، شوفوا ربنا بيقول إيه فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ يعني لما نست بنو إسرائيل ما ذكرها به أهل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ أول حاجة الأمر لله جه بنجاة هؤلاء الذين ينهون عن السوء، وبعدين وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ يبقى أول حاجة نجى هؤلاء مين اللي نجى؟ نجى أهل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وبعدين؟ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، الأمر التاني جه بهلاك هؤلاء إن هم يتحولوا إلى قردة وخنازير.

الله –سبحانه وتعالى– نجى مؤمن آل فرعون –المؤمن المصري– اللي ناصر موسى عليه السلام ربنا –سبحانه وتعالى– نجَّى هذا الرجل وقبل هلاك فرعون قال –تعالى–: "فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ" غافر٤٥:٤٦، الوقاية كانت لهذا الداعي أولًا، أول أمر صدر من السماء فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا إن ربنا حماه من مكر هؤلاء ونجاه من العذاب ونجاه من البلاءات وبعد كده ينزل ايه؟ العذاب.
فأهل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– ينجيهم الله –سبحانه وتعالى–، أهل الدعوة إلى الله يحميهم الله –سبحانه وتعالى–، أهل الدعوة إلى الله يدافع الله –سبحانه وتعالى– عنهم، بل هم سبب نجاة الناس؛ هم قادة السفينة إن تركوها هلكت. النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: "مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها –القائم على حدود الله يا جماعة هنا مقصود به الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى–، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيدي مثل للدعاة وغير الدعاة فبيقول كأن الناس راكبة في سفينة والسفينة دي فيه ناس بتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيها، وفيه ناس مكبرة دماغها وعايشة وخلاص، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ يعني مثل الرجل الذي يقوم على أوامر الله –سبحانه وتعالى– يعني شايل هم الدين وشايل هم حدود ربنا وعايز إن هو يبلغ دين الله –سبحانه وتعالى– كأنه بيحرس الحدود كأنه بيحرس الدين، كأنه خايف إن الدين يندثر، وخايف إن مفاهيم الدين تندثر، وقيم الدين تندثر، ومعاني الدين تندثر، وشرائع الدين تندثر، خايف إن الدين يضيع، خايف إن الناس تموت ومش عارفة دين، قائم؛ قائم ده واحد واقف عارفين العسكري اللي واقف على

الحدود واقف يحرس خايف، ما بينامش الناس نايمة وهو واقف في البرد ماسك سلاحه وواقف، ده قائم على الحدود، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ يعني الذي يقف على أمر الدين يدعو الناس إلى الله ويعلم الناس دين الله وشايل هم الدين وشايل هم إن هو يبلغ الناس الدين، القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ الذي يدعو إلى الله في المجتمع مثل حرس الحدود، المرابط القائم للحفاظ على الحدود قال: والواقِعِ فيها باقي المجتمع بقى اللي هو الناس اللي قاعدة جوه الحدود دي، قال: مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ زي مجتمع من المجتمعات كده، مجموعة من الناس مجتمع من المجتمعات اسْتَهَمُوا عملوا قرعة في سفينة، هو النبي –عليه الصلاة والسلام– بيشبه الدعاة الى الله وبقية الناس اللي تركوا الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، بيقول: كأنهم راكبين سفينة مع بعض وعملوا قرعة، فالقرعة دي جت على بعض الناس أنها تبقى فوق وبعض الناس تبقى إيه؟ تبقى تحت، قال: كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ يعني عملوا قرعة على سفينة اللي هي سفينة الحياة، فصار بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، ده حال الناس؛ الناس متفاوتة في مكاناتهم واحد في العالي وواحد في الواطي، واحد منصبه كبير وواحد منصبه صغير، واحد غني وواحد فقير، واحدة عندها قدر من الجمال وواحدة ما عندهاش قدر كبير من الجمال، واحد رُزِق عائلة غنية واحد رُزِق عائلة بسيطة، واحد عنده إمكانيات كتيرة ومواهب عالية وواحد ما عندوش إمكانيات كتيرة ولا مواهب عالية، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ يعني إذا حبوا يجيبوا مايه يطلبوا من اللي فوق، قال: إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ يعني كان اللي عايز يجيب مايه من تحت يعمل إيه؟ فيه خزان مياه فوق فكان هم راكبين في السفينة فالناس تحت وفيه ناس فوق، فالناس اللي كانوا عايزين يجيبوا مايه يعملوا إيه؟ يقول له هات من الخزان، الخزان ده فين؟ الخزان ده فوق، فواحد قال لك طب احنا دلوقتي ترتيب المايه إن المياه فوق هو أنا كل شوية أما أحب أجيب مايه هطلع فوق وأقول له اديني مايه وهو يملالي مايه من الخزان وينزل لي مايه؟ لا لأ لأ، أنا عندي حل تاني، طب إيه الحل التاني يا سيدي؟ قال لك الحل التاني إن أنا أعمل إيه؟ إن أنا أخرم خرم في السفينة وإن أنا أجيب مايه من البحر.

فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها وهذا حال الناس في مكانتهم فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ يعني طلبوا سقيا من الماء، والماء يكون في أعلى السفينة، مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، يعني باقي المجتمع فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا ودي يا جماعة شبهات أهل المعصية، إن أي حد بيعمل معصية يقول لك أنا ما بضرش حد، أنا ما بعملش حاجة لحد، أنا لوحدي أنا باعمل المعصية دي بتضرني أنا لوحدي، والحقيقة إنه بيضر نفسه وبيضر والده وبيضر بنته وبيضر زوجته وبيضر أولاده وبيضر كل المجتمع بالمعاصي. قال: ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا يعني إيه اللي يخلينا نتعب بقى ونتعب الناس اللي حوالينا يا عم أنا هجيب مايه من تحت وخلاص!

فطبعًا النبي –عليه الصلاة والسلام– شبه الراجل اللي عايز يخرم السفينة إنه هيغرق كل السفينة، وكذلك الإنسان اللي بيعمل معصية وهو مش واخد باله ويقول لك أنا مش هأذي حد، والحقيقة بيأذي المجتمع كله بهذه المعصية وبمجاهرة المعصية، ودي شبهات أهل المعاصي بيقولوا نعصي ربنا ومش هنِتعِب أهل الدين ولا العلماء ولا نقعد نسأل عن الحلال والحرام، فبيطلُب المال من الربا يقول لك أنا لسه هسأل! وبيطلُب العفة من الزنا أو يقول لك أنا لسه هعرف! بيطلُب المُتع كيف شاء بعيدًا عن أمر الله –سبحانه وتعالى–، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يقول إن هؤلاء الذين يقومون على أمر الدين لو تركوا السفينة تُخرق لهلك الجميع، قال: فإنْ يَتْرُكُوهُمْ يعني إذا تركوا باقي المجتمع يخرقوا خرقًا في السفينة وهم يظنون أنهم لن يؤذوهم فإن الجميع سيهلك. قال: فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ليه بقى؟ لأن الخرم اللي في السفينة ده هيغرق جميع السفينة، كأن النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جماعة بيعلم الناس مسئولية الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وأن الدعاة هم سبب نجاة الأمة، وإن هم سبب نجاة سفينة الحياة، وإن الدعاة هم الخير في هذه الحياة.

الدعوة إلى الله؛ فرق بين الإيمان والنفاق. الله –سبحانه وتعالى– يقول: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" التوبة٧١:٧٢، فوعد الله أولياءه المؤمنين بفيضان من الرحمة في الدنيا وحسن المثوبة في الآخرة، وقال وذلك هو الفوز العظيم اللي هو إيه؟ اللي هو إن جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن، ورضوان من الله أكبر، إن ربنا –سبحانه وتعالى– وعد أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعد أهل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– بالفوز العظيم وطبعًا على الصعيد الآخر: "الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ –عن الدعاء– نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" التوبة:٦٧.

ذروة سنام الإسلام يا جماعة الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله من الجهاد كما قال –تعالى–: "وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا" الفرقان:٥٢، يعني جاهد بالقرآن يعني بالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ابن القيم بيقول الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان اللي هو السيف وده مشهور عند الناس وهذا يشارك فيه الكثير، والثاني جهاد الحجة والبيان جهاد الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وهذا جهاد الخاصة من أتباع الرسل من العلماء وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين. ليه؟ لأن مش كل الأنبياء حملوا السيف لكن كل الأنبياء دعوا إلى الله –سبحانه وتعالى–، فمش كل الأنبياء أُمِروا أن يقاتلوا في سبيل الله لكن كل الأنبياء أُمِروا أن يبلغوا دين الله –سبحانه وتعالى–.

وظيفة الأنبياء الرئيسية هي الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– هي وظيفة أهل الاصطفاء وأفضل الخلق "اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" الحج:٧٥، والرُسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق، ووظيفة الرُسُل هي البلاغ عن الله –سبحانه وتعالى قال –تعالى–: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" النساء:١٦٥.

يعني الرسل دول صفوة الخلق وهؤلاء كانت وظيفتهم الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا" الأحزاب٤٥:٤٦، وقال –تعالى–: "فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ" الغاشية:٢١.

لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جماعة قام يدعو الناس إلى الله في السوق وفي الشارع وفي كل الأماكن، النبي –عليه الصلاة والسلام– دعا إلى الله في الليل وفي النهار، دعا جميع أصناف البشر؛ دعا الكبير والصغير والغني والفقير والحُر والعبد والسيد والذليل، يعني استخدم جميع الوسائل وجميع الأساليب المتاحة له –صلى الله عليه وسلم–.

الدعوة إلى الله بها فُضّلت هذه الأمة كما قلنا: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" آل عمران:١١٠.

الدعوة إلى الله بها الإنسان ينال محبة الله ومغفرة الله –سبحانه وتعالى– وأعلى درجات الجنة، ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" آل عمران:٣١، ربنا بيقول لو أنتم بتحبوا ربنا –سبحانه وتعالى– اتبعوا النبي –صلى الله عليه وسلم–، طب نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– نعمل إيه؟ ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" النساء:٦٩، فمن أراد أعلى درجات الجنة حيث يسكن النبيين والصالحين عليه أن يطيع النبي –صلى الله عليه وسلم–، عليه أن يتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–.

شوفوا ربنا بقى بيتكلم عن النبي –عليه الصلاة والسلام–؛ بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام–: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" يوسف:١٠٨، ربنا –سبحانه وتعالى– قال للنبي –عليه الصلاة والسلام–: قل للمسلمين أن من أراد أن يتبعني فعليه أن يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى–، قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي بيقول لهم من أراد أن يتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– فعليه أن يسلك سبيل النبي –صلى الله عليه وسلم–، طب إيه هو سبيل النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ قال: قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي، إيه هو سبيل النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فطريقة النبي –صلى الله عليه وسلم– هي الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، والوصول إلى الله –سبحانه وتعالى– بالدعوة إليه، وكل من اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– وأراد أن يسلك سبيل النبي –صلى الله عليه وسلم– فعليه أن يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ابن القيم بيقول: "لا يكون رجل من أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم– حقًا إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كان متبوعه –صلى الله عليه وسلم– يفعل، هؤلاء خلفاء النبي –صلى الله عليه وسلم– حقًا"

قاعدين بنتكلم بقالنا تقريبا ساعة لكن يعني أفضل الكلام على الإطلاق هو الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، الله –سبحانه وتعالى– بيقول: "لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء:١١٤. الطبري بيقول في هذه الآية هو الأمر بالمعروف. يعني إن يا جماعة من أمر بصدقة أو معروف، قال: الأمر بالمعروف هي كل ما أمر الله به، يعني إن احنا نأمر بكل ما أمر الله به ده هو الخير، ده أفضل الأقوال، قال –تعالى–: "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" فصلت:٣٣، فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر ثوابًا من عمله، وكل الناس بتتكلم لكن أفضل قول هو القول الذي يُدعى به الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–، هل هناك أفضل من أن تدل الناس على خالقهم على الملك الحق العزيز الرحيم الغفور الكريم؟ هل هناك أفضل من أن تدل الناس وتهدي الناس إلى طريق الله –سبحانه وتعالى– حتى ينالوا من رحمات الله وبركاته وعطاياه وينجون من عقابه وعذابه؟

الدعوة إلى الله أفضل من كل كنوز الدنيا، كل كنوز الدنيا إذا تعارضت مع الدعوة الدعوة أفضل. النبي –صلى الله عليه وسلم– لما أعطى الراية لعلي بن أبي طالب قال له: "خذ هذه الراية وأعلم "لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[٦].

النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لعلي بن أبي طالب بيقول له خد بالك إن أنت معاك راية النبي –عليه الصلاة والسلام– ومعاك سيف المجاهدين ومعاك أنك أنت تجاهد بالسيف، لكن بيقول له خد بالك إنك أن ربنا –سبحانه وتعالى– يهدي بك رجل –إنك تشتغل في الدعوة وأنت حتى في وقت القتال وأنت حتى في وقت الحرب مع اليهود في خيبر–، ومع ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول لعلي بن أبي طالب: لو إنك أنت ربنا هدى على ايدك واحد من هؤلاء اليهود خير لك من حمر النعم اللي هي الأنعام الحمراء وهذه كانت لها قيمة عظيمة عند العرب.

فالوقت اللي بيُبذل في هداية الرجال واللي بيُبذل في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– أفضل من الوقت اللي بيُبذل في تحصيل الأموال، أفضل من الوقت اللي الناس بتبذله في تحصيل المناصب، خير لك من كل الدنيا وما في الدنيا.

الله –سبحانه وتعالى– أثنى على الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ"[٧]

[٦] صحيح البخاري

[٧] أخرجه الترمذي والطبراني

تخيلوا يا جماعة واحد أو واحدة بتستغفر لها أسماك البحار، تخيلوا واحدة بيستغفر لها النمل في الجحور، تخيلوا واحدة الملايكة كلها قاعدة تقول يا رب اغفر لها، ليه؟ لأنها تدعو الناس إلى الله -سبحانه وتعالى-. يعني الملائكة بتدعي لك والنمل بيدعي لك والسمك في المحيطات والبحار بيدعي لك هو السمك عارف اسمك؟ آه عارف اسمِك وعارف اسمَك. عارفه منين؟ لأنك تدعو إلى الله -سبحانه وتعالى-.

طبعًا ثواب الداعي إلى الله لا ينقطع حتى بعد الموت قال -تعالى-: "يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ" القيامة:١٣، يعني قدم من عمل في الدنيا وأخر من سُنة يتبعه الناس عليها سواء من بعده، كما قال ابن مسعود أخر بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يُعمل بها، يعني واحد دعا الناس إلى عمل معين وطول ما هو بعد ما هو مات الناس بتعمل العمل ده هذا العمل اللي دعا الناس إليه، وكل ما الناس بتعمل العمل الصالح هذا الرجل يثاب على هذا العمل، كل ما الناس بتعمل عمل صالح هذا الرجل يثاب على هذا العمل.

للداعي أجر كل عمل صالح دعا إليه، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن دعا إلى هُدًى كان له مِن الأجرِ مِثْلُ أجورِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن أجورِهم شيئًا، ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه مِن الإثمِ مِثْلُ آثامِ مَن تبِعهُ لا ينقُصُ ذلك مِن آثامِهم شيئًا"[٨]

فكل إنسان يا جماعة بيدعو إلى شيء كل ما الناس بتعمله هو بياخد عليه حسنات. الطيبي بيقول: "الهدى ما يُهتدى به من الأعمال الصالحة"

المُلا على القوي بيقول: "دعا أي بالقول أو الفعل أو الإشارة أو الكتابة".

النبي -صلى الله عليه وسلم- بيتكلم عن الحسنات الجارية بعد الموت بيقول: "إنَّ مِمَّا يلحقُ المؤمنَ من عملِهِ وحسناتِه بعدَ موتِه عِلمًا علَّمَه ونشرَه وولدًا صالحًا ترَكَه ومُصحفًا ورَّثَه -شوفوا يا جماعة ورث المصحف- أو مسجِدًا بناهُ -شوف الدعوة أنه بنى مسجد دي اسمها دعوة حال- أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ بناهُ أو نَهرًا أجراهُ أو صدَقةً أخرجَها من مالِهِ في صِحَّتِه وحياتِهِ يَلحَقُهُ من بعدِ موتِهِ"[٩]

فهنا يا جماعة نقطة إن الداعي إلى الله "وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" البقرة:٣، واحد ينفق مما رزقه الله -سبحانه وتعالى-؛ بينفق من علمه، بينفق من وقته، بينفق من فهمه، بينفق من أمواله، بينفق من كل ما يملك لله -سبحانه وتعالى-.

طبعًا يعني وجوه الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- وجوه ناضرة كما قال الله -سبحانه وتعالى-: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" القيامة٢٣:٢٤.

النبي -عليه الصلاة والسلام- بيقول: "نضَّرَ اللَّهُ امرأً سمِعَ مقالتي فبلَّغَها فرُبَّ حاملِ فِقهٍ غيرُ فقيهٍ وربَّ حامِلِ فِقهٍ إلى مَن هوَ أفقَهُ منهُ"[١٠]

فالوجوه الناضرة هي وجوه الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- ثم من على هديهم وأتبع سبيلهم.

آخر حاجة يا جماعة الدعاة لله -سبحانه وتعالى- الدعوة أحيانًا تكون بالقول وأحياناً تكون بالفعل، إن ممكن إنسان بيكون بينفذ الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- تطبيقًا، وممكن واحد يكون بيتكلم بالدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وممكن واحد يكون بيمهد الطريق للدعاة لله -سبحانه وتعالى- وده هيجي معنا إن شاء الله واحنا بنشرح في مناهج الدعوة وأساليب الدعوة أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

[٨] صحيح مسلم
[٩] صحيح ابن ماجه
[١٠] صحيح ابن ماجه

البيان الدعوي وأولوياته

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

تكلمنا في المرة السابقة عن فضل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– وعن معنى من معاني الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وقلنا إن الدعوة ممكن تكون دعوة بالمقال وممكن تكون دعوة بالحال، وإن الدعوة أحيانًا بتكون دعوة تعليمية أو دعوة تبليغية أو دعوة تربوية أو تزكوية، وإن أصناف الدعوة وأنواع الدعوة يحتاج الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– أن يعووها حتى لا يحدث تنابز بالألقاب وانتقاص من أحد العاملين في الدين، وإن الدعوة بمفهومها العام تشمل جميع الإسلام، وإن يُدعى الجميع؛ كل الناس تحتاج إلى دعوة الله –سبحانه وتعالى– وإلى كلام الله –سبحانه وتعالى– وإلى سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وحاجة الناس إلى الوحي أكثر من حاجته إلى الطعام والشراب، يعني حاجة الناس إلى الدين أعظم من حاجة الناس إلى الطعام والشراب.

وقلنا إن منطلق الدعوة هو الوحي؛ كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–. وإن معايير الدعوة وأساليب الدعوة كلها ينبغي أن تكون مستقاة من كتاب الله ومن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

لا يخفى على الجميع إن البيان الدعوي أو الكلمات الدعوية أيضًا تحتاج منا إلى أن نراجعها من كتاب الله ومن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

إن الله النهاردة نتكلم على موضوع من الموضوعات اسمه البيان الدعوي. يعني احنا النهاردة لو هنكلم ناس؛ لو احنا عايزين ندعو الناس إلى شيء، يا ترى هنكلمهم في إيه؟ إيه أولويات الدين؟ إيه الأولويات اللي هم محتاجينها؟ إيه أولويات الواقع عمومًا؟ ياترى نبدأ بإيه قبل إيه؟ ده مهم جدًا عند الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– إن هم يفهموا هم بيكلموا الناس في إيه وعايزين من الناس إيه؟ وهم إمكانياتهم إيه وعايزين يوصلوا الناس لإيه؟ لإن أحيانًا كتير الإنسان ممكن يتوه في الحياة، ممكن الداعي إلى الله مراهق؛ يدعو الناس إلى ما يُحب، هو بيحب حاجة معينة، أو هي بتدعو الناس إلى ما تُحِب؛ هي بتحب حاجة معينة فهي متأثرة بها فهي بتدعو إليها، فهي شايفة الحياة كلها من خلال هذا المنظور اللي هي عايشاه أو اللي هي التجربة البسيطة اللي هي شافتها.

ويختلف تماما الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– بالدعوة إلى تجربتي، الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– تختلف عن الدعوة إلى منهجي، الدعوة إلى الله تختلف عن الدعوة إلى اختياراتي، الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– تختلف عن الدعوة إلى ما أحب وأهوى في الدين، لإن كل واحد ممكن يكون له باب من أبواب الدين، ممكن يكون له نوع من أنواع التقوى مختلفة عن الآخر، "اللهم آتِ نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها" إن كل إنسان ممكن يكون له تقوى مختلفة عن الآخر، يعني ممكن واحد يكون تقواه إن هو يصلي قيام الليل طويل، فيه واحد تقواه إن هو يتصدق، فيه واحد تقواه إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيه واحد إن هو يقول كلمة الحق ويجادل أهل الباطل.

فكل إنسان له باب من أبواب يدخل به على الله –سبحانه وتعالى–، فلا ينبغي إن الداعي إلى الله يتوه في نفوس الناس أو يتوه في مراده.

لذلك خلينا نضع أولويات كده أو نشير إلى إشارات سريعة إن فيه حاجة اسمها أولويات الدين، وفيه حاجة اسمها أولويات الشخص، وفيه حاجة اسمها أولويات الواقع أو المرحلة، يعني بمعنى أكثر وضوحًا؛ الدين له أولويات واضحة صريحة إن أنا ينبغي إن أنا أنقل الناس من الشيء

المهم إلى الشيء الأقل أهمية، ولما أنا هدعو الناس أنا عندي ستلاف متين ستة وتلاتين آية، وعندي آلاف من أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم-، يا ترى هدعو إلى إيه قبل إيه؟ وإيه القيمة اللي ينبغي أن تغرس في الناس؟ وإيه الحاجة اللي ينبغي إن أنا أعلمها للناس؟ وإيه الحاجة اللي ربنا -سبحانه وتعالى- أراد إنها تُعَلَّم للناس وتبلغ للناس إيه قبل إيه؟

انظروا إلى أم المؤمنين عائشة تتكلم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي تقول: أنه بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة والنار، أول ما نزل من القرآن المفصل؛ المفصل ده اللي هو من ق إلى الناس، اللي هي آيات بتتكلم عن الدار الآخرة، قالت أول ما نزل من القرآن المفصل وأول ما بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بدأ بآيات الجنة والنار، ولو بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بلا تقربوا الخمر لقالوا لا نتركه أبدًا، ولو بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله لا تقربوا الزنا لقالوا لا نتركه أبدًا.

أم المؤمنين عائشة التقطت التقاط في دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- واضح؛ إيه هذا الالتقاط؟ هذا الالتقاط بيوضح إن مبنى الشريعة قائم على تمهيد القلوب لاستقبال أحكام الشرع، إن الناس خاطبهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو خاطبهم الله -سبحانه وتعالى- بدايةً بالجنة والنار، ليه؟ حتى تُمَهَّد هذه القلوب، حتى تستقبل هذه القلوب الأحكام الشرعية.

بتقول لو كان أول حاجة بدأ بها كان بدأ بما تشربوش الخمرة كان هيبقى صعب، ما كانش ده هيبقى سهل التحقيق، لقالوا: يعني لو هو كان قال لهم كده في الأول هم كانوا هيردوا يقولوا لا لا مش ممكن نسيب الخمرة، لكن هو بدأ بإنه كلمهم عن الترغيب والترهيب، كلمهم بالموعظة الحسنة، كلمهم بذكر الثواب والعقاب، حتى لانت القلوب.

ملحوظة: أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- تركوا الخمر، وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- تركوا الزنا، وما كانش صعب عليهم إنهم يتركوا ده، ليه؟ ليه ما كانش صعب عليهم؟ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- سلك الطريق الصحيح في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-. لإن الدعوة لها منهج؛ سلم، فهو النبي -عليه الصلاة والسلام- صعد في مراتب الدعوة من درجة إلى درجة فكان سهل على الناس أنها تترك، صعب علينا الآن إن الناس تترك، ليه؟ لإن احنا لم نسلك منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

طبعا هناك أسباب أخرى لكن ينبغي أن نتبع النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوته إلى الله -سبحانه وتعالى-. وانظروا أيضًا إلى منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يوضح أولويات الدين، وده واضح جدًا في كتاب الله وهنتكلم النهاردة عن البيان الدعوي في سورة الشعراء، لكن منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بيتكلم مع معاذ؛ ومعاذ أحد أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يرسله إلى اليمن معلمًا وحاكمًا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يا معاذ خذ هذا الكتاب وليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هنا النبي -صلى الله عليه وسلم- بيعلم معاذ بن جبل صحابي من صحابة النبي -عليه الصلاة والسلام-، قال له: أنا عايزك لما تروح تكلم الناس مش تكلمهم في أي حاجة، الفترة اللي النبي -عليه الصلاة والسلام- بعث فيها معاذ إلى اليمن كان نزل آيات كتير جدًا من الأحكام، كان نزل آيات الحجاب، وكان نزل آيات تحريم الخمر، وكان نزل آيات في كثير من الأيمان والعقود وتحريم لحم الخنزير كان فيه آيات كثيرة جدًا وأحاديث كثير جدًا وأحكام كثيرة جدًا نزلت، لكن النبي -عليه الصلاة والسلام- بيوضح لما تيجي تكلم الناس أول حاجة تكلمهم فيها قال: "فليكن أَوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادة أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ"[11]، قال له انت رايح تكلم ناس؛ الناس دي نصارى وأهل كتاب، عندهم كتاب قبل كده، فهم عندهم تصور عن التوحيد، لكن هذا التوحيد الذي عندهم تصور خاطئ عن التوحيد، فهم يثلثون؛ يعني يعبدون الآب والابن والروح القدس، فقال: ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك، فقل لهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك، فقل لهم أن الله افترض عليهم

[11] جامع الرسائل لابن تيمية

زكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، وإياك وكرائم أموال الناس، ثم بدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح لمعاذ كيف يدعو الناس إلى الله، إيه القيمة اللي يُدعى إليها؟ قال له: الأول ابتدي بالتوحيد، وبعد كده الصلاة، وبعد كده الزكاة، وبعد كده الصيام؛ قال له: ثم قل لهم إن الله افترض عليهم الصيام ثلاثين يوم في السنة. هو هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– بيراعي أولويات النفوس، ويراعي أولويات الأهمية عند الله –سبحانه وتعالى–. إن دي يا جماعة حاجة اسمها أولويات الشرع، إن أولويات الشرع لا بد أن تكون واضحة عند الناس.

واحدة هتكلم صاحبتها في مسألة معينة وهي صاحبتها دي مش بتصلي أصلًا، يعني مثلًا هتكلميها في الحجاب وهي ما بتصليش؟ هتكلميها مثلًا في أن هي مصاحبة ولد وهي عاقة لأمها؟ فيه أولويات للدعوة، فيه أولويات للأمر الشرعي، فيه أولويات لدعوة الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

ثم بعد ذلك أولويات الفرد نفسه إن أحيانًا بيكون الإنسان اللي أنا هدعوه ده هو أصلًا مصلي هو أصلًا محافظ على الزكاة هو أصلًا عنده كثير من المعاني الإيمانية فأنا مش معقول أقول هي نفس البدايات ونفس النهايات لكل الناس، إنما انت هتراعي هنا أولويات الشخص؛ أولويات الشخص ده إن مش كل الناس هتخاطب بكل شيء، يعني حتى في العقيدة كان شيخ الإسلام له تقرير جميل، وبيقول أنه ليست كل مسائل العقيدة يخاطب بها جميع الخلق في كل وقت، إن فيه مسائل من مسائل العقيدة ما ينفعش تخاطب بها الناس، واستدل بقول علي بن أبي طالب وابن عباس "ما أنت بمحَدّثٍ قَومًا حديثًا لا تبلُغُه عُقولُهم إلَّا كان لبَعضِهم فِتنةً" وقول الصحابي: "حدثوا الناس بما يعرفوه، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله" النقطة إن مش الكلام يتقال لكل حد حتى في مسائل العقيدة.

من العناوين اللي بتضايق الواحد صراحة؛ اللي يقول لك: ما لا يسع المسلم جهله، من فرض هذا؟ يعني لما واحد يقول: ما لا يسع معنى كده أنه جعل هذه المعلومات التي في هذا الكتاب الذي ألفه هذه المعلومات ينبغي أن تكون فرض على جميع الخلق، مين قال أن المعلومات بقى اللي موجودة هنا فرض على جميع الخلق؟ إذا كان أصلًا كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليس على جميع الخلق أن يفهموا كل شيء في كل الآيات والأحاديث، فهنا إن يا جماعة نقطة مهمة مسألة محتاجة مراعاة، هي أولويات الفرد، الحاجة اللي فرض اتفق العلماء على أن يُخاطب بها جميع الخلق في كل وقت هي الوحي، وإيه من الوحي؟ هل كل الآيات؟ يعني هل مثلًا الست اللي بتبيع فجل والراجل اللي تعليمه بسيط هل هو يُخاطب مثلًا بآيات الجهاد؛ إنه هو لا بد إنه يفهم كل آية في كتاب الله ويفهم كل حديث من أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في المواريث أو في غيره من باقي العلوم؟ لا، هو مش مطالب بكل ده ولا مطالب أنه يفهم كل حاجة، إنما مطالب أن يتعلم على قدره.

إن مش كل الناس مخاطبة بكل شيء في كل وقت، هنا نقطة مهمة إن التكليف مختلف من فرد يتفاوت التكليف بين الناس، لإن مش كل الناس مكلفة بكل الآيات والأحاديث في كل وقت.

فلذلك مهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم هم بيكلم مين؟ ومهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم أولويات الأشخاص اللي قدامه، ومهم إن الداعي إلى الله يبقى فاهم الناس دي واقفة عند أي درجة أو هو محتاج ينقل لهم أي مفهوم.

يبقى أول حاجة أولويات الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– على اعتبار الشرع اللي هي أولويات الشرع على حسب الأهمية وعلى حسب الترتيب. طبعا لا يخفى أن في أولويات الشرع إن الله –سبحانه وتعالى– يحب الأركان أكثر مما يحب الفرائض، يعني أعظم شيء يُدْعَى إليه الناس؛ أركان الإسلام ثم بعد ذلك الواجبات. حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– أن الله –سبحانه وتعالى– يقول: "مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه"[12] –لو حد عايز يستزيد يسمع شرح هذا الحديث كنا شرحناه واحنا

[12] صحيح البخاري

بنشرح الأربعين النووية– حديث من عادى لي وليا، يبقى أولويات الشرع أركان الإسلام، أولويات الشرع فرائض الإسلام، ثم بعد ذلك النوافل، لإن مش هينفع مثلًا تروحي تدعي واحدة إلى قيام الليل وهي مثلًا بتتاكل من حرام، لأ، أولى لكِ فأولى ثم أولى لكِ فأولى إنك انتِ تدعيها إلى ترك الحرام. واحد مثلًا ما بيصومش رمضان وانت هتدعوه إلى اللحية، لأ، أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى إنك انت تدعوه إلى صيام رمضان، إن احنا نبقى فاهمين أولويات الشرع عند الله –سبحانه وتعالى– وأولويات الفرائض عند الله –سبحانه وتعالى–، وأولويات المعاني والقيم "دِينًا قِيَمًا" الأنعام:١٦١ هذا الدين القيم العظيم، له معاني أهم من معاني، وله قيم أعلى من قيم.

دي نقطة مهمة جدًا في أداء الحقوق وفي معرفة الحقوق وفي معرفة الفرائض وفي معرفة الواجبات، ثم بعد ذلك في المستحبات والنوافل وترك المكروهات والورع والتقوى.

النقطة الثانية أولويات الأشخاص، يبقى مراعاة أولويات الأشخاص في البيان الدعوي، إن انت بتخاطب مين؟ لإنك مش هتروح تكلم ناس ما بتعرفش حاجة مثلًا عن الدين، واحد مثلًا مش مسلم فانت بتكلمه عن تفصيلة من التفاصيل الشرعية في خلاف بين العلماء في مسألة معينة، هو طبعًا مش فاهم انت بتقول إيه أصلًا، هذا يدعى إلى القيم الرئيسية، وده أحيانًا الواحد بيشوفه على مواقع التواصل الاجتماعي، لما تلاقي بعض الإخوة والأخوات بيتكلموا في قضية من القضايا يعني اختلف فيها العلماء، مثلًا في تعظيم الرب قضية مثلًا من مسألة الأسماء والصفات والقضية اختلف فيها العلماء، قضية دقيقة من دقيق العلم الذي لا يفهمه حتى مجموعة من طلبة العلم أو مجموعة من الدعاة ممكن مش فاهمين هم بيقولوا إيه أصلًا، وتجده ينشر هذا الكلام على الملأ ويتكلم على الملأ في خلاف، هو فين الدعوة هنا يعني؟ يعني إلى ما يُدعى هؤلاء وفيما يتكلم هؤلاء ومع من يتكلم هؤلاء؟ فالنقطة الثانية نقطة مراعاة حال الأشخاص.

النقطة الثالثة مراعاة الواقع والمرحلة، يعني إيه؟ في حاجة اسمها يا جماعة واجب الوقت، يعني مثلًا في وقت غزوة أحد؛ خلاص هو الصحابة كلهم خارجين مع النبي –صلى الله عليه وسلم– في غزوة أحد، مفيش حد هيقول أصل أنا لسه مسلم جديد، فبالتالي مش هينفع أخرج مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، لإن أنا لسه محتاج بقى أتعلم الأول ومحتاج إن أنا أتفقه الأول، ده هو الصحابي جه، فلقى النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقاتل فقال له أقاتل ولا أسلم؟ قال له أسلم ثم قاتل فأسلم فقاتل، فقتل فمات، ولم يسجد لله سجدة زي مثلًا ما حصل في خيبر وزي ما حصل في أحد، إن هنا فيه حاجة اسمها واجب المرحلة، إن فيه واحد اقترب إلى ربه –سبحانه وتعالى– ووجد إن الناس في رمضان، هو هيصوم رمضان ويتعلم أحكام رمضان، مش هينفع أقول له لا لا لا انت ما ينفعش تصوم رمضان وتتعلم أحكام رمضان إلا لما يجيبك بقى من الأول خالص ويعلمك أصلًا معاني الإيمان والإخلاص والمحبة والخوف والرجاء وكيف ينطلق قلبك في حب الله –سبحانه وتعالى–، ده اسمه واجب المرحلة.

يبقى يا جماعة أولويات الدعوة إلى الله لها اعتبارات ثلاث هي:

رقم واحد الاعتبار الشرعي وده لا بد إنه يكون مرتب ذهنيًا في أذهان كل الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– كبيرًا أو صغيرًا على قدرهم، يعني مش كل الناس مطالبة إنها تعرف كل حاجة زي ما احنا بنقول، فكذلك الدعاة إلى الله مش هيقدروا يعرفوا كل حاجة، لكن على قدرهم إن هو يبقى بس عارف إيه قبل إيه؟ مش هينفع تكلم الناس عن شيء وما تكلمهمش عن الصلاة، مش هينفع تكلم الناس عن قيمة من قيم الشرعية الدقيقة اللي فيها مثلًا مستحب من المستحبات وهو مثلًا هذا الرجل لا يزكي أو هذه المرأة لا تعظم الله –سبحانه وتعالى–، فهنا نقطة مهمة مراعاة أولويات الشرع.

ثم النقطة الثانية مراعاة أولويات الأشخاص ومعرفة الأشخاص انت بتكلم مين وبتخاطب مين؟ ودول ترتيبهم إيه في الشرع؟ عشان لما تبدأ من عندهم تبدأ عند النقطة اللي هم محتاجينها وهذا من الحكمة في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– كما قرر العلماء.

والنقطة الثالثة هي نقطة مراعاة المرحلة، من المعاني الجميلة اللي قررها شيخ الإسلام في التحفة العراقية، وهو بيتكلم على الأعمال القلبية ويقول إن اتفق العلماء على أن الجميع؛ جميع الناس مخاطبون بأصول الأعمال القلبية، يعني أنا النهاردة أكلم واحدة في مسألة معينة قبل ما أكلمها عن حب ربنا؟ قبل ما أكلمها عن الخوف من ربنا؟ قبل ما أكلمها عن الرجاء في ربنا –سبحانه وتعالى–؟ لأ، هو بيتكلم في معرض الكلام عن أهمية الأعمال القلبية بيقول إن العلماء متفقون على أنه الجميع؛ جميع الخلق يخاطبون بأصول الأعمال القلبية اللي هي عبر عنها إنها من أصول الإيمان وقواعد الدين، اللي هي مسألة الإخلاص والصدق مع الله –سبحانه وتعالى– وحب الله –سبحانه وتعالى–، هذا يخاطب به الناس، دي أولويات.

يعني كنا مرة بنطرح سؤال لو احنا نزلنا نكلم الناس في الشارع وعايزين نكلم شباب، هنعمل إيه مع شاب مثلًا؟ فطرح أحدهم نموذج من النماذج، قال أنا قابلت شاب عامل قزع ولابس سلسلة وبيشرب سيجارة وواقف قدام الجامع وقت الصلاة وبيتكلم في التليفون وبيسب لأمه في التليفون، يا ترى ندعو هذا الشاب لإيه بالظبط؟ فرد أحد الأفاضل وقال: أنا هجيبه من أعلى رأسه إلى أخمس قدميه، فقال له يعني إيه؟ قال له: أنا هكلمه في القزع و هكلمه في اللحية وأكلمه مش عارف إيه وأكلمه في إيه وأكلمه في الإسبال، فرد عليه الآخر قال له: لأ، الأولى إن أنا أكلمه في إن هو ازاي يسب لأمه؟ وازاي يتكلم مع أمه بهذه الطريقة في التليفون في الشارع؟ فرد التالت قال له وأنا واقف قدام الجامع وقت الصلاة، لا لا هو أول حاجة هنكلمه فيها هي إن هو يُكَلَّم في الصلاة، فرد الرابع وقال وأنا أول حاجة هكلمه فيها هو إنه يعظم الله –سبحانه وتعالى–، وإنه يحب الله –سبحانه وتعالى–، وإنه يخاف من الله –سبحانه وتعالى–، الإنسان اللي قلبه بعيد عن الله –سبحانه وتعالى– وهو لا يراعي من نظر الله –سبحانه وتعالى– ولا يخاف من الله ولا يرجو ما عند الله ولا يحب الله، وإن حب الله –سبحانه وتعالى– في قلبه ضعيف قليل حتى إنه لا يستطيع إن يواجه به متطلبات الحياة ولا متغيرات الحياة، هذا فيما يكلم من أعمال الجوارح؟!

فالشاهد؛ نقطة يا جماعة إن احنا محتاجين نراعي أولويات الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين نفهم أولويات الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– محتاجين نعرف احنا بنكلم مين وهنقول لهم إيه؟

في سورة الشعراء ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر مجموعة من الأنبياء وكيف أن الأنبياء واجهوا أقوام مختلفة، إن سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا شعيب وسيدنا نوح كل نبي من الأنبياء واجه قومه، وكان لهؤلاء القوم معاصي معينة وأولويات مختلفة، وربنا –سبحانه وتعالى– ذكر لنا في سورة الشعراء –والله –سبحانه وتعالى– عظيم لا يتكلم إلا بعظيم– ذكر لنا طرف من هذا البيان الدعوي، يعني الأنبياء تكلموا كلام كثير مع الأقوام لكن ربنا –سبحانه وتعالى– خلد ذكرى مجموعة من الجمل، مجموعة من الجمل ربنا –سبحانه وتعالى– ارتضاها –سبحانه وتعالى– وأنزل بها جبريل بعد مئات السنين أو آلاف السنين، ليعلم النبي –صلى الله عليه وسلم– وليكون هذا القرآن يتلى إلى يوم القيامة على اختلاف اللغات، يعني سيدنا شعيب بيتكلم بلغة تختلف عن لغة سيدنا هود تختلف عن لغة سيدنا صالح، فربنا –سبحانه وتعالى– نقل هذا الكلام لنا عبر العصور ليعلمنا باللغة العربية، ليعلمنا هذه المعاني وهذه القيم وأولويات هذه القيم.

لا شك إن البيان الدعوي بيختلف من وقت للتاني ومن قوم لقوم، ومن معصية لمعصية، ومن ظروف محيطة إلى ظروف أخرى على حسب مراحل الدعوة. فبيان الدعوة في وقت بداية الدعوة يختلف عن البيان الدعوي في وقت الحرب الإعلامية الشرسة على الدعوة، وهنشوف الآن كيف واجه الأنبياء وكل نبي كان بيواجه مجموعة من الناس وكان له تصور معين يختلف عن البيان الدعوي في مرحلة التحدي ومرحلة الاستئصال ومرحلة اللي هو: لأجعلنك من المرجومين، لأجعلنك من المخرجين، لأجعلنك من المسجونين، اللي هو سيدنا نوح وسيدنا موسى

وسيدنا لوط اللي أقوامهم تحدوهم تحدي سافر، وقال له أنا هاقتلك والتاني قال له أنا هاخرجك والتالت قال له أنا هاعتقلك وهاسجنك، وكيف كان البيان الدعوي وكيف كانت دعوة الأنبياء إلى الله -سبحانه وتعالى- في مرحلة السلم وفي مرحلة الحرب.

يعني البيان الدعوي فيه جزء مشترك عند الأنبياء ربنا -سبحانه وتعالى- ذكره لنا في كتابه الكريم، في مواجهة الأنبياء لمعاصي الأقوام، وتبيين الفساد في حياة الناس، ودلالة الناس على الحق وهداية الناس إلى الخير، مع إن أحيانًا كان بيبقى فيه فترة فيها تشويه إعلامي شديد، الشعراء يا جماعة يعني هنا الشعراء؛ هؤلاء الإعلاميون، هؤلاء الإعلاميون في مكة في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، الشعر كان له مكانة كبيرة جدًا، كانت القبيلة اللي فيها شاعر كانت لها منقبة في وسط العرب. الشعراء هؤلاء الذين يتبعهم الناس، هؤلاء الذين يسحرون الناس بالكلام، الذين يقلبون الحق باطل والباطل حق، فيه سورة في القرآن اسمها سورة الشعراء عن هؤلاء الذين "وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ" الشعراء٢٢٤:٢٢٦، الناس اللي وظيفتها الكلام، اللي بتعرف تغير بالكلام كل حاجة، اللي بتعرف تقنع الناس بالكلام بكل ما يحب هؤلاء.

فكيف واجه الأنبياء هؤلاء الشعراء؟ وكيف كان استفحال الفساد وطغيان الفساد في مرحلة من المراحل؟ وكيف كانت الدعوة مستضعفة في في وسط كثير من الناس؟ ومع ذلك كيف استطاع الأنبياء إن يحولوا هذا إلى نقطة قوة؟

فيه معاني عامة فيه أولويات عامة أولويات مغيرة مش مؤثرة، يعني مش دعوة إن انت هتقول كلام أو انت هتقولي كلام فالناس تعيط وتقول الله الله جميل قوي الكلام ده، أنا عايز أبقى كده وخلاص، إنما ناس بتتغير فعلًا قيم مغيرة فعلًا.

هناك معاني قيمة قالها الأنبياء: نوح -عليه السلام-، ولوط -عليه السلام-، وهود -عليه السلام-، وصالح -عليه السلام-، وشعيب -عليه السلام- ومن أراد إن يتعلم الدعوة فليجتهد في مواد الدعوة، إيه مواد الدعوة يا جماعة؟ يعني أعرف منين أتعلم دعوة؟ لو أنا عايز أتعلم دعوة؟

طبعًا فيه كتب للدعوة وفيه كتب كتير بتتكلم عن أصول الدعوة وقواعد الدعوة وعلم الدعوة ومدخل علم الدعوة، المكتبة الإسلامية فيها كثير جدًا في الدعوة وفقه الدعوة والموازنات الدعوية، يعني قلما تجد عالم إلا وصنف في الدعوة، والمعاصرين لهم كتب كثيرة في الدعوة، لكن من أراد أن يتعلم الدعوة حقيقة وأن يسبر أغوار الدعوة فاقرأوا في قصص الأنبياء، اقرأوا في سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هؤلاء هم نبراس، هؤلاء هم نموذج، "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام:٩٠، علينا أن نقتدي بهؤلاء في دعوتهم وفي بيانهم وفي أولوياتهم وفي خطواتهم التي سلكوها لتغيير الناس.

هناك معاني عامة ربنا -سبحانه وتعالى- سطرها في كتابه الكريم بل بنفس الكلمات، وده يا جماعة حاجة تخلينا نقف، إن ربنا -سبحانه وتعالى- ذكر الكلمات مرة أخرى على لسان هود وعلى لسان صالح وعلى لسان شعيب وعلى لسان نوح، نفس الكلمات الله -سبحانه وتعالى- سطرها في كتابه الكريم على لسان الأنبياء وإن اختلفت بعض المعاني من نبي إلى آخر على حسب قومه وعلى حسب معاصيهم وعلى حسب انتشار الفساد فيهم وعلى حسب أولويات الدعوة فيهم، لكن فيه كلمات كانت ثابتة عند الجميع.

طبعا المعاني اللي ربنا -سبحانه وتعالى- ذكرها لنا في كتابه الكريم وكررها الأنبياء، هذه مش محتاجة إن احنا نقول إنها هذه معاني مهمة، هذه معاني أصيلة، المعاني اللي نزل بها جبريل من فوق سبع سماوات، مع اختلاف الزمان بعد آلاف السنين ينزل سيدنا جبريل مرة أخرى من فوق سبع سماوات إلى الأرض ليخبر بها النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويعلمها للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وتصبح قرآن يتلى إلى يوم القيامة، احنا مش محتاجين نفكر كتير حتى نفهم أن هذه الأشياء مهمة في غاية الأهمية، وأن هذه القيم الدعوية قيم مهمة جدًا في غاية الأهمية، وأن

لنا فيها عبرة وعظة، وأنه علينا أن نفهمها ونتدبرها في هذه الفترة من عمر الدعوة والتي تلاقى فيها الشعراء والسحرة والكهنة والذين يشوهون الدين والذين ينتقصون من أهل الدين سواء في حرب إعلامية شرسة أو حرب مادية بين الحق والباطل.

تعالوا نشوف كده ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ –نوح، أخوهم هود، أخوهم صالح، أخوهم لوط، أَلَا تَتَّقُونَ" هنا يا جماعة معنى مهم قوي إن الله –سبحانه وتعالى– سمى الداعي إلى الله أخوهم، هو هنا دي أخوة إيه؟ فيه حاجة اسمها أخوة النسب وفيه حاجة اسمها أخوة الدين، وفيه أخوة القبيلة وفيه أخوة الأرض وفيه أنواع من الأخوات –فيه سلسلة على الساوند كلاود اللي عايز يستزيد اسمها الأخوة، لو حد عايز يستزيد عن هذا الباب– إن هنا هي دي أخوة إيه؟ دي أخوة القبيلة، أخوة النسب، إن الدعاة معروفين لدى الناس، معروفين لدى الناس بنسبهم، اللي هو "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ" المؤمنون:٦٩، اللي هم "يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" البقرة:١٤٦، هم عارفينه، عارفين نسبه وعارفين أخلاقه وعارفين حياته وعارفين قصته وعارفين معاملاته، وهم عارفينه قبل كده إن هو صادق أمين، هم عارفينه.

نقطة إن الداعي مش جاي لابس لبس مختلف عن الناس عشان يتنطط على الناس، ولا جاي من بيئة مختلفة عن الناس يتنطط على الناس، ولا جاي في واقع مختلف عن الناس فالناس تقول ده مَلَك أو ده واحد مش عارفينه ما نعرفش جاي منين، ده واحد عايش وسطهم، مش واحد بينه وبين الناس مسافات، إنما يأكل كما يأكل الناس ويشرب كما يشرب الناس ويعيش كما يعيش الناس، ودي نقطة مهمة يا جماعة إن فيه ناس بتعيش في الدعوة احتياج أو نوع من أنواع الحياة اللي هي فيها استعلاء شوية، يا جماعة لو هنطلع من الدرس اللي احنا بنتكلم فيه النهاردة ده بالمعنى ده؛ حطوا تحت الكلمة اللي هقولهالكم دي عشر خطوط، الداعي إلى الله يحتاج إلى ثواب الدعوة أكثر من احتياج المدعوين إلى الدعوة، يعني أنا النهاردة أنا مش جاي أكلمك عشان أنا عندي شوية معلومات جاي أدلدقها، ولا جاي أفرغها عندك، ولا عندي شوية استعلاء كده حابب إن أنا أقوله، إنما أنا محتاج ثواب، أنا محتاج أنجو من عذاب الله، أنا محتاج إن ربنا ينجيني، فالداعي إلى الله يحتاج إلى ثواب الدعوة أكثر من احتياج المدعو إلى هذا الكلام، لأن الله –سبحانه وتعالى– يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وإن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يهدوا رجل واحد ما اهتدى هذا الرجل حتى يأذن الله –سبحانه وتعالى–، الله –سبحانه وتعالى– لو شاء لجمع الناس على الهدى، إنما الداعي هو اللي محتاج الثواب.

هنا نقطة إن الداعي لا يستعلي على الناس، إن الداعي لا يتعامل مع الناس بنوع من أنواع الاستعلاء، إنما يتعامل مع الناس بنوع إن هو واحد وسطهم، ما يقاش بينه وبينهم مسافات، وده مش معناه إن أنا عشان أدعو الناس إلى الله لازم أفضل أصاحبهم وأحبهم ويقول لك فترة المحبة وفترة الأخوة ولازم أزيل العقبات وأزيل العوائق وأشيل الحواجز لا لا لا، ده مش معناه ده؟ النبي –صلى الله عليه وسلم– كانوا يعرفونه ويعرفون نسبه، وبعدين النبي –عليه الصلاة والسلام– لما بعث النبي –عليه الصلاة والسلام– انطلق داعية، ذهب إلى أبي جهل وذهب إلى أبي لهب وذهب إلى أبي بكر وذهب إلى علي، خاطب الناس خطابًا واضحًا، أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله، فيه ناس قبلت وفيه ناس رفضت، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– ما عملش ماتش لأبو بكر الصديق وقال لك والله تعال أما نعمل جولة ولا نعمل حفلة ولا نعمل خروجة ولا نعمل جلسة ولا نعمل مش عارف نشاط اجتماعي الأول، وبعد كده نتعرف وبعد كده نتحاب وبعد كده نتواد وبعد كده بعد بقى ١٣ سنة أبقى أكشف له عن الغطاء وأقول له على فكرة أنا كنت بدعوك إلى الله، لا لا لا، هو من أول يوم النبي –عليه الصلاة والسلام– ذهب إليه داعيًا.

فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– داعيًا واضحًا وهذا مهم في الدعوة، كلمة أخوهم ده يا جماعة بتحسسك بنوع من أنواع الألفة، بنوع من أنواع إن هم يعرفونه، بنوع من أنواع إن هم فيه بينهم وبين بعض علاقة، وهذا مهم.

وفيه ناس تطرفت، فيه واحد قرر إن هذه العلاقة هي الحاجة الأساسية في الدعوة إلى الله، فما ينفعش دعوة من غيرها، وفيه واحد قرر إن هو يتعامل مع الناس بنوع من أنواع الاستعلاء، والحقيقة إن الصواب بين هذا وهذا، لا ينبغي أن نتعامل مع الناس باستعلاء لإن أنا النهاردة بكلمك وانت بكرة بتكلمني، "الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ"[١٣]، والنقطة الثانية إن مش معنى إن هو أخوهم معناه إن هو لازم يكون بينه وبين كل واحد يدعوه إلى الله علاقة قوية وطيبة، ده يعني لو احنا عملنا كده ما كنش النبي -صلى الله عليه وسلم- لا هاجر إلى المدينة ولا أقام دولة ولا دخل الناس في دين الله أفواجًا، لو جعلنا شرط الدعوة المعرفة والمحبة والمودة كما يشترطها بعض الكتاب في علم الدعوة.

يبقى رقم واحد قال لهم أخوهم نوح أو أخوهم هود أَلَا تَتَّقُونَ، إن يا جماعة من المعاني الأساسية التي خاطب بها الدعاة إلى الله -سبحانه وتعالى- الأقوام؛ خطاب التقوى، وهنا سؤال هو ينفع نخاطب الناس بالتقوى؟ يعني ينفع أكلم الناس وأقول لهم اتقوا الله -سبحانه وتعالى- ؟ ولا كده هابقى أنا راجل شرس وراجل هجومي ومش راجل لطيف وظريف وبنفر الناس، وتجد واحد يقول لك إن منكم منفرين ازاي تكلمهم في التقوى وازاي تخوفهم؟ لا يا جماعة من المعاني المهمة بل من أصول المعاني الرئيسية، بل من أولويات المعاني الرئيسية خطاب التقوى، أَلَا تَتَّقُونَ، إن النبي -عليه الصلاة والسلام- أول معنى بلغه للناس لما أُمِرَ بالصدع، النبي -عليه الصلاة والسلام- صعد على جبل الصفا ونادى يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان، فالناس كلها اتجمعت، فقال لهم أسألكم سؤال، لو أنا قلت لكم حاجة تصدقوني؟ قالوا له نصدقك طبعا ما علمنا عليك كذبا قط، قال لهم لو أنا قلت لكم إن أنا وأنا واقف دلوقتي فوق الجبل ده إن من الناحية التانية من الجبل فيه جيش جاي يغزو مكة، تصدقوني؟ قالوا طبعا نصدقك، فقال: فإني نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، النبي أول حاجة علمها لهم؛ خوفهم، إن يا جماعة مسألة مخاطبة الناس بتقوى الله -سبحانه وتعالى-، مخاطبة الناس بالخوف من الله -سبحانه وتعالى-، مخاطبة الناس بالرهبة من الله -سبحانه وتعالى-.

والتقوى معنى عظيم معنى كبير، له معنى خاص ومعنى عام، ولكن خلينا مش هنعرف نفسر أوي في التقوى، لكن في هذا المقام مش مقامها يعني، لكن التقوى مش معناها بس الخوف ولكن لها أيضًا مدلولات أخرى شرعية، لكن مهم جدًا يا جماعة إن يعني أقصد لها مدلولات شرعية يعني أقصد إن هي لها أعمال تنبثق من هذا الخوف، من الاستسلام لأوامر الله -سبحانه وتعالى- واتباع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هنا بيقولوا: أَلَا تَتَّقُونَ، عارفين لما واحد يقول له: انت مش خايف؟ انت مش خايف من ربنا؟ لاحظ إن الكلام هنا للناس مش للشعراء، لاحظ إن الكلام للناس مش للسحرة، هو بيخوف الناس من ربنا -سبحانه وتعالى-، السحرة والشعراء في هذا الوقت اللي هو في المرحلة اللي كان فيها البيان الدعوي في سورة الشعراء كان فيه تشويه إعلامي رهيب، كان فيه تشويه إعلامي شرس على الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، كانوا بيتكلموا على الأنبياء كلام صعب جدًا، يقول: "إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ" المؤمنون:٢٥، ويقولوا إن هو إلا رجل "يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ" المؤمنون:٢٤، بيقول لك ده واحد من الآخر كده طالب شهرة، والتاني ده طالب فلوس، والتالت ده واحد مجنون، والرابع ده واحد عايز ياخد الأرض يريد "أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ" غافر:٢٦.

كانت وقتها في المرحلة دي كانت الأنبياء بيعانوا تشويه شرس من الملأ، الملأ الذين يملؤون أعين الناس، يعني كلامهم مسموع عند الجميع، فهنا؛ ودي نقطة مراعاة المرحلة إن البيان ده كان بيان في وقت الشعراء اللي ربنا -سبحانه وتعالى- نزّل جبريل بسورة الشعراء على النبي -صلى الله عليه وسلم- في مكة في وقت الاستضعاف الشديد، فكان هذا البيان يتعلم منه النبي -صلى الله عليه وسلم- دعوة الأقوام، وسنة الله -سبحانه وتعالى- في معاملة الخلق، وسنة الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى-، وكيف يتعامل الناس مع بعضهم البعض في هذا الباب.

---

[١٣] صحيح مسلم

ثم قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" الشعراء١٠٦:١٠٧، هنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا إن الداعي بيعرف الناس بنفسه، فبيقول لهم: أنا مش طالب منكم حاجة إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، دي بشارة رحمة؛ إن هذه رسالة من خالق السماوات والأرض، بيقول لهم أنا مش جاي من جعبتي، أنا مش بقول لكم كلام من عندي، أنا ببلغك رسالة، الرسول اللي بيبلغ الرسالة، أنا جاي لك أبلغك رسالة خالق السماوات والأرض إليك، ده ربط قلب المدعو بالله –سبحانه وتعالى–، مش ربط قلب المدعو بك انت، مش ربط قلب المدعو بعلاقته بك انت، مش تعليق المدعو بك انت، إنما يشعر بالأهمية إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، كلمة لَكُمْ ده أنا جاي لك انت مخصوص، دي رسالة من الله خاصة لك، إن ربنا –سبحانه وتعالى– الذي خلق كل شيء يخاطبك أنت، فهذا فيه إشعار بأهمية المدعو وإشعار بأنها رسالة وإن الداعي إلى الله هو صاحب رسالة، مش جاي يضحك على الناس، ولا جاي ياخد من الناس حاجة، ولا جاي يلف ويدور عشان يطلب من الناس مأرب، وكلمة رَسُولٌ أَمِينٌ اللي هو أنا جاي أبلغكم بأمانة دون خيانة، اللي هو عارفين "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ" الشورى:٤٨، "بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ" المائدة:٦٧.

ربنا بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام– بلغ، ومفيش آية ما بلغهاش، شوف ربنا بيقول عن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول إيه؟ بيقول: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" الحاقة٤٤:٤٧، شوفوا قوة الخطاب وربنا –سبحانه وتعالى– الله إله؛ وحده العزيز وحده القوي وحده الجبار، البشر؛ انت بتبلغ الرسالة، عليك فقط أن تبلغ الرسالة، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، من أراد أن يهتدي فليهتدي ومن أراد أن يضل فليضل، كل إنسان بيختار لنفسه وكل إنسان مسئول عن نفسه، لكن انت بلغ عليك إنك تبلغ، عليك إنك تبين، عليك إنك انت توضح، عليك إنك انت تعلم الناس، عليك إنك تنقل الناس في معاني واضحة وفي تدريج واضح علمك الله –سبحانه وتعالى– إياه، لكن "لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ" الغاشية:٢٢، هنا نقطة مهمة يا جماعة إن "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، الرسول بيقول للناس: إِنِّي لَكُمْ هو بيعرف الناس إن هو صاحب رسالة، وجاي يبلغهم رسالة من الله –سبحانه وتعالى–، وإنهم عليهم إن يختاروا، ويقول لهم: أنا أنقل لكم هذا بأمانة وإن أنا لا أغير شيء، وإن عليكم أن تختاروا وهذا ربكم كما هو ربي، وعليكم أن تختاروا في معاملتكم مع ربكم، وعليكم أن تحددوا موقفكم من كلام ربكم.

فقال الله –سبحانه وتعالى–: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، هنا نقطة تانية؛ من المعاني المهمة اللي ربنا –سبحانه وتعالى– كررها مسألة فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، هنا نقطة إن معنى التقوى هنا كان له مردود، إيه المردود؟ مردوده الطاعة، طيب الرسول كان بيقول فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، طب أنا كداعي إلى الله أو أنا كواحد عايز أدعو الناس إلى الله، هل أقول: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ؟ أطيعون ده مين؟ اللي هو انت يعني؟! يعني انت هتروح تقول للناس: أطيعوني؟

طيب ما هو انت مش الرسول، دي نقطة مهمة جدًا، أطيعوا شيخي، ما هو شيخك برضه مش الرسول، أطيعوا جماعتي؟ ما هي جماعتك برضه مش الرسول –صلى الله عليه وسلم–، إنما أيضًا هنخاطب الناس هنقول لهم: اتقوا الله وأطيعوا الرسول، إن احنا يا جماعة كلنا ينبغي علينا أن نطيع النبي –صلى الله عليه وسلم–.

كان من أول المعاني التي ينبغي أن يُخاطب بها الناس؛ تعلق قلوب الناس بالله –سبحانه وتعالى–، تقوى الله –سبحانه وتعالى– بإحساس إن هم الله يخاطبهم وقلوبهم تبقى متعلقة بالله –سبحانه وتعالى–، إحساس الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، أول أمر هو تقوى الله –سبحانه وتعالى–، وبعدين اعملوا في رضا الله –سبحانه وتعالى–، أطيعوا أوامر النبي –صلى الله عليه وسلم–، دي نقطة يا جماعة اسمها يعني إيه؟ عارفين المردود العملي، اللي هو طب أنا اتقي الله يعني أعمل إيه يعني؟ قال له لو انت عايز تتقي الله اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–، "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" آل عمران:٣١، إن معنى التقوى هنا مردوده العملي هو طاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–،

ينبغي على الناس أو على الداعي إلى الله أن يعلم الناس منهج الأنبياء، عارفين يا جماعة ده خطاب تأصيلي، اللي هو إن أنا هاخاطب الناس، هاكلمهم أقول لهم إيه؟ أقول لها انت مهم انك انت تبحثي على سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، مهم انك انت تعرفي تحبي النبي -عليه الصلاة والسلام-، مهم انك انت تتبعي النبي -صلى الله عليه وسلم-، ده خطاب عام، أنا لسه ماكلمتهاش لا في الحجاب ولا في طاعة الزوج ولا في تربية الأبناء ولا في الأكل من حلال ولا في الصلاة.

الخطاب هنا يا جماعة خطاب تأصيلي؛ إن الأول تقوى الله -سبحانه وتعالى-، ثم طاعة الأنبياء. وهنا مهم إن الداعي يفصل ما بين دعوته هو كفرد وبين دعوة أو طاعة الأنبياء، إن إذا كنا أُمِرْنَا إن احنا نكلم الناس عن طاعة الأنبياء فينبغي أن نفهم ذلك إن فيه فرق إن هم أطيعوني اللي هو أنا، وفرق إن أَطِيعُونِ اللي هو النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال الله -سبحانه وتعالى-: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ"، وبعد كده ربنا -سبحانه وتعالى- بعد ما بين إن الأنبياء رسموا للناس منهج حياة، اللي هو قال له: انت عايز توصل لربنا -سبحانه وتعالى-، عايز تقرب إلى الله -سبحانه وتعالى-، أعمل إيه؟ قال له امشي ورايا، لو عايز تتقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- تعمل إيه؟ ابحث عن طاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ابحث عن كلام النبي -صلى الله عليه وسلم-، انظر كيف أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وافعل ما أمرك به النبي -صلى الله عليه وسلم-، يبقى ده منهج حياة، منهج اتباع الأنبياء، ده منهج تأصيلي.

ثم بعد ذلك: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الشعراء:١٠٩، هنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا في البيان الدعوي، إيه هي؟ إن ينبغي على الداعي إلى الله ألا يستفيد من الدعوة إلى الله بشيء خاص لنفسه، يعني الداعي إلى الله من علامات صدقه إن هو مابياكلش من الدعوة، إن هو مابياخدش مأرب من الدعوة، إن الدعوة مش بالنسبة له سبوبة، إن الدعوة مش بالنسبة له حاجة بيستغلها عشان يطلع منصب أو فلوس أو ارتقاء مجتمعي أو تسلط على الناس، إنما هو بيفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله -سبحانه وتعالى-.

ده يا جماعة من البيان الدعوي المهم الذي ينبغي أن يوضحه الدعاة؛ الذي نقله الله -سبحانه وتعالى- على لسان الأنبياء: هود ونوح وصالح وشعيب ولوط، إن ربنا -سبحانه وتعالى- بيقول: قول لهم كده: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، بيقول لهم لو انتم متخيلين إن أنا جاي أدعوكم عشان آخد منكم صوت في الصندوق، ولا جاي أدعوكم عشان آخد منكم فلوس، ولا جاي أدعوكم عشان آخد منكم دورة تدوني فلوسها، ولا جاي أدعوكم عشان أبقى مشهور فأنال بالشهرة دي مكاسب، أنا لا أدعوكم لأجل ذلك، أنا لا أريد الأجر، الأجر يا جماعة ده شيء عطية معاوضة، يعني إيه معاوضة؟ يعني حاجة مقابل شيء فده اسمه أجر، فهنا بيقول لهم: أنا لا أسألكم عليه أجر، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، قال لهم أنا مش عايز منكم حاجة، أنا لا أريد منكم أي نوع من أنواع الأجر إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

هنا ربنا -سبحانه وتعالى- يعلم الداعي إلى الله إن هو يخلص لله -سبحانه وتعالى-، وإن هو لا يسأل الناس بدعوته ولا يأكل بدينه، وإن هو مايستعملش الدين عشان يحقق مصالح شخصية، وده بحث ممكن نبقى نتكلم فيه بعدين، لا نتكلم هنا عن مسألة جواز لأخذ الأجرة على تعليم القرآن، جواز أخذ الأجرة على الدعوة، ولا جواز أخذ الأجرة على بعض الأشياء، أنا لا أتكلم في هذا إنما أتكلم عن البيان الدعوي، ونتكلم عن أصول الدعوة، نتكلم عن قيم الدعوة، ما بتكلمش النهاردة عن استثناءات فقهية ولا بعض الأشياء التي يُتَرَخَّص فيها في بعض الأحيان لبعض الأشخاص، ولا عن بعض الأحكام الشرعية في بعض المسائل إنما أتكلم عن الأصل إن الدين يكون أعلى من المال، إن الدين أعلى من المنصب، إن الدين أعلى من الحكم، إن الدين هو سلطان، إن ربنا -سبحانه وتعالى- بعث الأنبياء لا يريدون من الناس شيئا، والدعاة إلى الله والعلماء من بعد الأنبياء لا يعلمون الناس الدين لمن يدفع أكثر، لا يلبسون الحق بالباطل لمن يدفع أكثر، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا كما فعلت علماء بني إسرائيل الذين ذمهم الله -سبحانه وتعالى-، ولا يحرفون الكلم ابتغاء ما عند الناس، ولا يجعلون الدين

قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا كما فعلت علماء بني إسرائيل وذمهم الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الكريم، ولا يغيرون الدين لأجل من يدفع اكثر أو لأجل مصلحة فلان أو علان، فالدين أعلى.

هنا ربنا يبرأ ساحة الدعوة ويأمر الأنبياء أن يخبروا الناس لا أسألكم عليه أجرًا، قال: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، لا أريد منكم منصبًا ولا مالًا ولا آخذ أجرًا منكم.

ثم بعد ذلك يذكرهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، وده متفاوت موجود في دعوة الأنبياء، عندك بقى على اختلاف المواجهات اللي هو مثلًا "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الشعراء١٣٢:١٣٥، يحذر الناس من المعاصي يخوف الناس من الدار الآخرة، وده فيه تغير على حسب الأقوام، يعني ممكن نفصل في كل قوم من الأقوام وكيف خاطب المرسلين الأقوام، لكن مهم جدًا يا جماعة مسألة إنه يُذَكِّر الناس بالله –سبحانه وتعالى– وتقوى الله، يُذَكِّر الناس باتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، يُعرف الناس أنها رسالة من الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أن الله اهتم بهم، وأن الله –سبحانه وتعالى– أجزل لهم العطاء ومن عليهم بأن بعث فيهم الأنبياء والمرسلين، ثمُ ذَكِّر الناس أن هذا ليس لأجل تحصيل مسألة دنيوية كما يفعله البعض، ولا أن هذا لتحصيل مكانة حتى تتبرأ ساحة الناس.

ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ" الطور:٤٠، قال له هو انت طلبت منهم فلوس، فهم خايفين إنهم يدفعوا فلوس لو أسلموا؟ فهنا نقطة إن من صفات الداعي إلى الله أن يبرئ ساحته، وأن تكون الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ثم التذكير بالدار الآخرة، والتذكير بنعم الله –سبحانه وتعالى– وعطاء الله –سبحانه وتعالى– "أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ".

واحنا في قصص الأنبياء تكلمنا في هذا كثيرًا من أراد أن يراجع قصص الأنبياء أيضًا موجودة على الساوند كلاود وموجودة على اليوتيوب اللي عايز يسمع في مسألة قصص الأنبياء وازاي على اختلاف بقى معاصي الأقوام التي واجهها الأنبياء، كيف واجه الأنبياء معاصي أقوام؟ يذكرهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، ثم يحذر من أولويات المعاصي، ده متغير؛ يعني سيدنا لوط تكلم في معصية قومه اللي هي الشذوذ، وسيدنا شعيب تكلم في معصية قومه اللي هي التطفيف في المكيال والميزان، وسيدنا نوح تكلم في معاصي قومه من إن هم كانوا يخترعون دين؛ ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وسيدنا إبراهيم تكلم مع عباد الأصنام، وتكلم مع عباد الكواكب وتكلم مع الملحدين إن ازاي إن هو بيخاطب هؤلاء على قدرهم، بيخاطب كل الناس على قدر ما يحتاجون إليه، ويصل الأمر بين الدعاة والأقوام في الآخر خالص بعد البيان الدعوي القوي إلى نوع من أنواع المفاصلة: "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ" الشعراء:١١٦، "قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ" الشعراء:١٦٧، يا جماعة الأنبياء لم يتركوا شيء لم يتكلموا فيه، يعني مع نوح –عليه السلام– كان فيه طبقية في المجتمع يقولوا: "وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ" هود:٢٧، ازاي الأنبياء واجهوا هذه الطبقية في المجتمع؟ وازاي إن الناس رفضت دعوة سيدنا نوح –عليه السلام– لأنها تساوي بين الجميع، وتعدل بين الجميع، وتجعل الناس كلها سواء في عبودية الله –سبحانه وتعالى–، وازاي سيدنا نوح عانى مع قومه لما صدوا عن سبيل الله، ورفضوا الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– لأنهم يعترضون على أن يكون هناك أراذل في وسطهم، وازاي إن هم يتكلموا بهذا الكلام كما قال الله –سبحانه وتعالى–: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ –هو بيقول لهم هو أنا مالي باللي انتم بتقولوه ده؟– إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ –قالوا له ما تمشيش مع فلان وعلان واحنا نصاحبك، بص ماتساويناش بالناس دي، قال الله –سبحانه وتعالى– وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ –قال لهم أنا جاي أخوفكم من ربنا –سبحانه وتعالى–، أنا جاي أبلغكم رسالة الله –

سبحانه وتعالى–، ثم بعد ذلك تحملوا تبعات اختياراتكم– قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ" الشعراء١٠٥:١٢٠.

المرة اللي فاتت تكلمنا واحنا بنتكلم في فضل الدعوة إلى الله قلنا إن الدعاء ينجون أولًا، شوفوا في لحظة مواجهة قوم نوح لنوح –عليه السلام–، ربنا بيقول: فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ أول حاجة صدر أمر النجاة للدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى–، ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ، وبعد كده صدر الأمر بإهلاك الأقوام، قال: "إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٢١:١٢٢، هنا نقطة مهمة، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: هذه عبرة وهذه آية ينبغي أن يتفكر فيها أهل الإسلام.

كذلك حارب الدعاة مع الجيوش الجبارة، مع المتقدمين عسكريًا، سيدنا هود –عليه السلام– وهو بيخاطب القوم المترفين، الذين لهم مصانع ومباني متقدمين في السلاح والقوة، عندهم كل الخيرات، فكيف ذَكَّرَهم هود –عليه السلام– بنعم الله –سبحانه وتعالى–؟ قال –تعالى–: "كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ" الشعراء١٢٣:١٢٦، لاحظوا نفس الكلمات بتتكرر، نفس الكلمات أخوهم هود أخوهم نوح، ألا تتقون، إني لكم رسولٌ أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين، ثم بدأ هود –عليه السلام– يُذَكِّر عاد بنعم الله –سبحانه وتعالى–: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ" الشعراء١٢٨:١٣٠، بيقول لهم: هو انتم عندكم قوة وقاعدين تتجبروا على الناس وتتكبروا على الناس، "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" الشعراء١٣١:١٣٥، ذَكَّرهم بالدار الآخرة، "قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ –قال تعالى– فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٣٥:١٤٠.

حرب الدعاة أو مواجهة الدعاة مع أصحاب الأسباب الدنيوية وأصحاب التقدم المعماري وأصحاب التقدم الصناعي وأصحاب التقدم الاقتصادي. سيدنا صالح مع قومه ثمود وكانوا متقدمين في البناء ولهم اقتصاد قوي وكيف ذَكَّرَهم صالح –عليه السلام– بنعم الله –سبحانه وتعالى– وأن الله هو الذي أمَّنهم وهو الذي أَمَدَّهم وهو الذي جعل لهم الجنات ووفر لهم عيون الماء ليشربوا منها، الله –سبحانه وتعالى– هو الذي رزقهم الزرع والنخيل والثمار وأن بيوتهم التي يسكنون فيها وقوتهم في النحت والبناء كل هذا من فضل الله –سبحانه وتعالى– عليهم، لكن هؤلاء أيضًا تجبروا ورفضوا دعوة صالح –عليه السلام–.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ – لاحظوا إن مقدمة البيان الدعوي عند الأنبياء في سورة الشعراء إيه؟ واحدة، وهذا يدل على الأهمية ويدل على أهمية هذه القيم، قال:– وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ –لحد هنا نوح وهود وصالح نفس الكلام مشتركين فيه، ثم بعد ذلك: أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ –بدأ يخوفهم على دنيتهم، قال لهم انتم فاكرين الحاجات دي هتفضل مستمرة، انتم فاكرين الحاجات دي هتفضل موجودة، الحاجات دي من نعم الله –سبحانه وتعالى– وأنتم تتجبرون بها على طاعة الله –سبحانه وتعالى– قال:– وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٤١:١٥٩.

ثم حرب الدعاة ومواجهة الدعاة مع الشهوات والمجتمع الشهواني، سيدنا لوط –عليه السلام– الذي واجه هؤلاء القوم الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، هؤلاء الذين كانوا يبتدعون ويخترعون المعاصي، عندهم شذوذ فكري وشذوذ جنسي، فأنكر عليهم لوط –عليه السلام– وذهب إلى من يرتكبون المنكر، ولم يكتفي لوط –عليه السلام– بأن يجلس في مكانه بل اخترقهم وتكلم معهم ونصحهم ودعاهم إلى الله –سبحانه وتعالى–، وبيّن لهم ظلمهم واعتداءهم وأدّى ما عليه من البلاغ المبين، فلما رفضوا النصح هددوه بالإخراج والنفي، فأعلن أنه بريء من هذه الأعمال المشينة، وأنه بلغهم ودعا ربه –سبحانه وتعالى– أن ينجيه من كيدهم.

فهكذا الدعاة وهكذا الدعوة تستمر من مرحلة إلى مرحلة حتى تصل إلى نهاية التحدي، قال –تعالى–: "كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ –قال لهم هو انتم بتعملوا الفعل الفاحش ده؟– أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ –قال لهم ده اعتداء ده ظلم– قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ –قالوا له لو انت ما سكتش احنا هنخرجك برانا– قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ –قال لهم أنا أترك هذا أهجر هذا، عارفين ما ودعك ربك وما قلى، يعني هجرك، إني لعملكم من القالين، يعني أنا سأهاجر وأترككم، قال:– رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ –قال يا رب نجني من هؤلاء، لأن هؤلاء توعدوا لوط –عليه السلام–، قال تعالى:– فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٦٠:١٧٥.

قصة شعيب –عليه السلام–، وكان قومه تجار يُخْسِرون الميزان ويطففون المكيال، ويغشون في البيع، ويبخسوا الناس أشياءهم، فاتهموا شعيب –عليه السلام– بالكذب، وهكذا يتهمون كل من بلغ دين الله –سبحانه وتعالى–.

قال –تعالى–: "كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ –سيدنا شعيب اخترق هؤلاء ونزل كلم هؤلاء ما كلمهمش في الشذوذ، ماكلمهمش في مسألة هم مش عايشينها، إنما كلمهم في واقعهم وأولوياتهم هم، أولويات الحياة اللي هم عايشينها، كلمهم الأول عن ربنا وعن طاعة ربنا وعن عظمة ربنا وعن الدار الآخرة، وكلمهم بنعم الله –سبحانه وتعالى–، ثم أنكر عليهم المعاصي التي يعيشونها في حالهم وفي واقعهم، قال الله –سبحانه وتعالى– إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ –قال لهم البيع والشراء اللي انتم بتبيعوه ده حرام، الموازين اللي انتم بتتعاملوا بها ده حرام، انك انت تطفف المكيال والميزان ده حرام، انك انت تتعامل بموازين مختلفة ده ظلم، قال الله –سبحانه وتعالى– وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" الشعراء١٧٦:١٩١.

الشعراء والملأ عبر العصور يواجهون الأقوام، قالوا لشعيب: انت كذاب، وقالوا للوط: انت مسحور، وقالوا لنوح: انت ضعيف ومجنون، وشتموا النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولكن الله –سبحانه وتعالى– ذكر ذلك للنبي –صلى الله عليه وسلم– وذكر قصص الأنبياء في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– حتى يقتدي النبي –صلى الله عليه وسلم– بهؤلاء، وحتى يعرف النبي –صلى الله عليه وسلم– أن هذه سنة الله –

سبحانه وتعالى– في المعاملة، وأن الأقوام لهم دأب معين، لا ينبغي على الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– إن هم يتركوا الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– لبعد الناس عن الله، إنما ينبغي أن يخترقوا الناس وأن يكلموا الناس وأن يبلغوا دين الله –سبحانه وتعالى–.

إن الدعاة إلى الله يعيشوا كما يعيش الناس، إن هم الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– يسيروا في وسط الناس يأكلون كما يأكل الناس ويعلمون الناس أولويات الدين، ويظهرون ويبينوا للناس نعم الله –سبحانه وتعالى– وعطاءات الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– مطلع على كل شيء محيط بكل شيء، وأن الله –سبحانه وتعالى– كل الخير منه –سبحانه وتعالى–، ثم رد الشبهات وازاي إن ممكن تكون شبهة مثلًا واحد من الناس يظنها شبهة بتمنعه من إن هو يفهم، وازاي الأنبياء ردوا الشبهات الناس ثم يستكمل النبي، خدوا بالكم يا جماعة إن الأنبياء ما كانوش حد بيوديهم ويجيبهم، إنما هم ينفذون أوامر الله –سبحانه وتعالى–، يبلغون دين الله –سبحانه وتعالى–، يعني هو مش كل واحد في المجتمع هيوديه في حتة ويجيبه من حتة، إنما هو له خط سير واضح، هو له أولويات واضحة، هو عارف هدفه وعارف هو عايز إيه من الناس.

الوقت مر سريعا ولكن نكتفي بهذا القدر في مسألة إن احنا يا جماعة محتاجين البيان الدعوي، محتاجين نفهم احنا هنكلم الناس في إيه؟ محتاجين نفهم احنا عايزين إيه؟ محتاجين نفهم أولويات الشرع إيه؟ محتاجين نفهم أولويات الناس إيه؟ محتاجين نعرف إيه الحاجات الرئيسية التي ينبغي أن نفعلها وأن نكلم الناس فيها، وطبعا كل ذلك ينبغي أن يكون على معيار الوحي، يعني ينبغي أن يكون ده متخذ من الوحي، ينبغي إن احنا نبحث في الوحي، وندور في الوحي ونفكر كيف عالج النبي –صلى الله عليه وسلم– الناس؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– سلوكيات الناس؟ كيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– الأفراد؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– الأعمال؟ وكيف غير النبي –صلى الله عليه وسلم– المجتمع؟ كيف تغيرت الأخلاق؟ وكيف تغيرت العقائد؟ وكيف تغيرت حياة الناس؟ إن مش كله زي بعضه، هل يخاطب الصغير كالكبير؟ لا، هل يخاطب العالم كالجاهل؟ لا، هل أولويات الناس زي بعضها؟ لا، لكن مهم إن احنا نفهم ونبحث وندور من كلام الله ومن سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى نستطيع أن نصل في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– إلى باب من أبواب الإحسان.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما هو المعروف وما هو المنكر؟

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

نُذَكِّر أنفسنا وإياكم بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قومُوا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[١٤]، وبقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[١٥]، فيعني نستحضر النوايا إن احنا في هذه الساعة نتذاكر كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، وإن احنا يعني نتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– اللي ترك بيته واللي ترك شغله، واللي استقطع جزء من وقته لكي يسمع كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني لا شك أن هذا محمود عند الله، وإن احنا بنعمل ده كله ونريد أن نتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى–. نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.
إن شاء الله النهاردة هنبدأ في رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي رسالة جميلة نافعة، فيها معاني جليلة كبيرة، رسالة موجودة في كتاب الاستقامة، وكتاب الاستقامة من الكتب الجميلة لشيخ الإسلام، من أنفع الكتب؛ فيه قضايا عظيمة وفيه تقريرات كبيرة في مواضيع كثيرة من مواضيع الدين عمومًا، ومنها هذه الرسالة؛ تقرير جميل من شيخ الإسلام بيتكلم في أمر الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي موجودة في مجموع الفتاوى جزء منها، وبعض أهل العلم استخرجها وحققها وحدها، وده موجود في الرسالة التي بين أيدينا كنت بعت اللينك للناس، هي موجودة أيضًا على النت لها طبعات متفاوتة.

إن شاء الله نبدأ فيها بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–، هو شيخ الإسلام بيقول: فصلٌ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيقول: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، وأرسل به رسله وهو من الدين، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء"، هو بيقول إن ده عمل من أعمال الدين، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ده من جملة تكاليف الدين، هذا أمر عظيم من أمور الدين، بل هو من ركائز الدين الإسلامي، يعني من الأشياء المهمة العظيمة في هذا الدين؛ مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مسألة الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.
وتكلمنا قبل ذلك في مسألة أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والألفاظ المختلفة لهذا المعنى، "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ" النحل:١٢٥، سواء الدعوة، سواء النصيحة، سواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني فيه ألفاظ كثيرة جدًا؛ الموعظة الحسنة، الحكمة، يعني فيه ألفاظ كثيرة جدًا عُبِّرَ بها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
هنا اللفظ العام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام هيفسره وهيقول إيه معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن هو الأول بيقرر تقرير أن هذا من الدين الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، إن ربنا –سبحانه وتعالى– أرسل الرسل ليه؟ ليأمروا بالمعروف وينهوا عن

---

[١٤] حسنه الألباني
[١٥] صحيح مسلم

المنكر، ليدعوا الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–، ليعلموا الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، ليزكوا الناس ويقربوا الناس من الله –سبحانه وتعالى–، ليبلغوا الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، ليبلغوا الناس الحلال والحرام، فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما قامت الرسالة ولا بُعِثَ الأنبياء، الأنبياء بعثوا بالدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

لو احنا النهاردة جينا عملنا استقصاء كده لوظائف الأنبياء، يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– كان بيشتغل إيه؟ هل كان بيشتغل طبيب ولا مهندس ولا مدير ولا رئيس؟ النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يعمل داعي إلى الله –سبحانه وتعالى–، كان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر. كذلك سائر الأنبياء كانوا يعملون في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، كانوا يعملون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهو بيقول أن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه، الله –سبحانه وتعالى– أنزل الكتب آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، الله –سبحانه وتعالى– أنزل الكتب وأمر الأنبياء بأن يأمروا الناس بهذه الكتب، وأمر الأنبياء أن يبلغوا الناس هذا الدين، فلولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما وصل الدين إلينا، ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما انتشر الدين، ولما قام صراع الحق والباطل، ولما كان هناك رسالة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من أعظم الدين.

واحنا اتكلمنا في كذا درس عن مسألة فضل الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وكيف فضل الله –سبحانه وتعالى– هذا العمل من أعمال الدين، وكيف أن الله –سبحانه وتعالى– يثيب عليه ويعطي عليه ما لا يعطي على غيره.

وكان ابن القيم له كلام جميل في تفسير كلام شيخه شيخ الإسلام؛ ابن القيم تلميذ ابن تيمية، فكان بيتكلم على مسألة إن جميع الأنبياء أُمِرُوا بالجهاد بالكلمة، وبيتكلم إن الجهاد أنواع: جهاد السنان وجهاد الكلام، وإن جهاد الكلمة أعظم من جهاد السيف، مع إن ذروة سنام الإسلام الجهاد بالسيف، هو استدل بأن جميع الأنبياء أُمِرُوا بجهاد الكلمة، وجميع الأنبياء أُمِرُوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في حين إن الجهاد بالسيف لم يؤمر به جميع الأنبياء، يعني فيه بعض الأنبياء وده هيوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب.

هنا بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء، هنا بيوضح شيخ الإسلام بيقول: هو إيه الدين؟ احنا أُمِرْنَا إن احنا ندعو إلى الدين، طب هو احنا فاهمين يعني إيه الدين؟ هو بيتكلم إيه هو الدين؟ الدين هو الوحي. الدين هو رسالة الله –سبحانه وتعالى–. الدين: قال الله، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–. الدين هو البلاغ عن الله –سبحانه وتعالى–، وإقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–، معرفة أمر الله –سبحانه وتعالى–، فهو بيقول إن رسالة الله –سبحانه وتعالى– إما إخبار وإما إنشاء.

يعني إيه إخبار؟ يعني ربنا –سبحانه وتعالى– بيخبرنا عن الأمم السابقة وهذا ليس فيه نسخ، النسخ اللي هو نسخ حكم بحكم "مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا" البقرة:١٠٦، هنا الأخبار مفيش فيها نسخ، الأخبار دي اللي هي ربنا –سبحانه وتعالى– بيخبرنا عن شيء، والخبر إما عن الله –سبحانه وتعالى–؛ يعني الله يخبرنا عن أسمائه عن صفاته عن أفعاله عن سننه في معاملة الخلق عن ثوابه عن عقابه، ربنا بيخبرنا عن شيء، وإما إنشاء.

فهنا بيقول إن رسالة الله –سبحانه وتعالى–، إن القرآن الكريم وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، الرسالة عمومًا، رسالة الله من السماء إلى الأرض، رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– فحوى هذه الرسالة إما إخبار وإما إنشاء.

الإخبار يعني ربنا بيخبرنا عن شيء، الخبر ده حاجة من اتنين: يا إما ربنا بيخبرنا عن نفسه اللي هو الله بيخبرنا عن أنه هو السميع أنه هو البصير أنه هو القوي أنه هو العزيز، يخبرنا أنه على كل شيء قدير، دي معلومة ده خبر، خبر احنا بنتلقاه، وإما إن ربنا بيخبرنا عن أحداث حصلت في الكون، إما الأحداث دي حصلت للأنبياء والمرسلين أو حصلت للمفسدين والفجرة والكفرة.

الإخبار إما خبر عن الله وإما خبر عن الخلق وإما خبر عن الكون. ده جزء من الرسالة، يبقى الرسالة إما إخبار يعني الله يخبر إما عن نفسه وإما عن الناس، اللي هي قصص القرآن اللي هو "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ" يوسف:٣. القرآن فيه أحسن القصص، بعض أهل العلم حمل إن قصة يوسف هي أحسن القصص، وشيخ الإسلام رد على هذا الكلام وقال: لا، إن قصة سيدنا نوح أفضل من قصة سيدنا يوسف –عليه السلام–، لإن سيدنا يوسف كان غاية ما فيه أنه نبي حسده إخوته، لكن قوم نوح آذوه على الدين، عداوة إخوة يوسف ليوسف –عليه السلام– لم تكن عداوة شرعية إنما كانت عداوة نفسية، يعني هو واحد بيحسده هو مش زعلان منه عشان هو متدين، هو مش بيعاديه عشان الدين، "لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ" يوسف:٨، هم شافوا إن سيدنا يوسف يلفت نظر أبيه اكتر من منهم.

لكن عداوة قوم نوح لنوح، عداوة عاد لهود، كانت على الدين، فهو هنا بيستدل على إن ليست قصة يوسف هي أروع القصص ولا أعظم القصص ولا أحسن القصص، وإن كان ده قول من أقوال أهل التفسير، إنما هناك من قصص القرآن ما هو أعظم وأجل من قصة يوسف –عليه السلام–. إن سيدنا يوسف كان النبي وهناك في القرآن قصص مرسلين والرسول أعلى من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، لكن قصص القرآن عموما هي أحسن القصص، "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ" يوسف:٣، إن كل قصص القرآن هي أفضل القصص، لإن فيها العبرة والعظة، يعني عارفين وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ، يعني واحد يقتص الآثار واحد بيمشي ويتتبعه، القصة هي الأحداث المتتابعة، فهنا بيقول أحسن القصص لأن فيها العبرة، لأنها متماسكة، لأنها جزلة الألفاظ، لأنها جزلة المعاني، لأنها قيمة، لأنها فيها الفائدة العظيمة بالألفاظ القليلة، لأن فيها أعظم البلاغ، لأن فيها تكرار للنماذج وأنماط البشرية.

هنا الإخبار اللي هو جزء من هذا الوحي فيه جزء إخبار عن الله –سبحانه وتعالى– وجزء إخبار عن المخلوقات أو جزء إخبار عن البشر اللي هي القصص.

يبقى بيقول: فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء. يعني إيه إنشاء؟ يعني شيء أنشأه الله، ده تقسيم الكلام في البلاغة يقولوا إما إخبار أو إنشاء في اللغة العربية، لإن الإنشاء اللي هو الأمر والنهي والإباحة وهنا دخل الإباحة في الإنشاء، يعني أنشأ حكم أنشأ أمر أنشأ نهي.

فهنا بيقول: إن الرسالة إما إخبار وإما إنشاء، الإخبار: إخبار عن نفسه –عز وجل– وعن خلقه، يبقى لو احنا هنقسمها كده تقسيمة يبقى الرسالة إما إخبار وإما إنشاء، لو جينا تحت كلمة إخبار هنشد السهم كده هيبقى إخبار عن الله –سبحانه وتعالى– أخبر الله عن نفسه، وإما إخبار عن خلقه، الإخبار عن نفسه زي التوحيد زي ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ" محمد:١٩، هنا ربنا بيخبرنا عن ذاته بيخبرنا أنه لا يعبد سواه، وأنه لا خالق إلا هو –سبحانه وتعالى–، اعلموا أن الله بكل شيء بصير، اعلموا أن الله على كل شيء قدير، اعلموا أن الله سميع بصير، هنا أمر بالعلم؛ إن يا جماعة العلم عن الله –سبحانه وتعالى– إخبار عن الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا بنتعلم رسالة فيها جزء كبير جدًا كلام عن الله –سبحانه وتعالى–، وهذا أعظم ما تُكُلِم به، يعني بيقولوا شرف العلم بشرف المعلوم، وليس أعظم من الله –سبحانه وتعالى–، لذلك كانت أعظم العلوم، علوم الشرع وأعظم علم في علوم الشرع، علم التوحيد؛ العلم الذي يتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–، وطبعا ليس أفضل من الله –سبحانه وتعالى– يتكلم عن نفسه، لذلك كان أعظم كتب العقيدة على الإطلاق هو القرآن الكريم الذي علمنا عن الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول إخباره عن نفسه وعن خلقه، إخباره عن نفسه يعني ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر عن نفسه اللي هو التوحيد لله –سبحانه وتعالى–. والإخبار عن خلقه اللي هو القصص الذي يندرج فيها الوعد والوعيد. إن ربنا –سبحانه وتعالى– أخبر عن قصص الناس الصالحين وقصص الناس المفسدين.

كان ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية بيتكلم يقول: إن فحوى الرسالة لو احنا عايزين نشوف القرآن؛ هو القرآن كتاب طب ولا كتاب جيولوجيا ولا كتاب تاريخ، فقال: أن هذا الكتاب العظيم كتاب الله –سبحانه وتعالى– يتكلم عن الله، وعن الطريق الموصلة إلى الله اللي هي إيه؟ اللي هي الحلال والحرام اللي هي أحكام في الطهارة وفي الصلاة وفي الصيام وفي الزكاة وفي الحج وفي الجهاد وفي العلاقات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية، اللي هي الكلام عن الله والكلام على الطريقة التي يحبها الله –سبحانه وتعالى– والأشياء التي لا يحبها الله –سبحانه وتعالى–، ثم الكلام عن ثواب الله وعقابه، يعني فحوى الرسالة هتتكلم هتلاقي فيه في الجنة، هتتكلم هتلاقي كلام عن النار، ثم بعد ذلك قصص الناس الذين أطاعوا الله –سبحانه وتعالى–، وكيف أثابهم الله، والناس الذين عصوا الله –سبحانه وتعالى– وكيف عاقبهم الله –سبحانه وتعالى– في الدنيا والآخرة؟ ده فحوى رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فهنا بيقول فالإخبار عن نفسه زي التوحيد، والإخبار عن خلقه مثل القصص الذي يندرج فيها الوعد والوعيد والإنشاء، اللي هو بقى الصنف التاني من الرسالة أو الجزء التاني من فحوى الرسالة اللي هي الإنشاء، إن الله –سبحانه وتعالى– أَمَرَ ونَهَى، إن ربنا –سبحانه وتعالى– أباح، في حديث كنا شرحناه في الأربعين النووية إن ربنا حد حدود وفرض فرائض ونهى عن أشياء، إن هناك فيه حاجة يا جماعة ربنا أمرنا إن احنا نعملها اسمها فرائض اسمها أمور شرعية واضحة واجبات علينا أن نفعلها، وفيه حاجات ربنا –سبحانه وتعالى– تركها لنا في المباح، يعني فيه مساحة كده ربنا قال لنا اعملوا فيها اللي انتم عايزينه بس ما تتعدوش الحدود دي، فرسم لنا حدود وداخل الحدود في إيه؟ في جزء مباح، وفي حاجات ربنا –سبحانه وتعالى– سكت عنها من غير نسيان، ليه؟ لأنها متغيره عبر الزمان، فربنا أراد رحمةً بالبشر إن الناس يعرفوا الأصول العامة فيها وبعد كده إيه؟ هم ينفذوها، يعني مثلًا لو جيتوا تشوفوا مش هتلاقوا مثلًا في طرق الحكم مثلًا آيات كثيرة جدًا، إنما هتجد مثلًا آيات عن العدل، هتجدوا إن مثلًا في طرق الزراعة مش هتجدوا آيات بتتكلم على طرق الزراعة، إنما هتجدوا آيات بتتكلم على أداء الحقوق في المعاملات المالية، هنا فيه حاجات يا جماعة متغيرات، هذه المتغيرات لأنها تتغير عبر الزمان والعالم بيتطور والعلوم الإنسانية بتتطور فتجد الإسلام وضع لك حدود بس، قيم واضحة عليك أن تتعامل بها، لكن فيه حاجات هتجد إن القرآن فصل فيها تفصيلات كبيرة جدًا عظيمة جدًا واسعة جدًا تفصيل اللي هو يعني تفصيل التفصيل، فتتعجب، هو ليه؟ لما جه في التجارة مافصلش التفاصيل دي؟ ليه لما جه في الحكم والسياسة ما فصلش التفاصيل دي، إنما وضع أصول عامة؟ ولما جه مثلًا في الطهارة ولا في أحكام الحيض والنفاس وأحكام الصلاة وأحكام الزكاة تجد تفاصيل التفاصيل، ليه؟ لأن هذه الأشياء لا تتغير عبر الزمان لإن ده اسمه مشترك إنساني، المشترك الإنساني؛ الإنسان مش فجأة يبقى قرد ولا هيتحول مثلًا شمبانزي ولا هيتغير يبقى نوع تاني من غير الإنسان، هو الإنسان هيفضل إنسان، هنا المشترك الإنساني تجد الشرع فيه فصل تفاصيل لإن هذه أشياء وأحكام لا تتغير عبر الزمان.

هنا شيخ الإسلام بيقول: إن فحوى الرسالة يا إما إخبار وإما إنشاء، وهذا كما ذكر في الحديث أن: "{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"[١٦]، لتضمنها الثلث الذي هو التوحيد. يعني هو بدأ يقول إيه؟ بيستدل بقى شيخ الإسلام على إن التوحيد تلت الرسالة، بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام–قال إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، يعني إيه تعدل ثلث القرآن؟ فقال: تعدل ثلث القرآن، يا جماعة قل هو الله أحد اسمها سورة الإخلاص، سورة قل هو الله أحد بتتكلم عن إيه؟ بتتكلم عن الله –سبحانه وتعالى– وحده لا شريك له، بتتكلم أنه هو الله أحد الله الصمد، الصمد الذي يصمد إليه الناس، الصمد اللي هو أعلى كل شيء، الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق عند الحاجات، الصمد الذي لا جوف له.

---

[١٦] صحيح مسلم

هنا شيخ الإسلام بيقول: إن النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: "{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" معناه إن تلت معاني القرآن بيتكلم عن الله، يبقى هو بيقول: إن القرآن تلت بيتكلم عن الوعد والوعيد الجنة والنار، وتلت بيتكلم عن الأحكام، وتلت بيتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول لما النبي –عليه الصلاة والسلام–يقول: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن معناها إن تلت آيات القرآن تتكلم عن إيه؟ عن الله –سبحانه وتعالى–، لأنها سورة تتكلم عن الله "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" فلا يقاس على الله –سبحانه وتعالى–، ولا يقيس أحد الله –سبحانه وتعالى– على شيء من خلقه، الله ليس كمثله شيء، الله لم يلد ولم يولد، كل حاجة في الدنيا احنا نعرفها بتلد وتولد، الأفكار تتولد من أشياء والمخلوقات تتولد من مواد، النسل يتولد من الأصلاب، لكن الله –سبحانه وتعالى– وحده ليس كمثله شيء فلا أحد يقيس على الله –سبحانه وتعالى–، فالله ليس في عزته أحد، وليس في قوته أحد، وليس في قهره أحد، وليس في جبروته أحد، وليس في ملكه أحد –سبحانه وتعالى–، بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير ليس كمثله شيء، "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" كفوا يعني مكافئ لله –سبحانه وتعالى– أو كفوا يعني شبيه أو شريك لله –سبحانه وتعالى–، فليس هناك أحد يشترك مع الله –سبحانه وتعالى–، ولا يشرك الله –سبحانه وتعالى– في ملكه أحد ولا في حكمه أحد –سبحانه وتعالى– الفرد الصمد الذي يَحكم ولا يُحكم.

فهنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير؛ الأول إن الرسالة عبارة عن إخبار أو إنشاء وإن الإخبار ده إخبار عن الله –سبحانه وتعالى–، وإن ده تلت الوحي، تلت المصحف يتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–، وده يا جماعة حاجة مهمة تخلينا نقف مع أنفسنا وقفة مهمة احنا يا ترى حالنا إيه مع أسماء الله الحسنى؟ احنا علاقتنا إيه بمعرفة الله –سبحانه وتعالى–؟ لما نقول احنا بنحب ربنا، هو احنا نعرف إيه عن ربنا؟ الحب فرع المعرفة، يعني أنا عشان أقول أنا بحب ربنا –سبحانه وتعالى– أنا محتاج أكون بأقرأ عن الله، محتاج أكون أعرف عن الله، محتاج أعرف صفاته وأسماءه ومعاملاته، محتاج أعرف كلامه. فلانة عرفت فلانة عرفتها منين؟ والله اتعاملت معاها والله سمعت عنها والله قرأت لها فهي بدأت تعرف عنها. احنا النهاردة بنقول المسلمين يعرفون عن ربهم، ما الذي يعرفه المسلمون عن ربهم؟ محتاجين نعرف عن الله –سبحانه وتعالى–؟ وخصوصا إن دي مسألة مهمة جدًا في كتاب الله –سبحانه وتعالى–، يعني قلما تجد آية في كتاب الله إلا وهي مذيلة باسم من أسماء الله الحسنى، احنا حالنا إيه مع أسماء الله الحسنى؟ حالنا إيه مع صفات الله؟ حالنا إيه مع سنن الله في معاملة الخلق؟ فيه سور كاملة في القرآن بتتكلم عن كيف يتعامل الله –سبحانه وتعالى– مع خلقه، إن ربنا –سبحانه وتعالى– مش بيتعامل مع الخلق كما معاملة الخلق لبعضهم لبعض، إنما الله –سبحانه وتعالى– العلي الكبير المتعال الله –سبحانه وتعالى– الذي يتعالى على خلقه، الله العلي الأعلى الذي هو أعلى من كل شيء، ربنا –سبحانه وتعالى– ما بيتعاملش معنا بمعاملتنا، ربنا –سبحانه وتعالى– كبير الأكبر –سبحانه وتعالى–.

فهنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير؛ إن تلت القرآن بيتكلم عن الله، وبيستدل بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: إن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، قال: لأن القرآن توحيد وأمر وقصص، بدأ يقول بقى إيه؟ هنا القرآن عبارة عن إيه؟ تلات اتلات، التلت الأولاني بيتكلم عن الله –سبحانه وتعالى–، التلت التاني بيتكلم عن الأمر والنهي، التلت التالت بيتكلم عن القصص.

قال: وقوله –سبحانه وتعالى– في صفة النبي –صلى الله عليه وسلم– يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث زي في سورة الأعراف؛ في قول الله –سبحانه وتعالى– بعد قوله: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" الأعراف:١٥٦، ربنا –سبحانه وتعالى– الآية اللي بعدها قال: "الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" الأعراف:١٥٧، هنا ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر صفة من صفات النبي –صلى الله عليه وسلم–، ربنا ذكر الأول رحمته وإن رحمة ربنا –سبحانه وتعالى– وسعت كل شيء، لكن مين اللي هينال رحمة الله –سبحانه

وتعالى-؟ الذين يتقون ويؤتون الزكاة، الناس اللي بتتقي ربنا -سبحانه وتعالى- أولئك سيرحمهم الله، مين اللي ربنا هيرحمه؟ مش الناس اللي كفرت بالله -سبحانه وتعالى- والناس اللي مش مؤمنة بربنا -سبحانه وتعالى-، إنما ربنا هيرحم اللي آمن بالله، اللي آمن برحمة الله، اللي آمن أنه لا إله إلا الله، اللي آمن أن الله يعامله، يعني فيه واحد مش مؤمن بوجود ربنا أصلًا، ربنا هيرحمه في إيه؟ هو أصلًا إذا كان هو مش مؤمن بإن فيه رحمة أصلًا هيرحمها في الآخرة، فهنا ربنا -سبحانه وتعالى- بيذكر لنا من الذي سيرحمه الله -سبحانه وتعالى-؟ ثم ذكر الله ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾، إن مين اللي هيرحمهم ربنا؟ اللي هم يتبعون الرسول النبي الأمي، اللي هو مين؟ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ هو رسول نبي أمي مكتوب في التوراة والإنجيل، إيه صفته؟ يعني إيه صفة هذا الرسول؟ معروف بإيه؟ قال: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ هنا الآية دي شيخ الإسلام هيقف معاها وقفة جميلة في مسألة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، هذه صفة مميّزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

صفة النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب سؤال، طب ما هو سيدنا موسى صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا عيسى صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا هود صفته أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، طب ما سيدنا نوح صفته إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لكن هناك ميزة خاصة، خصيصة خاصة للنبي -صلى الله عليه وسلم- بهذه الآية، ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، قال: هذا بيان لكمال رسالته -صلى الله عليه وسلم-. فإنه -صلى الله عليه وسلم- هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، هنا يا جماعة تقرير عظيم من التقارير التي قررها شيخ الإسلام، وهو يتكلم عن خصيصة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، ميزة له عن باقي الأنبياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إيه هي؟ إن النبي -عليه الصلاة والسلام- أمر بكل معروف في الدنيا، وأنه نهى عن كل منكر في الدنيا، طيب ما كل نبي من الأنبياء أمر بكل معروف في الدنيا، يقول: لأ، كل نبي أمر بكل معروف كان يناسب قومه، وكل نبي نهى عن كل منكر في شريعته الخاصة بقومه.

النبي -عليه الصلاة والسلام- قال: فضلت على الأنبياء بإيه؟ بست، منهم إيه؟ أنه كل نبي بعث إلى قومه وبعثت للناس كافة، النبي -عليه الصلاة والسلام- ميزته أنه كل المعروف على الإطلاق أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكل المنكر على الإطلاق نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، إما تصريحًا وإما إشارةً وإما معيارًا، يعني وضع قاعدة الناس تقيس عليها بعد كده الحاجة اللي جاية بعد كده، لو طلعت على هذا المعيار تبقى هي منكر يبقى هي إيه؟ يقاس عليها، فهنا بيقرر إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في هذه الرسالة؛ في رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر مختلف، ودي نقطة مهمة جدًا ينبغي أن يستشعرها أهل الدعوة إلى الله، فيه أحيانًا بعض الناس وهي بتدعو إلى الله -سبحانه وتعالى- هو بيبقى عنده نوع من أنواع الانهزام النفسي، يعني مثلًا هو متخيل مثلًا إن اليهود لهم رب والمسلمين لهم رب والربين بيتخانقوا على ملك الكون مثلًا؟ أو مثلًا إن الأفارقة لهم رب والأمريكان لهم رب وبيتخانقوا على مين يعبد مين؟ يا جماعة الموضوع مش كده خالص، الله -سبحانه وتعالى- هو خالق كل شيء، الله -سبحانه وتعالى- هو رب العالمين، الله -سبحانه وتعالى- هو إله العالمين.

هذه الرسالة هي رسالة الحق، هذه الرسالة هي الرسالة الوحيدة الحق في هذا الزمان، إن ينبغي على أهل الإسلام أن يعرفوا أن الحق كل الحق في دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن كل ما سوى ذلك باطل، هنا فيه فرق كبير مهم واضح جلي إن النبي -عليه الصلاة والسلام- بعث لما حُرِّفَت الرسالات، حُرِّفَت الرسالات يعني التوراة مش حُرِّفَت من سنتين ولا حُرِّفَت من مائة سنة، التوراة حُرِّفَت قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، الإنجيل مش حُرِّفَ من ألف سنة، الإنجيل حُرِّفَ قبل بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نظر الله إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، أهل الكتاب من بني إسرائيل حرفوا الكلم عن مواضعه، ونسوا حظا مما ذكروا به واشتروا به ثمنا قليلا، وجعلوا الكتاب قراطيس، يعني قسموا التوراة والإنجيل، وبقوا إيه؟ يشوفوا الحاجة اللي الناس بتحبها، يطلعوها للناس يقول لك أيوه هو ده الدين، عارفين الدين اللي ما يطلبه المستمعون، الدين على هوى الناس، الدين على أفكار الناس مش على مراد الله -سبحانه

وتعالى–، هو ده بقى اللي بدأوا يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا، هنا ربنا –سبحانه وتعالى– نظر إليهم فمقتهم عربهم وعجمهم، فأذن الله في بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي استبدال بني إسرائيل، بني إسرائيل اللي هم الناس اللي ربنا –سبحانه وتعالى– أعطاهم الرسالة وفضلهم على العالمين "يَا بَنِي إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ" البقرة:٤٧، هؤلاء الذين توارثوا النبوة والكتاب والحكم والرسالة مئات السنين من أول سيدنا إسرائيل –سيدنا يعقوب–، وبعد كده سيدنا يوسف والأسباط، وبعد كده سيدنا موسى وهارون، وبعد كده سيدنا داود وسليمان، وبعد كده سيدنا يحيى وزكريا وعيسى ابن مريم، وكانت هذه نهاية رسالة بني إسرائيل، ثم انتقلت الرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، لما تخلت بنو إسرائيل عن رسالة الله، استُبْدِلُوا، اللي هو "وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم" محمد:٣٨، أنهم لما لم يقوموا بحق الله –سبحانه وتعالى– استبدلهم الله –سبحانه وتعالى–، فأذن الله ببعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– وكان من صفات النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه تحمل الرسالة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، طيب الطيبات ما أمر الله به –سبحانه وتعالى– وجعله طيبًا، والخبائث ما نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه، قال: فأحل كل طيب وحرم كل خبيث، كلمة كل دي يا جماعة حطوها بين قوسين حطوا عليها علامة، اللي هو إيه؟ اللي هو أحل كل طيب. أنه ما من شيء أحله الشرع إلا وهو طيب، وما من شيء نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه إلا وهو خبيث، وأن الله –سبحانه وتعالى– ما من شيء أمر به إلا وهو معروف وما شيء ما من شيء إلا ونهى الله عنه إلا وهو منكر. أحل كل المعروف، ونهى عن كل المنكر، وأمر بكل طيب ونهى عن كل خبيث.

قال: ولهذا روي عنه أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ"[١٧]، هنا شيخ الإسلام بيقول: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بُعِثَ ليتم مكارم الأخلاق، يعني إيه يتمم مكارم الأخلاق؟ يعني بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– لم تكن إنشاء للأخلاق، إنما كانت تمام لهذه الأخلاق، وده ميزة أخرى من ميزات أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– ونهي النبي –صلى الله عليه وسلم– أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ليه؟ إن دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليست فقط دعوة عالمية وأنه تم فيها إرساء القواعد الأصيلة الصحيحة التي يستقيم جميع البشر عليها، وأن العالمين كلهم يحتاجون إلى هذه الرسالة ويحتاجون أن يعرفوا أخبار هذه الرسالة؛ الأخبار عن الله، والأخبار عن سنن الله في المعاملة، والأخبار عن صفات الله –سبحانه وتعالى–، والأخبار عن ثواب الله ووعده، والأخبار عن عقاب الله ووعيده، وأنهم كلهم يحتاجون إلى إن يأخذوا العبرة والعظة من هذه الرسالة، من القصص التي ذكرها الله –سبحانه وتعالى–، قصص الأنبياء وقصص الصالحين وقصص المفسدين فرعون وهامان وقارون وقوم عاد وقوم ثمود التي لم يخلق مثلهم في البلاد وكيف عاقبهم الله –سبحانه وتعالى–، وأن كل الناس يحتاجون إلى أمر الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين يعرفوا ازاي يصلوا، وازاي يصوموا، وازاي يزكوا، وازاي يحجوا، وازاي يتعاملوا مع بعض، وازاي يأدوا حق الوالدين وحق الزوجة وحق الأبناء، وازاي الزوجة تؤدي حق الزوج، وازاي يتعاملوا بالتجارة، وازاي الربا حرام وايه معنى الربا، ويعرفوا ازاي يتعاملوا في الأراضي الزراعية، وازاي يحكموا، وازاي يقيموا العدل بينهم، وازاي يبقى معيار الحق والباطل هو "وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ" الإسراء:٣٥، يحتاجون إلى أن يعرفوا معيار العدل، لإن كل واحد بيرى العدل على طريقته، كل واحد يرى نفسه هو العدل، ازاي هو يعرف يقيم العدل على المعيار الصحيح؟ زي يشوف الحاجة صح، اللهم أرنا الحق حق وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه.

هنا بيقرر شيخ الإسلام معنى آخر: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا من تمام الأخلاق، يعني إيه من تمام الأخلاق؟ أو أنه جاء بتمام الأخلاق، تمام الأخلاق يعني حاجة مكملة للأخلاق، يعني بدونها تفضل الدنيا ناقصة، وهو ده الحاجة اللي بها تمت الرسالة، تمت رسالة

[١٧] السلسلة الصحيحة

السماء إلى الأرض، تمت الأخلاق، لذلك لما سيدنا عيسى ينزل آخر الزمان سيدنا عيسى هيحكم بالقرآن، سيدنا عيسى هيصلي وراء رجل تابع من أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال كرامة للنبي –صلى الله عليه وسلم–.

هذه الرسالة العظيمة رسالة القرآن يا جماعة لم يستطيع أي نبي من الأنبياء أن يتحملها "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل:٥، الوحيد الذي تحمل هذه الرسالة عبر الزمان والذي لم يستطع أحد من البشر أن يتحمل رسالة القرآن إلا النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أفضل مشى على الأرض، أفضل الأنبياء والمرسلين جميعًا، لأنه تحمل رسالة لم يستطع أن يتحملها أي أحد قبل النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال في الحديث المتفق عليه: "إنما مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فكان الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها، ويقولون لولا موضع اللبنة! فأنا تلك اللبنة"[18]، شوفوا يا جماعة شوفوا بقى نفسية الداعية، شوفوا قد إيه النبي –صلى الله عليه وسلم– متواضع، شوفوا قد إيه النبي –عليه الصلاة والسلام– ينظر إلى دعوة الأنبياء من قبله والتكامل، احنا النهاردة لما بنشوف داعي إلى الله مثلًا ربنا فتح عليه في باب من الأبواب وهو بيتكلم في هذا الباب هو فعلا فارس في ميدانه، هو فعلا قوي في بابه، لكن هل معنى ده إن هو الوحيد في هذا الباب؟ هل معنى ده إن الباب ده أصلًا هو الباب الوحيد في الدين؟ فيه قاعدة كده خلينا نحط تحتها خط لست الوحيد على الثغر، وليس هذا هو الثغر الوحيد، انتِ مش انتِ الوحيدة اللي بتعلمي الناس الدين؟ ولا انت الوحيدة اللي بتعلمي الناس قرآن، وتعليم الناس القرآن أو تعليم الناس الدين في الباب اللي انت واقفة عليه مش هو الدين كله، شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول وهو بيوضح لأصحابه، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي –بيقول لهم أنا والأنبياء احنا الاتنين بنبني في بيت واحد، احنا الاتنين بنبني نفس البيت، كل واحد له وظيفة، والأنبياء اللي قبلي بنوا البيت كله لكن البيت فيه حاجة ناقصاه، إيه الحاجة اللي ناقصاه؟ موضع طوبة، لكن هذا الموضع هو الذي يتم به البناء، ويا جماعة التمام من أعظم الأشياء التي يحبها الله –سبحانه وتعالى–، يعني "ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ" البقرة:١٢٤، إن ربنا –سبحانه وتعالى– بيحب التمام، يحب الإنسان يتم عمله، عايزين نطلع النهاردة بمسألة التمام، إن احنا لما تبدئي في كتاب أتميه، لما تبدئي في درس أتميه، لما تبدئي بسلسلة أتميها، لما تبدأ في حاجة خلصها، بلاش نبقى قاعدين نتنطط من هنا لهنا لهنا ولا نتم شيء، وبلاش نتعامل مع الدين بنوع من أنواع العشوائية واحنا قاعدين مراهقين، اللي هو قاعدين إيه؟ لا بنخلص ولا نبطل تنطيط، شوف النبي –عليه الصلاة والسلام–وهو بيتكلم عن هذه الرسالة بيقول أن هذه تمام رسالات الأنبياء، يعني هي الرسالة الخاتمة التي ختم الله بها الأنبياء، ودايمًا الخاتمة بتبقى خاتمة بها يتم البناء، يعني بدون الخاتمة مش هيبقى فيه بناء.

هنا النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمها وأكملها، إن الأنبياء عملوا بناءهم على أكمل وجه، لكن رسالة الله إلى الأرض لم تتم، كيف تتم رسالة الله إلى الأرض؟ ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تحمل ما لا يتحمله أحد، النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذي أوذي إيذاء لم يؤذه أحد، والذي عبد الله عبودية لم يعبدها أحد، لم يعبد أحد الله –سبحانه وتعالى– كمثل النبي –صلى الله عليه وسلم–، لم يحقق التقوى أحد مثلما حقق النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ألا وأني أتقاكم لله، ألا وأني أخشاكم لله، قال لهم لو انتم بتتكلموا عن التقوى والخشية فأنا واحد عشت عمري منذ بداية البعثة أو منذ رسالة الله –سبحانه وتعالى– إلي، النبي –عليه الصلاة والسلام– آمن، فلما آمن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان النبي –صلى الله عليه وسلم– أعلى الناس إيمانًا، لو وضع إيمان النبي –صلى الله عليه وسلم– في كفة ووضع إيمان الأمة في كفة –كما في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: لرجح إيمان النبي –صلى الله عليه وسلم–، يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– حقق أعلى درجة من درجات العبودية عبر التاريخ، يعني

---

[18] روايات الحديث هنـــا

حقق درجات من الدرجات العبودية، سيدنا إبراهيم نفسه ما عرفش يجيبها، سيدنا موسى ما عرفش يجيبها، سيدنا عيسى دول أولي العزم من الرسل، النبي –صلى الله عليه وسلم– حقق أعلى درجة من درجات العبودية لله –سبحانه وتعالى–، لذلك احنا أُمِرنا أن نحب النبي –صلى الله عليه وسلم– ونحب سائر الأنبياء، وأن نؤمن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– ونؤمن بسائر الأنبياء، ولكن أن يكون حب النبي –صلى الله عليه وسلم– في قلوبنا أكبر من حب باقي الأنبياء لأنه أعبد الخلق إلى الله، لأنه أحب خلق الله إلى الله –سبحانه وتعالى–.

شيخ الإسلام هنا أحسن إن هو لما جه يتكلم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ناحية النبي –عليه الصلاة والسلام–:
– الحاجة الأولانية اللي تكلم فيها قال إن صفة النبي –عليه الصلاة والسلام– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند النبي –عليه الصلاة والسلام– مختلف لأنه أمر بكل معروف على مستوى العالمين في كل زمان ومكان، ونهى عن كل منكر عبر الزمان.
– ثم الحاجة الثانية إن النبي –عليه الصلاة والسلام–بعث ليتم مكارم الأخلاق، إن مسألة إن النبي –عليه الصلاة والسلام–كان تمامًا وختامًا وإكمالًا لرسالة الأنبياء من قبله.
وشوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم عن مساحة التكامل، إن احنا يا جماعة محتاجين نفهم ده، محتاجين نفهم إن احنا كل واحد شغال في الدين محتاج للتاني، إن الدين مش هيكون بالجماعة الفلانية، النهاردة احنا ممكن لما نجلس مع بعضنا البعض ونشوف حوارات الدعاة في الأروقة الداخلية، وتلاقي لفلان بيقول لك أصل فلان مش معانا، وأصل فلان ما بيعملش حاجة، وأصل ده عمل مجهود فردي ما لوش قيمة، تجد الجماعة الفلانية بتسفه من الجماعة الفلانية، والهيئة الرسمية بتسفه من الهيئة غير الرسمية، والهيئة غير الرسمية بتسفه من الهيئة الرسمية، والشيخ فلان بيسفه من الشيخ علان، والشيخة فلانة بتسفه من الشيخة علانة، والمعلمة الفلانية بتحتقر فلانة، والمعلم الفلاني شايف إن هو الوحيد اللي في الكون ينبغي أن يُسمع وكل من سواه يا إما ضال يا إما مضل يا إما مبتدئ يا إما عنده مشاكل يا إما مش على المنهج يا إما عنده أخطاء، وكأنه نزل معصومًا من السماء.
شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم على سائر الأنبياء بيقول إيه؟ بيقول أنا جيت أكمل؛ أنا جيت أكمل رسالة سابقة. إن يا جماعة محتاجين يبقى عندنا الروح دي، يبقى عندنا دي النفسية دي، "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا" الحشر: ١٠، مش عايزين يبقى عندنا غل للمؤمنين، ولا للناس العاملين للدين، ولا للشيوخ اللي علموا الناس الدين، ولا للناس اللي بذلت أعمارها تعلم الناس الدين رجالًا أو نساءً، كبارًا أو صغارًا، محتاجين إن احنا نكون عندنا نفسية حب الله –سبحانه وتعالى–، نفسية التواضع، نفسية الخوف من الله –سبحانه وتعالى–، نفسية إن كل واحد فينا له دور وإن كل واحد بيجتهد غاية اجتهاده، وان احنا كلنا محتاجين بعض، وإن احنا كلنا بنكمل نفس البناء، شوف النبي –عليه الصلاة والسلام–بيقول: –والنبي –عليه الصلاة والسلام– بلا خلاف، هو سيد ولد آدم بلا خلاف– وهو يقول: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، أنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، أنا أول من يدخل الجنة ولا فخر"[١٩]، والنبي –عليه الصلاة والسلام– صاحب الشفاعة الكبرى، ومع ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: إنما أنا لبنة، لولا موضع لبنة فأنا تلك اللبنة، بيقول: أنا ومثل الأنبياء من قبلي إن أنا طوبة في البناء، خدوا بالكم النبي –عليه الصلاة والسلام– ما قالش أنا البناء كله، احنا النهاردة ممكن تسمع من أحد الناس إلا ما رحم الله وبعض الناس ممكن يقول ويتخيل نفسه يقول لك: أنا الدين، يا عم انت مش الدين، صدقني انت مش الدين، انت راجل بتنفذ بعض الأشياء في الدين ربنا –سبحانه وتعالى– أنعم بها عليك، وعلمك أشياء وجميل إنك انت تنفذها وجميل إن انت تطبقها وجميل انك تدعو الناس إليها، وجميل انك

[١٩] بعض روايات الحديث هنــا

توضح للناس وإنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وإنك تنصح، لكن انصح بنفسية الناصح، شوفوا نفسية النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيقول إنما أنا لبنة، فأنا تلك اللبنة، إن احنا يا جماعة محتاجين هذا التواضع في الدعوة إلى الله، محتاجين هذا التواضع في وسط العاملين للدين، محتاجين هذه النظرة الشمولية للدين، إن الدين محتاج فقه، ومحتاج عقيدة، ومحتاج تفسير، ومحتاج سيرة، ومحتاج تزكية، ومحتاج مصاحبة، ومحتاج شباب بيشتغلوا في الدين، ومحتاج سياسة، ومحتاج اقتصاد، ومحتاج اجتماع، ومحتاج رجالة، ومحتاج نساء، ومحتاج شابات، ومحتاج عجائز، ومحتاج الحكمة، ومحتاج الناس الكبيرة، ومحتاج الناس الصغيرة، إن مفيش واحد في الدين ما لوش قيمة، ومفيش حاجة اسمها ثغر في الدين قليل، ومفيش حاجة اسمها أنا ماليش لازمة، كل الناس لها لازمة وكل الناس تقدر تعمل حاجة، وكل الناس تقدر تتفاعل مع هذا الدين.

قال: "فبه أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف والناهي عن كل منكر وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث"، فهنا بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث ليُتمم مكارم الأخلاق، وبدأ شيخ الإسلام هنا يوسع مفهوم الأخلاق، فبيقول إن مفهوم الأخلاق هو إتمام الدين، وإتمام الدين منه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عشان كده بعض أهل العلم كان بيقول الدين كله خلق، ليه الدين كله خلق؟ احنا دايما مفهومنا عن الأخلاق اللي هو السماحة، الحلم، الصدق، بذل الندى، وكف الأذى، الابتسامة، البشاشة، الصدقة، الإحسان، لكن هو هنا شيخ الإسلام بيتكلم على إن الخلق هنا مفهوم عام، إن هو وَسَّع مفهوم الأخلاق إن هو يكون الأخلاق مع الله، والأخلاق مع النفس، والأخلاق مع الخلق، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأخلاق، وإن تحليل الحلال وتحريم الحرام من الأخلاق، ما الذي يحلل حلاله ويحرم الحرام؟ الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "وأما من كان قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات، كما قال: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء١٦٠:١٦١، هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير إن النبي –صلى الله عليه وسلم– الله –سبحانه وتعالى– بعثه بالحلال والحرام، احنا يا جماعة النهاردة لما نيجي نشوف خريطة الحلال والحرام عندنا، خريطة الحلال والحرام في بيوتنا، خريطة الحلال والحرام في معاملاتنا، خريطة الحلال والحرام في أسواقنا في مدارسنا في جامعاتنا في مستشفياتنا في هيئاتنا الحكومية في الحكم في القضاء، خريطة الحلال والحرام مين اللي بيقرر الحلال والحرام؟ يعني مين اللي بيقول ده حلال وده حرام؟ احنا النهاردة عندنا تم –في بعض المجتمعات الإسلامية– استبدال لفظ الحلال والحرام بلفظ عيب وغلط، يعني مثلًا البنت ممكن تلبس لبس معين، في مجتمع معين، لكن في مجتمع تاني ده عيب، العيب والغلط بيختلف من مجتمع للتاني، يعني ممكن واحدة مثلًا لو لبست بنطلون قصير وخرجت به في شارع أمريكا ده مش عيب، عادي، لو جت في مثلًا القاهرة ولبست بنطلون قصير ده عادي ممكن الناس ما تعتبروش إن ده عيب، لو نزلت قرية من قرى مثلًا الفلاحين أو قرية من قرى الصعيد ولبست اللبس ده الناس هيقولوا عليها عيب، ده المفروض ما تلبسش اللبس ده.

العيب والغلط بيختلفوا من مجتمع للتاني، إن هي ممكن هناك تلبس لبس معين في المكان الفلاني تلبس لبس معين، في المكان الآخر ممكن تلبس لبس معين، يعني لو شافوا واحدة لابسة كامل ثيابها في مثلًا في الساحل مثلًا لابسة نقابها في الساحل يختلف مثلًا عن لو شافوا مثلًا واحدة لابسة نقاب في الحرم، العيب والغلط بيختلف من مجتمع للتاني، ومن انتشار علم أو انحسار علم في مجتمع لآخر، من تفاوت الناس العلمي والاجتماعي والحياتي، لكن الحلال والحرام ده ثابت، الحلال والحرام ما بيتغيرش.

مين بقى اللي بيحط الحلال والحرام؟ مين اللي بيقول ده حلال وده حرام؟ اللي بيقول حلال وحرام الله –سبحانه وتعالى–، "وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ".

مين اللي بيبلغ عن الله –سبحانه وتعالى–؟ النبي –صلى الله عليه وسلم–.

مين اللي علمنا القرآن؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-.

مين اللي علمنا الأحكام؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: إن الحلال والحرام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرسالات السابقة قبل النبي -صلى الله عليه وسلم- كان فيها نوع من أنواع الاختلاف عن رسالة النبي -عليه الصلاة والسلام-، إيه هي؟ إن يا جماعة فيه حاجتين ربنا أقرهم في الأمم السابقة لم تقر في هذه الأمة، إيه هي؟

الحاجة الأولانية إن أحيانًا إن كان ممكن واحد يُحرم على نفسه أشياء؛ فيقرها الله، زي مثلًا "وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ" الحديد:٢٧، بعض الناس حرموا إن هم يتزوجوا النساء، وقال لك احنا هنترهبن وماعدش لنا علاقة بالنساء خالص، وهنقعد في المعابد نعبد ربنا -سبحانه وتعالى-، دي بدعة، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا هم اللي ابتدعوها من نفسهم، ولكن الله أقرها، فبقى فيه حاجة اسمها رهبان النصارى.

ربنا -سبحانه وتعالى- قال: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ" آل عمران:٩٣، إن سيدنا إسرائيل حرم على نفسه أشياء فأقرها الله، يبقى هنا الأمم السابقة كان متاح لهم إن ممكن حد يحرم على نفسه أشياء ويقرها الله -سبحانه وتعالى-. زي بني إسرائيل لما حرموا على نفسهم الإيه؟ السبت، صيد السبت. زي ما سيدنا إسرائيل -صلى الله عليه وسلم- حرم على نفسه إيه؟ بعض الطعام. زي ما بنو إسرائيل مجموعة منهم حرمت الزواج على أنفسها فأقرها الله -سبحانه وتعالى-، وبقى حاجة مطردة، فكان هنا الحرام فيه بعض الاختيارات لبعض الأقوام.

والنوع التاني: إن كان أحيانًا بينزل الحرام عقابًا لبعض الأقوام، قال -تعالى-: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء١٦٠:١٦١، إن بظلم منهم حرَّم الله عليهم أشياء. يبقى بعض الطيبات حرمت عليهم بإيه؟ عقوبة لهم.

يبقى يا جماعة مما تميزت به شريعة -صلى الله عليه وسلم- أنها أحلت كل معروف وأمرت به حتى مما كان قد عوقبت به الأمم السابقة، وحرمت كل منكر ونهت عنه حتى ما كان تحريما خاصا لبعض الأمم السابقة، حتى تركت الناس على الحلال والحرام دون أي قيود، هذا هو الحلال الذي يحبه الله، وهذا هو الحرام الذي يبغضه الله.

يبقى تحريم الأمم السابقة كان أحيانًا بيحرم بها بعض الطيبات، ويحرم الحرام إما عقوبة وإما باختيارات شخصية، لكن هذه الأمة مفيش فيها ده، إن الله -سبحانه وتعالى- جعل الحلال والحرام له -سبحانه وتعالى-، الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله، والدين ما شرع الله.

فهنا بيقول: "وأما من كان قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض طيبات كما قال -تعالى- عن اليهود: "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ"، وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث، كما قال -تعالى-: "كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ"، وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر كما أن إحلال الطيبات يندرج في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول -صلى الله عليه وسلم-.

يبقى يا جماعة كلمة كل معروف وكل منكر دي من ميزات الرسالة الخاتمة، من ميزات القرآن الكريم وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، من ميزات رسالة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فاهمين دي؟ طب احنا هنستفاد إيه من الكلام ده؟ هنستفاد إن احنا نبقى فاهمين احنا رسالتنا متميزة بإيه عن غيرنا؟ هنبقى فاهمين الفرق بين القرآن وغيره، هنبقى فاهمين الفرق ما بين دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– ودعوة غيره، هنبقى فاهمين الرسالة اللي احنا بين أيدينا هذا الكنز العظيم الذي يخاطب العالمين الفرق بينه وبين غيره، ودي نقطة يا جماعة محتاجين بها لما نيجي بعد كده نتكلم في حلال وحرام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ محتاجين نعرف هو إيه في الشرع؟ محتاجين نتناول الأمور تناول شرعي، محتاجين نرجع لكلام النبي صلى الله –صلى الله عليه وسلم– ونرجع لكلام الله قبل ما نقول حلال وحرام، لإن بعض الناس وبعض الدعاة إلى الله بينشر اختياراته هو الفقهية، بينشر اختياراته هو الحياتية، يعني هي مثلًا ست عندها نوع من أنواع الشدة نتيجة تربيتها نتيجة أفكارها نتيجة تعليمها نتيجة احتكاكاتها، فلما تيجي تعلم الناس الدين بتعلمهم الحاجة اللي هي شايفاها، يا جماعة احنا أُمرنا إن احنا نبلغ دين الله، مش نبلغ أفكارنا وخواطرنا وحياتنا، واللي احنا بنحبه واللي احنا ما بنحبوش، أُمرنا إن احنا نجعل الناس اتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم–، مش اتباع لنا كأشخاص، مش اتباع لأفكارنا وآرائنا كأشخاص، إنما إن هم يكونوا أتباع للنبي –صلى الله عليه وسلم–، إن هم يحبوا الله –سبحانه وتعالى–، إن هم يمتثلوا أمر الله –سبحانه وتعالى–، وده يا جماعة من الحاجات اللي بقت تحديات في هذا الزمان، تحديات أمام كل الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى– كبارًا وصغارًا.

إيه هو التحدي ده؟ التحدي ده، كان زمان كل شيخ بيكلم مجموعة من الناس في بيته في مسجده في جامعه في المجتمع اللي هو عايشه، النهاردة بعد التواصل الاجتماعي والفيس ومواقع التواصل، بقيت انت ممكن تسجل حاجة يسمعها رئيس الدولة، يسمعها رؤساء دول العالم، يعني النهاردة انت ما عدتش بتخاطب واحد، النبي –عليه الصلاة والسلام– كان زمان يقول من يحميني حتى أبلغ رسالة ربي، النهاردة انت ممكن تقول كلام؛ الكلام ده يسمعه العالمين، يعني كان زمان تقول أنا نفسي أوصل لواحد من الناس اللي بتعصي ربنا، انت النهاردة ممكن تكتب حاجة على موقع من التواصل الاجتماعي يسمعها كل الممثلين وكل المغنيين مش بس العرب؛ العرب والأجانب أفجر الفجرة ممكن يسمعوك في لحظة من اللحظات، الناس اللي بتعمل أفلام إباحية ممكن تسمعك. هنا انت خطابك لهؤلاء هيكون خطاب لإيه؟ هل يا ترى هو نفس الخطاب اللي انت بتخاطب به أو نفس اللي انت بتخاطبي به صاحبتك اللي كنت بتكلميها في معنى معين؟ الرسالة العالمية تحتاج منا إلى إن نكون على مستوى هذه الرسالة، واحنا بنكلم الناس عن الدين محتاجين نبقى فاهمين هو إيه الدين، محتاجين نبقى فاهمين الفرق بين من رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم– وغيره، محتاجين نبقى فاهمين إيه الخطاب اللي يناسب العالمين، القرآن ما نزلش عشان تلاتة أربعة يطبقوه، ولا عشان مجموعة من الناس تشيله، وتتكبر به على الخلق، إنما نزل القرآن نور وهدى ورحمة وبركة للعالمين.

يبقى شيخ الإسلام هنا بيقرر تقرير أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر، واستدل بمسألة إن الأمم السابقة حُرّمت عليهم بعض الطيبات ببعض الظلم وبأكلهم الربا، كانوا بياكلوا الربا، وكانوا بياكلوا أموال الناس بالباطل، وكانوا بيصدوا عن سبيل الله، فربنا حرم عليهم الطيبات، ودي يا جماعة من النقاط الأساسية في معاملة الله –سبحانه وتعالى–، إن أحيانًا ربنا –سبحانه وتعالى– يضيق علينا الطيبات بالمعاصي، يضيق علينا الطيبات بالمعاصي، واحد هيقول لي طب ما أنا بأشوف واحد كافر وفاجر وملحد ومن أغنى أغنياء العالم، أو واحد تقي ونقي وصالح وراجل في غاية الصلاح ولا نعلم عليه إلا خيرًا ومن أفقر الفقراء ويعيش في مرض وفقر، يا جماعة هنا نقطة مهمة جدًا جدًا محتاجين نتكلم فيها، إن الله –سبحانه وتعالى– له سنن لا تحابي أحد، إن سنة الرزق سنة عامة يعني ممكن تجد واحد في أفجر الفجور وهو غني جدًا ماليًا، يعني فرعون كان أعلى درجات السلطة كان بيقول: "مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي" القصص:٣٨، و"أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ" النازعات:٢٤، يعني ادعى الربوبية والألوهية، ودي ما حصلتش في البشري أصلًا، وقارون بغى عليهم ومع ذلك كان غني جدًا، وعلى الصعيد الآخر كان ممكن يكون واحد من أهل التقوى والصلاح غني جدًا زي داود وسليمان، "فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ" ص:٣٦، "يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ" سبأ:١٠، "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ" النمل:١٧، إن واحد كان بيركب الريح، واحد كان بيأمر

الشياطين، تخيلوا يا جماعة الشياطين بتعمل معابد، تخيلوا يا جماعة واحد عنده مُلك "كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ" ص:٣٧، سيدنا سليمان كان بيأمر الشيطان يقول له بقول لك إيه؟ روح اعمل المعبد ده، يقوم الشيطان يروح يعمل معبد عشان الناس تصلي فيه لله، متخيلين شيطان بيبني معبد، مين اللي عنده القوة دي، أحيانًا إن ربنا -سبحانه وتعالى- يُمكِّن الصالحين والطالحين، سنة الله في الرزق ممكن تجد واحد فقير جدًا جدًا جدًا وهو تقي وممكن تجد واحد فقير جدًا جدًا وهو فاجر، وممكن واحد غني جدًا جدًا جدًا وهو فاجر، ممكن واحد غني جدًا جدًا وهو تقي، فهنا سنة الله في الرزق سنة مطردة، لكن هل معنى كده إن ربنا -سبحانه وتعالى- ما بيعاملش الناس بالطاعات والمعاصي؟ لأ، هذه السنة يُضاف إليها سنة أخرى؛ إن الإنسان بيُرزق بالطاعة، والإنسان بيُحرم بالمعصية، "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ" النحل:١١٢، ليه أذاقها الله لباس الجوع والخوف؟ لأنهم كفروا بأنعم الله.

خدوا بالكم إن ربنا عاملهم بالطاعات والمعاصي، وهذه سنة من سنن الله في المعاملة، فأحيانًا إنسان يُحرم عليه طيبات، ليه؟ بظلمه، أحيانًا تجد إن إنسان مثلًا يُحرم الرزق -والرزق يا جماعة مش معناه الفلوس بس، الرزق هو كل ما يُنتفع به- يُحرم الرزق بالذنب يصيبه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما نزل بلاء بذنب ولا رُفِعَ إلا بتوبة، هذه من سنن الله في المعاملة، ده مش معناه إن كل واحد طائع هيبقى غني، لا، هو عادي ربنا -سبحانه وتعالى- يبتلي الناس بالفقر والغنى، وهيفضل الغني غني والفقير فقير، لكن هذا الفقير له مساحة يُعامل بها على قدر الطاعات وممكن برضه يظل فقير، وهذا الغني له مساحة يُعامل بها على قدر الطاعات والمعاصي وبرضه هيفضل غني، لأن سنن الله في البلاء متفاوتة، والله -سبحانه وتعالى- يداول بين الناس.

شيخ الإسلام بيقول: إن بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت متممة ومكملة للأمم السابقة، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- رسالته مختلفة عن كل الرسائل السابقة، أنها أحلت كل طيب وحرمت كل خبيث، وأمرت بكل معروف ونهت عن كل منكر.

النهاردة المجلس بيتكلم عن كلمة "كل"، يبقى مش أمر بمعروف عادي إنما أمر بإيه؟ بكل معروف، يعني إيه؟ يعني كل حاجة في ديننا لو ربنا أمر بيها تبقى فاهم إن ده فيه غاية النفع والصلاح في الدنيا والآخرة، عاجلًا وآجلًا، للفرد والمجتمع.

وإن كل شيء نهى الله -سبحانه وتعالى- عنه فإن هذا فيه مفسدة واضحة حتى ولو لم يراها الناس عاجلة وآجلة للفرد والمجتمع، في الدنيا والآخرة.

لإن أحيانًا بتجد حاجة فيها مصلحة؛ ممكن تكون مصلحة آنية يعني الآن، لكن فيها مصيبة بعد ذلك كبيرة، مصيبة بعد ذلك وبلاء وفساد كبير جدًا ممكن يكون في الآخرة، وممكن يكون الضرر على المجتمع كبير، لذلك كل ما أحل الله هو من الخير، وكل ما حرم الله هو من الشر.

قال -تعالى-: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" المائدة:٣، هنا يا جماعة تلات أفعال: أكملت، أتممت، رضيت. يقولوا أمر الله بكل الأخلاق الحسنة وكل العقائد الحسنة وكل المعاملات الحسنة وكل الشريعة الحسنة، ونهى عن كل خلق خبيث وعن كل عقيدة فاسدة وعن كل عمل قلبي فاسد وعن كل مفتاح للفساد، قال لك ابعد عارف: "وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ" الإسراء:٣٢ مش ما تزنوش، لا لا، لا تقربوا من بعيد، يعني ما تاخدش الباب اللي يؤدي بك إلى الزنا، أعاذنا الله وإياكم من الكبائر، وعافانا الله وإياكم من البلاءات، فهنا يا جماعة ربنا بيقول: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ هنا اكتمل الدين، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وتمام النعمة بكمال الدين، إن أحيانًا الناس بتتخيل إن تمام النعمة بتمام الدنيا، تمام النعمة عند كتير من الناس معاها فلوس حلوة، عندها بيت كويس، عندها قصر حلو، عندها شكل جميل، عندها حاجات بتتمتع بها في الدنيا جميلة، عندها أعمال كبيرة، فهي هنا دي بقت حاسة إن النعمة تمت، لا يا جماعة، تمام النعمة بكمال الدين، تمام النعمة بالدين، عارفين لما النبي -عليه الصلاة والسلام- لما غضب الأنصار لمّا قسم النبي -صلى الله عليه وسلم- الغنائم بعد فتح مكة؟ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- جمعهم وقال: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير؟ وترجعون أنتم برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال لهم انتم مش راضيين؟ يعني انت زعلان إن فلان خد فلوس أكتر؟ وزعلانة إن فلانة خدت مكانة أكتر، وزعلانة إن فلانة

بقت لها أتباع اكتر، وزعلانة إن فلان بقى عندها وجاهة عند الناس أكتر، طب انت مش فرحان إن انت ربنا أنعم عليك بتواضع أكتر، ودين أكتر وصلاة أكتر وسلامة صدر أكتر وإخلاص، قال لهم انتم أتعتبون علي لعاعة من الدنيا أتألف بها قلوب أقوام؟ قال لهم انتم عتبانين علي دنيا! فلوس إيه يا ابني انت وهو اللي بتسألوا فيها؟ أما ترضون إن يرجع الناس بالشاة والبعير؟ قال لهم انتم مش راضيين إن الناس راجعة بالفلوس والغنائم والجمال والخرفان، وانتم راجعين بي أنا! أنا راجع معاكم، أنا الدين.

قال: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون انتم برسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ فقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا، يعني لو اتحط قدامك دينك ولا تبقى غني أكتر، بس جزء من دينك يضيع؟ تحب إيه أكتر؟ انك تكون علاقتك بربنا أقوى وممكن تتخلص من جزء من الدنيا أو تفقد جزء من الدنيا؟ ولا انك ...؟ هيقول لي طب ما اخد الاتنين؛ أبقى أعلى حاجة في الدنيا وأعلى حاجة في الدين، يا عم أنا قلت لك لأ، أنا بقول لك افرض تعارض.

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وهذا من العظيم إن الدين اكتمل، تخيلوا يا جماعة لو الدين ما كنش اكتمل، لو كان الكتاب مفتوح، لو ما كانش لسه الكتاب انتهى، كان كمية التحريف وكمية الأقوال وكمية مساحة الضلال هتبقى كبيرة قوي، لكن هنا أكملت لكم دينكم، يعني أي حاجة انت محتاج تعرفها هتلاقيها بين دفتي هذا الكتاب، "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام:٣٨، "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ" الروم:٥٨، "وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا" الإسراء:١٢، كل حاجة انت محتاجها هتلاقيها في الكتاب ده، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي تمت النعمة؛ عظيم النعمة بكمال الدين.

الله يرضى بالكمال، الله يحب التمام، أبو بكر الصديق قال لخالد بن الوليد ضربه في صدره وقال: هنيئا لك التمام أبا سليمان، أبو بكر الصديق بيقول لخالد بن الوليد: ربنا بيحب التمام، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتمه، إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا إيه؟ إن يتمه، وفي رواية: "إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ إذا عمِلَ أحدُكمْ عملًا أنْ يُتقِنَهُ"[٢٠] أو إن يحسنه، يتمه يا جماعة هنيئًا لك التمام، الله يحب التمام، فهنا الله رضي بالتمام، ورضيت لكم الإسلام دينًا، فما لنا لا نرضى بما رضاه الله لنا.

وكذلك وصف الله الأمة بما وصف به نبيها، حيث قال: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" آل عمران: ١١٠.

يبقى يا جماعة النبي –صلى الله عليه وسلم– وُصِفَ بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذه الأمة وصفت بأنها إيه؟ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" آل عمران:١١٠، قال –تعالى–: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" التوبة:٧١، هنا يا جماعة ربنا –سبحانه وتعالى– بيمدح مجموعة من الناس، مين الناس اللي ربنا بيمدحهم؟ بيمدح المؤمنين والمؤمنات، زي ما مدح النبي –عليه الصلاة والسلام– ووصفه، مدح المؤمنين ومدح الأمة، مدحهم بإيه؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: ولهذا قال أبو هريرة: "كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة"، أبو هريرة بيقول للناس: الأمة دي أفضل أمة ليه؟ لإن انتم أكتر ناس بتدل الناس على الخير، لإن انتم حريصين على الخير، لإن انتم إيجابيين، لإن انتم مسئولين، لإن انتم بتحبوا الناس تبقى في الخير، لإن انتم حريصين على إن الناس تبقى في الخير، انتم أفضل أمة لباقي الأمم، ليه؟ لإن دينكم أمركم بإنكم تحملوا هذا

[٢٠] حسنه الألباني

المعروف وهذا الخير للناس، قال: "كنتم خير الناس للناس، تأتون بهم في القيود والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة"، إنك انت حريص انك انت تدخل الناس الجنة، ازاي؟ انك انت تقول لهم ربنا بيحب كذا، وربنا بيغضب من كذا، ربنا بيأمر بكذا وربنا بينهى عن كذا.

فبين –سبحانه– أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم للناس، وأعظمهم إحسانًا إليهم، لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف، ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم من لم يجاهدوا.

هنا شيخ الإسلام بيقرر معنى آخر من معاني أفضلية هذه الأمة وأفضلية هذه الرسالة، من ناحية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إيه هي؟ بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أمر بكل معروف ونهي عن كل منكر، وأنه متضمن للأخلاق، وأنه من الأخلاق العظيمة، وأنه من كمال الرسالة، وأنه من معنى الأخلاق ومن معنى الديانة، لكن هنا هو بيتكلم عن معنى تالت في هذا الباب في تفضيل هذه الأمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمة بالذات عن غيرها، إيه هو؟ بيقول: إن الأمم السابقة لم تؤمر بالجهاد، الجهاد ده يا جماعة تعريفه هو إيه؟ هو مقاتلة المسلمين ضد الكافرين لإعلاء كلمة الله، تلات حاجات قدام بعض: مسلمين، بيقاتلوا كفار، لإعلاء كلمة الله، ده اسمه جهاد، فيه أنواع تانية من الحروب ما اسمهاش جهاد، يعني مسلمين بيقاتلوا مسلمين، ده جهاد؟ لأ ده مش من تعريف الجهاد، كفار بيقاتلوا كفار؟ ده مش تعريف كلمة جهاد، مسلمين بيقاتلوا كفار لأجل دنيا! ده مش تعريف كلمة الجهاد، إنما تعريف الجهاد هو إيه؟ قتال المسلمين ضد الكافرين لإعلاء كلمة الله، اللي هو زي غزوة بدر كده، واضحة صريحة، النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– ممثلًا للإيمان والحق، في مقابل أبو جهل ممثلًا للكفر والباطل، ليه؟ لإعلاء كلمة الله.

هنا شيخ الإسلام بيقرر نقطة مهمة إيه هي النقطة المهمة؟ إن الأمم السابقة لم تؤمر جميعها بالجهاد، لذلك فضل شيخ الإسلام ابن القيم مسألة الدعوة إلى الله على الجهاد، ليه؟ لأن كل الأنبياء أُمروا بالدعوة إلى الله، لكن أمم قليلة أُمرت بالجهاد، زي مين؟ زي قصة طالوت وجالوت، داود –عليه السلام–، ده نبي من أنبياء بني إسرائيل، زي مين؟ زي قصة سيدنا موسى مع الأرض المقدسة، يبقى سيدنا موسى من بني إسرائيل أمر بالإيه؟ بالجهاد، وسيدنا داود من بني إسرائيل أُمر بالجهاد، وسيدنا سليمان أمر بالجهاد مع ملكة سبأ.

يبقى هل الجهاد أمر خاص بالنبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؟ لا، ده أمر كان في الأمم الإيه؟ السابقة، لكن كان فيه ميزة مختلفة أيضًا في هذه الرسالة عن غيرها، إيه هي؟ إن الجهاد في هذه الرسالة ليس فقط للدفاع، إنما دفعًا وطلبًا.

الجهاد نوعين يا جماعة، فيه حاجة اسمها جهاد الطلب وفيه حاجة اسمها جهاد الدفع، الطلب ده يعني واحد عرض الدعوة على الناس زي ما النبي –عليه الصلاة والسلام– كده عرض الدعوة على الناس، الناس رفضت إن حد يسلم، ورفضت إنها تستسلم، ورفضت إنها تستجيب لكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنعت الناس إنها تستجيب لأمر النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك كانت الفتوحات الإسلامية لنشر الدين، يعني إيه نشر الدين؟ طب هو ينفع مثلًا واحد يقول لواحد يا تسلم يا أقتلك؟ لا طبعا، الله –سبحانه وتعالى– لا يقبل إسلام المكره، يعني لو يا جماعة لو واحد منافق أظهر الإسلام وهو في قلبه بغض، ربنا –سبحانه وتعالى– يعذبه قال: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" النساء:١٤٥، طب ازاي احنا أمرنا بالجهاد وازاي إن هو لا؟ "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ" البقرة:٢٥٦، ده على المستوى الفردي، إن كل إنسان عليه أن يختار، اللي عايز يعبد حاجة هو كل واحد يختار، "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف:٢٩، كل واحد يختار كيف شاء، من المسلمين، عايز يبقى ظالم لنفسه، عايز يبقى سابق بالخيرات، كل واحد حر في اختيار ما يحب، لكنه سيحاسب على ذلك، اومال الجهاد مشروع ليه؟ الجهاد مشروع لحماية الدعوة، الجهاد مشروع لنشر الدعوة، الجهاد لإقامة الدعوة، إن يا جماعة فيه أمور في الدين لن تقوم إلا بالقوة، لأن صراع الحق والباطل صراع مستمر.

هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير بيقول: وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد بكل معروف ولم ينهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم لم يجاهدوا، يعني فيه أنبياء ماتوا مستضعفين، وهنا هل معنى كده إن هم وحشين؟ لا، خلاص هو بَلَّغ، هو أُمِر بشيء ففعله، سيدنا عيسى رفعه الله إليه، لأنه لم يكن هناك من أتباع عيسى من يدافعوا عن عيسى –عليه السلام–، لكن سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– قيد الله –سبحانه وتعالى– له من ينصره؛ الأنصار، عشان كده لما وقف النبي –صلى الله عليه وسلم– في غزوة بدر وهو يقول للناس: أشيروا علي أيها الناس، فقال سعد بن معاذ: "والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون"، قال له احنا وراك هندافع عنك وهنشيلك وهنحميك.

هنا يا جماعة نقطة مهمة هنا شيخ الإسلام بيقرر تقرير بيقول: والذين جاهدوا كبني إسرائيل غاية جهادهم كان لدفع عدوهم عن أرضهم، كما يُقَاتَل الصائل الظالم. يعني واحد اعتدى على المسلمين، واحد راح مثلًا عمل عصابة وقرر إن هو يقطع الطريق على الناس، وأي مثلًا عربية معدية يعمل إيه؟ عصابته تهجم عليهم ويصولوا على المسلمين ويظلموهم ويأخذوا إيه؟ ويأخذوا أموالهم، يسرق بقى العربية يسرق الفلوس ياخد العيال يطلب فدية، ده اسمه الصائل الظالم، الذي يظلم الناس ويعتدي عليهم، ده محارب، عمل إيه؟ عمل عصابة وقرر إن هو يعمل ده بالقوة.

فهنا بيقول إن جهاد الأمم السابقة كان لمجرد الدفع، قال كما يُدَافَع الصائل الظالم، لا لدعوة المجاهدين إلى الهدى والخير ولا لأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال موسى لقومه: "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ" المائدة:٢١، بيقول إن الأمم السابقة لما كانت بتقاتل كانت بتقاتل استعادة أرض، كانت بتقاتل لدفع ظلم، كانت بتقاتل لدفع اعتداء، "قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" المائدة:٢٢، قال: "قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" المائدة:٢٤.

يبقى هنا هو بيقرر إن الأمم السابقة لما كانت أُمرت بالقتال كانت بتقاتل لأجل الإيه؟ لأجل دفع الظلم، لكن أمة الإسلام لما أمرت بالقتال لم تكن فقط لدفع الظلم إنما كانت لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأجل من يعترض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا يا جماعة محتاجين نفصل ويعني ده التفصيل الأخير في هذا المجلس، إن الشرع يا جماعة عندنا فيه ٣ أنواع أو فيه ٣ اعتبارات:

– فيه حاجة اسمها شرع يستطيعه كل أحد، اللي هو الشرع الفردي، اللي هو تشريعات فردية، ده جزء من الدين، ده مش محتاج أي حاجة، انت مش محتاج لا سلطة ولا دولة عشان تصلي ولا عشان تصوم ولا عشان تزكي ولا عشان تتصدق ولا عشان تذكر ربنا ولا عشان تقرأ القرآن، انت مش محتاج أي حد غير إنك انت تكون عايز، يعني فيه جزء كبير من الشرع تعرف تطبقه مع نفسك لوحدك، مش محتاج أي حد ولا أي حاجة ولا أي حد هيعترضك أصلًا لو قعدت في بيتكم وقعدت تصلي طول النهار وطول الليل ولا حد هيكلمك، لو انت عايش في مصر في أمريكا في السعودية في إنجلترا في فرنسا في بلاد الهند في بلاد السيخ، في ناس بتعبد بوذا دين فردي لوحدك، لوحدك تفعل ما تشاء ده جزء من الدين، اللي هي العبادات الفردية، وده يستطيعه كل واحد.

– وفيه جزء من الدين لا يقوم إلا بالمجتمع، زي المعاملات المجتمعية، زي الطلاق والزواج والظهار والبيع والشراء والحلال والحرام في الاقتصاد والربا والأحكام ما بين الناس في المعاملات المالية؛ أحكام اقتصادية وأحكام اجتماعية دي محتاجة مجتمع، يعني ده جزء من الشرع عشان يطبق لازم يكون فيه إيه؟ لازم يكون فيه مجتمع.

يبقى فيه جزء من الشرع، تعرف تطبقه لوحدك، وفيه جزء من الشرع ينفع تطبقه بالمجتمع؛ المجتمع لوحده، المجتمع مش محتاج معه سلطة ولا قوة.

– وفيه جزء من الشرع مش هينفع تطبقه إلا بالسلطة والقوة، زي إيه؟ زي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زي الجهاد، زي القضاء وإقامة الحدود، وإلا هتبقى فوضى، يعني ينفع مثلًا واحد يقرر مثلًا يقول أنا هاجاهد؟ يقول له انت مين عشان تجاهد؟ الجهاد يعني قوة.

ينفع واحد يقرر يقول لك أنا هاقطع إيد السارق؟ تقول له انت مين عشان تقطع إيد السارق؟ بصفتك إيه؟ دي أحكام منوطة بإن المجتمع يصطلح على سلطة لها قوة تستطيع أن تطبق بها الأحكام، وإلا فلو لم توجد هناك سلطة معها قوة تقوم بهذه الأحكام فإن هذه الأحكام تسقط عن هذا المجتمع حتى يقيم هذا المجتمع سلطة تقيم به الأحكام.

يبقى جماعة دي مش تشريعات فردية، ولا حتى تشريعات مجتمعية، إنما تشريعات إيه؟ منوطة بوجود من يطبقها، يقولوا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصفته العالمية، والجهاد وإقامة الحدود وإقامة الأحكام الشرعية من العقوبات والتعزيرات منوطة بوجود الحاكم الذي اصطلح عليه أهل الإسلام، فإذا لم يوجد هذا؛ ده مش تشريع فردي، إنما ده تشريع أممي.

يبقى يا جماعة فيه جزء من التشريعات الإسلامية اسمها تشريعات فردية، وفيه جزء من التشريعات الإسلامية تشريعات مجتمعية، وفيه جزء من التشريعات اسمها تشريعات إيه؟ أممية. أو تشريعات محتاجة سلطة وقوة.

هنا شيخ الإسلام بيقرر إن الأمم السابقة ما كانش عندها ده كله، كان غاية جهادهم إن هو لما ييجي حد يعتدي عليهم يدفعوا عنه، لكن هذه الرسالة أُمرت بالجهاد لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ يستدل على الأمم السابقة، وازاي إن الأمم السابقة ذكرها الله في كتابه الكريم وهي بتعمل الجهاد اللي هو النوع اللي هو بيتكلم على إيه؟ على إن هو يجتلب ما أُخذ منه، اللي هو زي في قصة سورة البقرة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ –اللي هي قصة طالوت وجالوت– إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – قالوا له قالوا له احنا عايزين ملك نقاتل في سبيله، طب ما انتم معكم نبي، طب ما النبي هو اللي يقودكم، قالوا لا لا لا هم فاهمين إن هم محتاجين قائد في المعركة– ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا –فالنبي قال لهم طب افرض أنا بعت عليكم واحد يقودكم هتسمعوا الكلام؟– قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا" البقرة:٢٤٦، يبقى هنا هم كانوا بيقاتلوا عشان إيه؟ عشان ديارهم وأبنائهم.

فهنا شيخ الإسلام بيستدل على إن جهادهم كان لأجل إيه؟ دفاعًا عن إيه؟ ديارهم وأبنائهم، وده نوع من أنواع الجهاد في الشرع الإسلامي، لكن هناك نوع آخر هو نشر دين الله –سبحانه وتعالى–، منع العوائق أمام انتشار دين الله –سبحانه وتعالى–، تطبيق الجزء الكامل من الدين الذي لن يقوم الدين إلا به، اللي هو إيه؟ اللي هو القوة.

إن يا جماعة الشرع جاء بسنن واضحة، إن مثلًا ليه النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام دولة في المدينة؟ لإقامة الأمر الشرعي، لإقامة كلام الله –سبحانه وتعالى–، لإقامة الحدود، لإقامة الجهاد، لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–.

طب ليه سيدنا عمر بعث الفتوحات لنشر دين الله –سبحانه وتعالى–؟ لإقامة أمر الله في الأرض، طيب هل أكره النبي –صلى الله عليه وسلم– أحد على الإسلام؟ لا خالص، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام–مات ودرعه مرهون عند يهودي، إيه ده هو كان فيه يهودي موجود في المدينة في آخر حياة النبي –عليه الصلاة والسلام–؟ آه، كان عايش مع النبي –عليه الصلاة والسلام– والنبي كان بيتعامل معاهم معاملة حلوة جدًا، لدرجة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما احتاج فلوس أو لما احتاج حاجة رهن درعه عند يهودي، طب ليه ما رهنوش عند عبد الرحمن بن عوف؟ لإن كان فيه معاملة عادية خالص، طب ما كان فيه عمرو بن العاص فتح مصر، هو كان فيه ناس في مصر مش مسلمين؟ آه، عادي جدًا اللي عايز يُسلم يُسلم، واللي عايز يكفر يكفر هو حر، لكن هذه الأرض لله –سبحانه وتعالى– ولابد أن يُقام فيها العدل، وهذا العدل لا يكون إلا عدل الإسلام.

هنا شيخ الإسلام بيقوي تقرير أن هذه الأمة فُضِّلَت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تفضيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذه الأمة مختلف عن غيرها:

النقطة الأولانية هي نقطة أنها رسالة عالمية أمرت بكل معروف ونهت عن كل منكر، وهي مختلفة عن الأمم السابقة في أنه كان يُحَرَّم عليها أشياء بظلم منها أو باختيارات شخصية أهل الإيمان فيها.

والنقطة الثانية أن هذا الدين الكامل وأن هذه أخلاق تامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من تمام الأخلاق.

والنقطة الثالثة أن الله –سبحانه وتعالى– جعل هناك قوة مصاحبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يتم أمر الله –سبحانه وتعالى–، قال وهذا مختلف عن الأمم السابقة التي كانت القوة فيها فقط لأجل الإيه؟ لأجل الدفع، واستدل بذلك على قصة سيدنا موسى مع بني إسرائيل في الأرض المقدسة، وقصة سيدنا داود –عليه السلام– مع طالوت: "قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" البقرة:٢٤٦، فعللوا القتال –عللوا يعني جعلوا سبب للقتال عندهم– بأنهم أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم ومع هذا كانوا ناكرين عما أُمروا به من ذلك، ولهذا لم تحل الغنائم لهم، ولم يكونوا يطئون بملك اليمين، ومعلوم أن أعظم الأمم المؤمنين قبلنا هم بنو إسرائيل، فكما جاء في الحديث المتفق على صحته في الصحيحين عن ابن عباس قال: "خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَوْمًا فَقالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبيُّ معهُ الرَّجُلُ، والنَّبيُّ معهُ الرَّجُلَانِ، والنَّبيُّ معهُ الرَّهْطُ، والنَّبيُّ ليسَ معهُ أحَدٌ، ورَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أنْ تَكُونَ أُمَّتي، فقِيلَ: هذا مُوسَى وقَوْمُهُ، ثُمَّ قيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، ومع هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بغيرِ حِسَابٍ. فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولَمْ يُبَيَّنْ لهمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقالوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، –النبي –عليه الصلاة والسلام–قال للناس: إن الأمم عرضت علي وأحيانًا بيجي نبي معهوش حد، وده يا جماعة تسلية للدعاة إلى الله والآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر، إن انت أحيانًا ممكن تدعو إلى الله وما تلاقيش حد بيسمعك أصلًا، ممكن تدعو إلى الله وما حدش يُسْلِم على إيديك، يأتي النبي وليس معه رهط، يأتي النبي ومعه الرجل والرجلا، نبي نبي؛ واحد ربنا اصطفاه على العالمين على سائر قومه ومع ذلك ما حدش استجاب له، فما حدش يزعل يقول أنا بلغت الدين وما حدش استجاب لي يبقى أنا وحش، لا عادي انت ممكن تبلغ الدين وما تلاقيش حد أتباع لك، وما تلاقيش حد بيسمع قوي، والناس مش مبسوطة قوي مش فرحانة قوي مش مقبلة قوي، عادي ده موجود، فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: إن عرضت علي الأمم لقيت النبي ممكن يكون معاه واحد ونبي معاه اتنين ونبي ليس معه أحد، يأتي النبي ليس معه أحد؛ ولا واحد أصلًا معاه، تخيلوا يا جماعة يعني واحد ربنا اصطفاه عنده أخلاق جميلة وعنده عبادة جميلة وعنده حلم وعنده فهم وعنده عقل وعنده وعي وعنده حسن معاملة وعنده بذل للناس ومع ذلك ما حدش عايز يسلم أصلًا، ولا حد عايز يسمعه أصلًا، يأتي النبي ليس معه أحد، بيقول: لحد ما لقى مجموعة كبيرة من الناس سدت الطريق؛ الطريق مليان ناس، قلت دول بقى أمتي، النبي –عليه الصلاة والسلام– فرحان، فيقولوا لأ لأ، هؤلاء نبي الله موسى وبنو إسرائيل دول أتباع موسى –عليه السلام– دول اليهود من أتباع موسى –عليه السلام–، فبعد كده النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: عرض علي الناس فلقيت بقى على اليمين سواد كبير عدد كبير من الناس ولقيت عن الشمال عدد كبير من الناس قلت إيه؟ من هؤلاء؟ فقالوا هؤلاء أمتك؟ وبعدين بيقول بقى والنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول ومعهم سبعون الف يدخلون الجنة، فيه سبعين ألف واحد هيدخلوا الجنة، فالصحابة قعدوا يفكروا كده، يا ترى مين السبعين ألف؟ فواحد من الصحابة قال لهم: أكيد الناس دي اللي ما عملتش معاصي خالص، ما هو احنا كنا بنعبد الأصنام، الصحابي بيفكر بقى بيقول لهم احنا كنا بنعبد الأصنام وبنزني وبنقتل وبنعمل حاجات كتير حرام، احنا عشنا الشرك، أكيد بقى الناس اللي هتخش الجنة دي السبعين ألف من غير حساب، أكيد دول ولادنا اللي هم طلعوا لقوا الدين إيه؟ لقوا الدين كله إسلام، ما شافوش شرك خالص، فتذاكروا ذلك، فقال بعضهم:– أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا في الشِّرْكِ، ولَكِنَّا آمَنَّا باللَّهِ ورَسولِهِ، ولَكِنْ هَؤُلَاءِ –يعني من السبعين ألف اللي هيدخلوا الجنة هم بيفكروا يعني بيقترحوا– أَبْنَاؤُنَا، فَبَلَغَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فَقالَ: –المعيار لا معيار إنك اتولدت في الإسلام ولا اتولدت في شرك إنما المعيار اللي حقق الإخلاص لله –سبحانه وتعالى– هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الناس اللي ما بتتشائمش بالأحداث وقاعدة تربط كل حدث أصل فلان ده بومة وفلانة دي عملت لي كذا، الناس اللي بتتوكل على الله –سبحانه وتعالى–، اللي عندهم توحيد النفع والضر، يسترقون يعني يطلبوا الرقية من الناس، هو طلب الرقية حرام؟ لا مش حرام،

لكن هنا النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول الناس اللي هتدخل الجنة اللي عندهم تمام التوكل على الله –سبحانه وتعالى–، تمام التوكل على الله –سبحانه وتعالى– إن هم لا بيطلبوا إن حد من الناس ينفعهم ولا بيطلبوا إن حد من الناس يضرهم ولا رابطين بين النفع والضر بأفعال الناس، يعني اللي هو لما يحصل له نفع وضر يقول قدر الله وما شاء فعل، هو يتوكل على الله –سبحانه وتعالى– ويعلم إن الأمر من الله –سبحانه وتعالى– ويعلم إن كل بلاء نزل به الله ابتلاه به ليرى منه عبودية معينة، وكل نعمة ربنا أنعم بها عليه ليرى منه إيه؟ شكر معين.

فهو متوكل على الله –سبحانه وتعالى–، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ، ولَا يَسْتَرْقُونَ، ولَا يَكْتَوُونَ، وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. فَقَامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا يا رَسولَ اللَّهِ؟ عكاشة بن محصن صحابي من صحابة النبي –عليه الصلاة والسلام–، فقال للنبي –عليه الصلاة والسلام–هو أنا ينفع أبقى منهم؟ قال النبي –صلى الله عليه وسلم– أنت منهم، قَالَ: نَعَمْ. فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أمِنْهُمْ أنَا؟ فَقَالَ: سَبَقَكَ بهَا عُكَاشَةُ"، هنا النبي –عليه الصلاة والسلام–الراجل بيقول له أنا منهم؟ قال له انت منهم. التاني قام قال له طب أنا كمان؟ قال له خلاص هو عكاشة بقى هو اللي منهم.

الحديث ده استدل به شيخ الإسلام على إن الأمم السابقة وأعظم الأمم السابقة بني إسرائيل من بعد هذه الأمة، وإن بني إسرائيل ربنا ذكرهم في الكتاب كتير وإن هذه الأمة مختلفة عن الأمم السابقة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ –ليه؟– تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ" فهذه الأمة هي خير الأمم وهذه الأمة فضلت على سائر الأمم، ورسالة هذه الأمة خير من جميع الرسالات، وأفضل الكتب السماوية على الإطلاق هو كتاب الله –سبحانه وتعالى– القرآن الكريم.

قال: ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة، لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبار عن الله أو خلقه بباطل لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ليس من الكلم الطيب والعمل الصالح، بل الآية تقتضي أن ما لم تأمر به الأمة فليس من المعروف وما لم تنهى عنه فليس من المنكر.

يبقى يا جماعة هنا بيقرر أن هذه الأمة فضلت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا كان إجماع الأمة حجة. الإجماع يا جماعة من أحد مصادر الحجية عند أهل السنة والجماعة، اللي هو الإجماع، يقولوا إجماع الصحابة، إن هم أجمعوا على شيء، فهو شيخ الإسلام بيقول ليه؟ لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فبالتالي لو أجمعوا على شيء يبقى الشيء ده معروف، ولو أجمعوا على النهي عن شيء يبقى الشيء ده من الإيه؟ من المنكر، ليه؟ لإن ربنا فضلهم بالإيه؟ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو أنهم أجمعوا على منكر يبقى هم كده خالفوا الإيه؟ التفضيل، فكان مقتضى هذا تكذيب القرآن، لذلك فبيقول من مقتضى تصديق هذه الآية إن الإجماع حجة.

أقف عند هذا الحد واقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: شروطه واعتباراته وموازناته

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أذكر نفسي والإخوة والأخوات الفضليات بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[٢١]، وبحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[٢٢]، فيعني نستحضر نية صالحة في هذا المجلس، ونسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا فيه القبول والإخلاص في القول والعمل.

توقفنا في المرة السابقة في رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان بيتكلم على مسألة الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال إن هذه الأمة ميزت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة لأن الله أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبارٍ عن الله أو خلقه بباطل لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، يعني هو استدل بحجية الإجماع على أن هذه الأمة الله –سبحانه وتعالى– وصفها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقال إن لو الأمة اجتمعت على أن تأمر بالمنكر أو تنهى عن المعروف يبقى كانوا بهذه الطريقة يخالفوا الوصف الذي مدحهم الله –سبحانه وتعالى– به، فاستدل بتفضيل الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حجية الإجماع.

ثم بعد ذلك شيخ الإسلام بدأ يتكلم على مسألة معاني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المخاطب بهذا، وإيه معنى بلاغ الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وإيه القيم والشروط التي ينبغي أن تتحلى في الناس الذين يقومون بهذه العبودية لله –سبحانه وتعالى–؟ عبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فبيقول في رسالته في كتاب الاستقامة، قال: فقد أوجب ذلك على الكفاية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والله –سبحانه وتعالى– كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقد أوجب ذلك على الكفاية منها، بقوله –تعالى–: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" آل عمران:١٠٤.

هنا يا جماعة نقطة مهمة؛ نقطة هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين وألا فرض كفاية؟ فرض العين يعني حاجة ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا بها وهي مقصودة بالنسبة لذات فاعلها، يعني كل واحد ربنا –سبحانه وتعالى– كلفه بهذا، فهو المقصود إن هو يعملها بعينه، يعني مثلًا زي الصلاة، هو المقصود إن كل واحد يصلي، لكن فرض الكفاية ده نوع تاني من أنواع الفروض، ده فرض مش مقصود بعينه، يعني فرض الكفاية، مقصود حصوله من غير النظر بالنسبة لذات فاعله، يعني مثلًا يقولوا صلاة الجنازة فرض كفاية، يعني المقصود أو المأمور به شرعًا إن الراجل اللي مات من المسلمين ده عدد من المسلمين يكفنوه ويغسلوه ويصلوا عليه، مش واجب على كل واحد من المسلمين

---

[٢١] حسنه الألباني

[٢٢] صحيح مسلم

إن هو ينزل يصلي عليه، لكن المقصود إن العمل ده يتعمل، مثلًا يقولوا الطب فرض كفاية، الهندسة فرض كفاية، الصناعات والحرف والأشياء التي يقوم بها مصالح العباد دي فروض كفايات، يعني إيه؟ مش واجب على كل واحد إن هو يبقى طبيب، إنما واجب على هذه الأمة إن هي تقيم الطب فيها، مش كل الناس هتعرف تبقى أطباء لكن إن هذه المهنة تكون موجودة في وسط المسلمين، محتاجين خياطين، محتاجين مهندسين، أصحاب الحرف وأصحاب الصناعات، دي اسمها فروض كفايات، يعني إيه فروض كفايات؟ يعني المقصود حصول الأمر ده من غير النظر لذات فاعله.

يبقى الفرض: فيه فرض اسمه فرض عين وفيه فرض اسمه فرض كفاية، فرض كفاية يعني حاجة ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا إن المسلمين يقيموها حتى يكفون المسلمين مؤنة هذه المهمة، فرض العين لا، ده لازم كل واحد من الناس يعملوا بعينه.

هنا شيخ الإسلام بيرجح إن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي فرض على الكفاية، ليه؟ لقول الله –سبحانه وتعالى–: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

هنا هل فرض الكفاية ده يتعين بالشروع ولا مش كله يتعين بالشروع؟ يعني إيه يتعين بالشروع؟ يعني لو واحد مثلًا قرر إن هو يبقى دكتور هل أصبح فرض عين عليه إن هو يبقى دكتور؟ لو واحد مثلًا بقى مهندس هل فرض عين إنه يبقى مهندس؟ فيه حاجات دينية زي صلاة الجنازة وفيه حاجات دنيوية زي الحرف والصناعات، فروض الكفايات هل أصبحت فرض عين على الناس اللي بدأت فيها؟ فيه خلاف بين العلماء، بعض أهل العلم قال إنه لا يتعين بالشروع في فروض الكفايات إلا في بعض فروض الكفايات، زي مثلًا الجهاد زي صلاة الجنازة زي الحج زي العمرة، يعني لو واحد قرر إن هو يصلي الجنازة وبدأ في صلاة الجنازة، يتعين عليه يعني يأثم بعد ذلك لو تركها لإن كده هو عطل مصلحة من مصالح المسلمين، وبعض أهل العلم قال كل فروض الكفايات يتعين بالشروع فيها، يعني بمجرد الإنسان يبدأ فيها تصبح كأنها فرض عين عليه في وجوب إتمامه، وبعض أهل العلم فرق ما بين فروض الكفايات في الحرف والصناعات أو في الأمور الدينية.

يعني إيه الكلام ده؟ يعني فروض الكفايات عمومًا هي تلزم المسلمين كمجموع، مش تلزم كل فرد من المسلمين. طيب لو مجموعة من المسلمين قاموا بها زي مثلًا واحد حج؛ حج تطوع، واحد خرج غازيًا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– هل ينفع في نص الغزوة يمشي ويقول والله أصل أنا ده كانت بالنسبة لي كانت نافلة وأنا ممكن أمشي براحتي؟ يقولوا لأ، بما إنه بدأ فيها وشرع فيها فإنها أصبحت لازمة له. لو إنه بدأ في الحج فإنها أصبحت لازمة له، بما إنه بدأ في العمرة فإنها أصبحت لازمة له، بما إنه درس الطب واتعين وبقى بيذاكر كويس وبقى شاطر وخد شهادات فأصبح لازمًا له.

بعض أهل العلم قال إن فروض الكفايات تتعين بالشروع فيها، يعني تصبح فروض أعيان على اللي بدأها، وبعض أهل العلم قال لأ، هي لا تتعين بالشروع فيها، إنما المقصود إنها تتعمل بأي إنسان كائنا من كان، لكن فيه بعض العبادات منصوص على إن الإنسان إذا بدأ فيها حتى وإن كانت فروض كفايات لابد إن هو يتمها: زي الجهاد، وزي صلاة الجنازة، وزي الحج والعمرة.

هنا شيخ الإسلام بيرجح يا جماعة إن الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليسوا واجبًا عينيًا على جميع المسلمين، إنما هم واجبًا عينيًا على الكفاية، يعني لو المهمة تكون بواحد أو باتنين أو بتلاتة أو بعشرة أو بعشرين على حسب ما المهمة تحتاج الناس يقيموها، ومش لازم كل واحد يعمل نفس الحاجة، ومش لازم كل الناس تأمر وتنهى بنفس الطريق، إنما المهم إن ده يحصل وإن العبودية دي تُحَقَق.

فبيقول: فقد أوجب ذلك –أي الله –سبحانه وتعالى– على الكفاية منها بقوله –تعالى–: "وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ".

يبقى يا جماعة هنا هل الدعوة إلى الله؟ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فرض عين على كل إنسان؟ ولا فرض كفاية؟ ولا أمر مستحب؟ المسألة فيها تفاوت، لكن هنا شيخ الإسلام بيرجح إن هي فرض كفاية.

طيب يعني إيه كفاية؟ يعني الأمة كلها عليها إنها تقيم منها من يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– حتى يكتفي المسلمون من هذه المهمة أو تقام هذه المهمة في أوساط المسلمين.

طيب لو حصل إن فيه عجز، مين يأثم؟ هيجي بقى شيخ الإسلام وهو بيوضح بيقول: إن أمر الكفاية يأثم فيه كل إنسان يقدر على أن يتم هذه المهمة كل على قدره، كل على حسب قدرته، كل على حسب استطاعته.

يبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمفهومه العام بمفهومه الواسع، شيخ الإسلام بيرجح إن هو فرض كفاية.

هل ده معناه إن بقية الأمة أو بقية الناس ما تعملش ده؟ يعني لو فيه مجموعة من العلماء بيقوموا بده، وفيه مجموعة من أهل الخير بيفعلوا ده؟ هل ده معناه إن بقية الأمة ما تعملوش؟ يقولوا: لا، فيه فرق بين واحد دي وظيفته الرئيسية كعبودية معينة ربنا –سبحانه وتعالى– أمره بيها، وفرق إن فيه واحد بيعملها من باب إن هو متطوع أو إن هو يستزيد أو هو يحتاج إلى ذلك أو هو يكون بذلك متطوعًا، يبقى فيه فرق إن فيه حاجة مأمور بها شرعًا تلزم الجميع، وفرق إن هذا اللزوم للجميع لا يعني إن باقي المسلمين كل على قدره يجتهد فيها قدر استطاعته. لكن حكم التأثيم إن أنا هل أقول إن فلان يأثم وفلان يأثم إن هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهنا الشيخ الإسلام بيرجح أنها فرض كفاية يعني المقصود أنها تحصل من غير النظر لذات الفاعل، يعني المقصود إنها تحصل عمومًا.

بيقول بقى بعد كده بيتكلم على مسألة يعني إيه الدعوة؟ ويعني إيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو إيه حده؟ بيقول: "وإذا أخبر بوقوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منها لم يكن من شرط ذلك أن يصل أمر الآمر ونهي الناهي منها إلى كل مكلف في العالم، إذ ليس هذا من شرط تبليغ الرسالة، فكيف يُشْتَرَط فيما هو من توابعها، بل الشرط أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، ثم إذا فرطوا فلم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه كان التفريط منهم لا منه". هنا شيخ الإسلام يا جماعة بينقل التقرير من مسألة حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى مسألة معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني إيه أنا المفروض إن أنا أبلغ دين الله، لحد فين؟ يعني هل مفروض إن أنا أوصل لواحد واحد في الحياة أوصل له كل معلومة من معلومات الدين وكل معلومة من معلومات أنا وصلت إليها؟ يعني هل معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كل مكلف –كل مكلف يعني كل واحد ربنا كلفه، يعني كل إنسان مخاطب بالشرع– هل كل مكلف المقصود في إن هو يصل إليه كل أنواع الدين؟ هنا شيخ الإسلام بيقول: لأ، مش المقصود ذلك، إن مش مقصود ولا معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن احنا نروح نخبط على باب كل واحد، وواحد واحد من الناس نفهمه كل حاجة في الدين، كده يبقى احنا كده أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، أومال معنى إيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي ربنا أمرنا به؟ إيه معنى هذا الكلام؟ بيقول: إنه مش شرط إنه يصل أمر الآمر ونهي الناهي إلى كل مكلف في العالم. أومال إيه الشرط؟ وبيقول وده مش شرط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلًا، ولا ده مخاطب به الناس بمعنى تبليغ الرسالة، أومال إيه المعنى اللي شيخ الإسلام هنا هيشرحه لنا في معنى الدعوة أو معنى تبليغ الرسالة أو معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ بيقول: "إن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم" يعني إيه يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم؟ يعني إن اللي عايز دين يلاقي دين، يعني يبقى الدين متاح عند الجميع، يعني يسهل وصول الناس إليه، يعني كل من هو مخاطب بالشرع إذا أراد أن يصل إلى الدين فيكون الدين موجود، يكون حد بيأمر وينهى، يكون الدين في حياة الناس يسهل وصول الناس إليه، يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، يعني الناس اللي أمروا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقوا وسط الناس حتى إن الناس لو عايزة تعرف الخير والشر ولو إن الشر هيبقى بعض الناس تعمله في المجتمع يبقى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يكونوا في وسط هؤلاء، يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم، يعني بيسهلوا طريق الدعوة لمن شاء، وبيزيلوا العوائق سواء العوائق دي كانت عوائق مادية أو عوائق شبهات أو عوائق شهوات يبينوا للناس الحق من الباطل، يتمكن الناس من وصول الحق إليهم، ده معنى بلاغ الرسالة.

يعني إيه بلاغ الرسالة يعني إن المكلفون –عند شيخ الإسلام بيعرفها– أن يتمكن المكلفون من وصول الدعوة إليهم.

طب افرض هو بقى متمكن وبقى عارف إن فيه شيخ في المنطقة الفلانية وبقى عارف إن فيه كتاب مشروح في الحتة الفلانية وبقى عارف إن فيه دورة في المكان الفلاني وبقى عارف إن فيه تحفيظ في المكان الفلاني هو بعد ذلك مش عايز يسمع ومش عايز يعرف ومش عايز يروح ومش عايز يأتمر بهذه الأوامر بل هو بينه وبين نفسه بيخلو وبيعصي وبيعمل معاصي وبيعمل كبائر ومش عايز يسمع، هل هنا الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يجلدوا نفسهم، ويقولوا بقى احنا غلطانين، وأصل احنا ما عرفناش نوصل للناس، وأصل احنا ماوصلناش للناس الحجة، وماوصلناش للناس البيان؟ يقول: لأ، الكلام ده مش صحيح، إنما إذا فرطوا –يعني إذا فرط المكلفون– ولم يسعوا في وصوله إليهم مع قيام فاعله بما يجب عليه –يعني لو الفاعل اللي هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، تمكن أو مكن الناس من وصوله بقى سهل في وصول الدين إلى الناس وبقى ما عدش فيه عوائق عند الناس، إنها تصل إلى الدين وتتعلم دين وتقرأ دين وتسمع دين وتبحث عن دين، لو الناس بعد كده بقى هي قصرت في ذلك، وابتعدت عن الدين راغبة مختارة لذلك كان التفريط منهم لا منه، يعني كان التفريط هنا من الناس مش من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ودي نقطة يا جماعة مهمة إن فيه بعض الدعاة إلى الله عنده جلد للذات؛ إن هو كل ما يشوف معصية وكل ما يشوف وجوه وكل ما يشوف حاجة غلط دايمًا يقول: أنا اللي غلطان وأنا لو كنت وصلت للناس وأنا لو كنت قلت لهم وأنا لو كنت عملت لهم، في حين إن هو فعلًا وصَّل للناس كلام كتير وفعلًا أقنع الناس وفعلًا اجتهد على الناس اجتهاد شديد جدًا، لكن خلاص هو كل واحد بيختار اختياره وكل إنسان مسئول عن اختياره، وكل إنسان حر في اختياره، يعني فيه دورس مهم اسمه حرية الإرادة موجود على الساوند كلاود أنصحكم تسمعوه، بيتكلم عن هذا المفهوم؛ مفهوم حرية الإرادة، إن احنا بنخاطب في الناس إرادتهم الحرة، إن كل إنسان بيختار اللي هو عايزه، لكن مش معنى إن أنا بدعو إلى الله إن أنا أسيطر على الناس ولا إن أنا أؤطر الناس في إطار إن هم يمشوا ورايا بكل طريق، ولا معنى ذلك إن أنا أتسلط على الناس إن كل واحد يعمل اللي أنا هقول له عليه، ولا كذلك معنى ذلك إن أنا أقول والله أصل كل واحد بقى حر فأنا مش هقول، إنما أن يتمكن المكلفون من الوصول إلى الخير والشر، إن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في وسط الناس يأمر وينهى ويعلم ويوضح ويبين، ويبين للناس الحلال من الحرام، بعد ذلك من شاء أن يقبل فليقبل ومن شاء أن يرفض فليرفض، من شاء أن يؤمن فليؤمن ومن شاء أن يكفر فليكفر، الله –سبحانه وتعالى– يحاسب كل إنسان على إرادته وعلى اختياره وعلى أعماله أقواله.

يبقى شيخ الإسلام يا جماعة في المقطعين دول وضح معنيين، المعنى الأول حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضح إن هو فرض كفاية، رقم اتنين معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعنى تبليغ الرسالة ليس معناه إن الأمر والنهي يصل لكل واحد في العالم، إنما معناه إن الناس يكون سهل الوصول إلى الدين، أن يتمكن المكلفون من وصول ذلك إليهم.

يبقى هنا وضَّح الحكم؛ حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد كده بدأ يستطرد على مسألة فرض الكفاية بيقول: وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجب على كل أحد بعينه، هنا بدأ يوضح إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فرض عين إنما هو فرض كفاية بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن.

يبقى هنا شيخ الإسلام بيرجح في باب أصول الفقه فيه أنواع للفروض: فيه فرض اسمه فرض العين، وفيه فرض اسمه فرض الكفاية، كما وضحت منذ قليل، فهنا هو بيؤكد على هذا المعنى إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس فرضًا على كل أحد، يعني لو انتِ معدية على معصية فلقيتي واحد أنكر والواحد ده حسن البيان وحسن الحجة وهو تكلم في هذا المنكر وبين للناس الحق من الباطل مش لازم كل واحد معدي يقول نفس الكلام، خلاص ما دام فلان قالها فقد كفانا.

قصة أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب في سقيفة بني ساعدة، وبعدين بيقول: ولقد زورت مقالة ثم قام الصديق فتكلم فبيقول: إن أبو بكر الصديق تكلم بما قال أفضل مما قلت. عمر بيقول أنا كنت محضر كلام فلما أبو بكر تكلم أنا انبهرت بكلام أبي بكر، فهنا كفاية خلاص ما

دام المهمة وصلت، وما دام المعنى وصل، وما دام الحجة وصلت، وما دام البيان وصل، وما دام الخير وصل، وما دام الراية رُفِعت، وما دام دين ربنا –سبحانه وتعالى– علا، فمش لازم كل واحد يقول نفس الكلام مرة أخرى.

فهنا بيوضح شيخ الإسلام مرة أخرى هذا فيقول: "وكذلك وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن، ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضًا كذلك". هنا بدأ بيتكلم على إن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُلْحق به حكم الجهاد، لإن الجهاد عند المسلمين كما وضّح وكما وضحنا في الدرس السابق أنه من تمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن مما تميز به الجهاد عند المسلمين عن غيره من باقي الأمم السابقة زي بني إسرائيل، إنه كان لإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: "فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته"، هنا شيخ الإسلام بيوضح معنى جميل قوي يا جماعة، يتكلم على معنى إن إذا الناس ما قامتش بالدعوة إلى الله، إذا ما قامتش بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هيحصل إيه؟ بيقول هيحصل إثم، طيب هل الناس كلها تأثم؟ بيقول لا، هيأثم كل قادر، يعني كل إنسان يقدر على إن هو يبين، كل إنسان يقدر على الوعظ، وكل إنسان عنده من العلم والخير ما به يأمر وينهى، ثم هو تخلف عن ذلك وترك الحرص على الناس وترك مسئوليته تجاه المجتمع، وترك إيجابيته تجاه المجتمع، وترك الخير للناس، وترك دلالة الناس على الخير، يأثم بقدر استطاعته. كل واحد يأثم بحسب قدرته. إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته يعني حتى تحصل الكفاية، يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لو الناس ما قامتش به وما عملتوش هنا بيأثم الجميع كلٌّ على حسب قدرته حتى تحصل الكفاية، إذ هو واجب في هذه الحالة التي قصر فيها الناس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا أصبح الوجوب متعين على كل قادر على أن يفعل ذلك.

هنا شيخ الإسلام منصف ودقيق في تعبيراته؛ من فروض الكفايات مثلًا الحرف والصناعات يعني واجب على المسلمين إن هم يطلعوا مهندسين ويطلعوا أطباء طب افرض المسلمين ما طلعوش مهندسين وأطباء مين يأثم؟ يقول لك يأثم كل قادر على ذلك، يعني تأثم الأمة؟ يقول له بالمجموع كده في الكلام نقول تأثم الأمة، لكن عند التدقيق هو مش كل واحد في الأمة هيأثم، لإن هو واحد ما عندوش قدرة إنه يبقى دكتور ولا عنده فلوس يبقى دكتور ولا عنده عقلية إنه يبقى دكتور ولا عنده مساحة إنه يبقى دكتور فهو هيأثم ليه ده؟ لكن هيأثم كل قادر بحسب قدرته. وكذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن الإنسان اللي عنده حافظة قوية، اللي عنده عقلية قوية، اللي عنده بيان قوي، اللي عنده حسن تعبير، اللي نشأ في بلاد تتكلم اللغة العربية، اللي نشأ في بيئات علمية فيها علوم سهلة وفيها مساحة من التعليم.

بيقول: إذ هو واجب على إنسان بحسب قدرته، هنا بيقول إن أهل الدعوة إلى الله إذا لم يقوموا بواجبهم هيبقى الوجوب هنا مش على الجميع، إنما على كل إنسان على حسب قدرته، اللي نشأ في بلد فيها علم، اللي نشأ في بيئات يستطيع إنه يُحصل فيها علم ويجلب فيها علم، ثم الناس في ضياع لا تجد من يعلمها ولا تجد من يأخذ بأيديهم، هنا هيبقى لو قصر الناس ولم يستطيع المكلفون، لم يستطع الناس المخاطبة بالشرع، وهذا تعبير عن كل المسلمين، إذا لم يستطع هؤلاء أن يصلوا إلى الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– هيأثم كل إنسان يقدر على الدعوة إلى الله، ويقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل عالم وكل متعلم وكل داعي وكل من عنده القدرة على أن يفعل ذلك ثم هو تخلى عن هذه المهمة لأجل شيء آخر، فهو هنا يأثم على حسب قدرته.

فبيقول: إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"[٢٣]، هنا بدأ يتكلم على مسألة إن الحكم العام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحكم إن هو فرض كفاية، طيب ما الحديث ده بيقول من رأى منكم منكرًا، هنا طب ما هو الحديث مش بيتكلم على فرض الكفاية،

[٢٣] صحيح مسلم

الحديث بيتكلم هنا على إيه؟ على فرض العين، طيب ما هو من رأى منكم منكرًا ده أي إنسان ممكن يرى منكرًا وهو ماشي، فهنا بدأ هو بيستدل بالحديث ده إن ده في حال إذا قصر الناس عن توضيح المنكر والنهي عنه وتوضيح المعروف والأمر به، فهنا هيبدأ يُشاهد في وسط المجتمع هيبدأ يُشاهد في وسط الناس.

طيب من رأى منكم منكرًا يعمل إيه؟ فقال: على قدره، النبي -عليه الصلاة والسلام- هنا وضع مسألة: بيده، بلسانه، بقلبه، هنا درجات متفاوتة بين الناس، فيه واحد يقدر على أن يغير بيده، واحد مثلًا شاف ابنه بيتفرج على مثلًا حاجة حرام، شاف مثلًا ابنه بيشرب مخدرات، هو يقدر إن هو يزعق له، هو يقدر إن هو يفض القعدة دي، هو يقدر إن هو يغير هذا بكلمة واحدة، يقول له: قم اعمل شيل حط يقدر إن هو يغير هذا في لحظة واحدة فده يستطيع بيده. أو مثلًا سلطان يعني واحد في سلطانه؛ واحد ظابط مثلًا معدي ولقى واحد بيسرق، هل يقول له اتق الله؟ لا، هو مش مجال دعوة هنا إنما هو يستطيع إن هو يغير ذلك إيه؟ بيده.

فهنا يبقى مسألة بيده دي متفاوتة، طب افرض واحد مش عارف ما يقدر ما عندوش سلطان إن هو يقدر يمنع ده، وما عندوش قوة إنه يقدر يمنع ده، وما عندوش العلاقة اللي تقدر تمنع بيها ده، لإن ده محتاج قوة مجتمعية وقوة علاقة وقدرة على ذلك، فالنبي -عليه الصلاة والسلام- هنا ده نقله درجة أخرى قال له إيه؟ فبلسانه إن هو يبدأ يكلمه بلسانه. طيب افرض هو ما عندوش قدرة على إنه يتكلم بلسانه قال: فبقلبه، هنا شيخ الإسلام بيستدل بهذا الحديث على أنه كلٌ حسب قدرته. إن فيه واحد يقدر بيده، فيه واحد يقدر بلسانه، فيه واحد يقدر بقلبه، قال: وذلك أضعف الإيمان، وإذا كان كذلك فمعلوم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد من أعظم المعروف الذي أمرنا به ومن النهي عن المنكر.

بدأ بقى شيخ الإسلام يتكلم، طب إيه يا جماعة الحاجات -القيم- التي يؤمر بها؟ وإيه الأشياء التي ينهى عنها؟ يعني احنا لو هو بيتكلم على معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال إن معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس معناه إن الدعوة تصل إلى كل واحد من الناس بكل طريق في العالم، إنما معناه أن يتمكن المكلفون من الوصول إلى الدين إذا احتاجوا إليه، طيب يأمروا بقى بإيه؟ الناس اللي هتقعد وفي وسط الناس وتتكلم وسط الناس وعايشة وسط الناس ويتمكن الناس من الوصول إليهم، مفروض يكلموا الناس في إيه؟ إيه المعروف وإيه المنكر؟ إيه معنى المعروف والمنكر؟ إيه القيم التي يدعى الناس إليها؟ فقال: "من هذا إقامة الحدود على من خرج عن شريعة الله، ويجب على أولي الأمر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم بما أمر الله بمثل شرائع الإسلام".

هنا شيخ الإسلام بيتكلم على شرائع الإسلام وهي: الصلوات الخمس في مواقيتها، والصدقات المشروعة اللي هي الزكاة، والصوم المشروع، وحج البيت الحرام، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، مثل ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة، الإخلاص: إخلاص الدين مثل إخلاص الدين لله والتوكل على الله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، والرجاء لرحمة الله والخشية من عذاب الله، والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله، مثل صدق الحديث والوفاء بالعهود، وأداء الأمانات إلى أهلها، وبر الوالدين وصلة الأرحام، والتعاون على البر والتقوى، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك، والعدل في المقال والفعال، ثم الندب إلى مكارم الأخلاق مثل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، من الأمر بالمعروف كذلك الأمر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة، وغير ذلك.

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله؛ وهو أن يدعو مع الله إلهًا آخر كالشمس والقمر والكواكب أو كملك من الملايين أو نبي من الأنبياء أو رجل من الصالحين أو أحد من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يُدعى من دون الله -تعالى- أو يستغاث

به أو يسجد له، فكل هذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسله، ومن المنكر كل ما حرمه الله كقتل النفس بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل بالغصب، أو الربا أو الميسر، أو البيوع والمعاملات التي نهى عنها النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك قطيعة الأرحام وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، والإثم والبغي والعبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله وغير ذلك.

هنا شيخ الإسلام يا جماعة في هذا المقطع وفي هذا الجزء من الكتاب يتكلم عن القيم الرئيسية التي يدعى الناس إليها؛ لو احنا قلنا احنا يا جماعة بندعو إلى الله تدعو إلى الإيه يعني؟ انت عايز إيه مني؟ فهنا بيوضح لك إن أنا يعني إيه بادعو إلى الله؟ يعني بكلم الناس على الإيمان بالله؟ يعني بكلم الناس عن الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، بشرح لهم قصص الأنبياء وبشرح لهم سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، بشرح لهم اليوم الآخر، وبشرح لهم القدر ومعاني القدر وقانون الأسباب وكيف يتعامل الله –سبحانه وتعالى– مع خلقه، إنك انت بتعلمهم ازاي يعبدوا ربنا، بتعلمهم الصلاة، بتعلميهم الزكاة، بتعلميهم يصوموا ازاي ويحجوا ازاي وإيه معاني الصيام، بتبلغيهم دين الله –سبحانه وتعالى–، بتكلميهم عن الحج بتكلميهم عن المعاني القلبية، بتكلميهم عن الصدق مع الله والإخلاص مع الله والتوكل على الله، معنى التوكل ويعني إيه اعتماد القلب على الله؟ يعني إيه الرجاء في الله؟ بتعملي درس عن خشية الله، ودرس تاني عن محبة الله، ودرس تالت عن الصبر لحكم الله، ودرس عن التسليم والإذعان لأمر الله، ودرس عن صدق الحديث والأخلاق: العفة والحياء. والحياء يا جماعة من أهم القيم الشرعية، يعني الحياء من القيم التي ينبغي أن تخاطب بها النساء والرجال عمومًا، يعني للأسف يمن القيم التي كادت أن تضيع في كثير من المجتمعات، الحياء قيمة عالية جدًا، لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء، الحياء في المشية، "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ" القصص:٢٥، إن الست يبقى عندها حياء، حياء من صوتها؛ صوتها ما يبقاش عالي، مشيتها؛ ما تبقاش ماشية متبخترة في وسط الرجال، إن هي بتستحي في وسط الرجال، إنها تقر في البيت "وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ" الأحزاب:٣٣، ما تختلطش بالرجال، ما تبقاش خراجة ولّاجة، الدعوات الآن بقت دعوات قليلة الحياء؛ قليلة الحياء في اللبس وقليلة الحياء في الكلام وقليلة الحياء في المعاملات، وقليلة الحياء في الزواج والطلاق، قليلة الحياء في المعاملات عمومًا. إن احنا يا جماعة محتاجين نرجع بالناس إلى دين الله –سبحانه وتعالى–، نخاطبهم بالصدق، نخاطبهم بالحياء، نخاطبهم بالوفاء بالعهود، نخاطبهم بأداء الأمانات، "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" النساء:٥٨، هذه من أعلى القيم الشرعية؛ قيمة العدل. العدل الذي به قامت السماوات والأرض، العدل أداء الحقوق، العدل التسوية بين متساويين والمخالفة بين المختلفين، العدل معرفة الحقوق ومعرفة الحريات وكل إنسان ياخد حقه ويمارس حريته في حقه، ومين اللي بيحق الحق؟ الله –سبحانه وتعالى–، إيه معنى الحقوق؟ وإيه حق الرجل؟ وإيه حق الطفل؟ وإيه حق الزوجة؟ وإيه حق الابن؟ وإيه حق الأم؟ وإيه حق الجار؟ وإيه حق الصاحب؟ إيه الحقوق الشرعية؟

إن احنا نخاطب الناس بقيم الدين، إن لما يقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنا بأمر الناس بما أمر الله به، بالأمانات، البر، بر الوالدين، صلة الأرحام، التعاون على البر والتقوى، الناس تعين بعضها البعض، ربنا –سبحانه وتعالى– توعد الذين يمنعون الماعون، الماعون اللي الناس بتستعين به على الحاجات البيتية، إن احنا نعين بعضنا البعض على الحياة وعلى أمور الدين وأمور الدنيا.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الإحسان إلى الجار، الإحسان إلى اليتيم، الإحسان إلى المسكين، الإحسان إلى ابن السبيل، الإحسان إلى الصاحب، الإحسان إلى الزوجة، الإحسان إلى المملوك، العدل في الأفعال، الندب إلى مكارم الأخلاق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: تجميع الناس؛ الأمر بالائتلاف، الأمر بالصف الواحد والكلمة الواحدة والاجتماع الواحد والنهي عن الاختلاف والفرقة.

فهنا شيخ الإسلام بيتكلم على مسألة مهمة جدًا على معالم واضحة جدًا في معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيه القيم الشرعية التي يُدعى الناس إليها؟ وإيه القيم التي يُنهى الناس عنها؟ يُنهى الناس عن الشرك بالله –سبحانه وتعالى–، يُنهى الناس عن عبودية غير الله –

سبحانه وتعالى– سواء بقى شياطين كواكب شمس قمر نجوم صليب، الشرك مع الله –سبحانه وتعالى–، قبور؛ إنه يستغاث بغير الله أو يُسجد لغير الله، كل هذا من الأشياء التي ينبغي أن يُنهى الناس عنها.

النهي عن المنكر النهي عن قتل النفس، إن احنا نعظم ما عظم الله –سبحانه وتعالى–، ربنا عظم الأعراض وعظم الأموال وعظم الدماء، فلا ينبغي أن نقتل النفس التي حرم الله –سبحانه وتعالى–، لا ينبغي أن نأخذ مال بغير حق، أكل أموال الناس بالباطل. ينبغي أن يُنهى الناس عن أكل أموال الناس بالباطل، يُنهى الناس عن المعاملات الحرام، الربا والميسر، البيع المحرم، الاحتكار، ينهى الناس عن الغصب والسرقة، ينهى الناس عن الربا، ينهى الناس عن قطيعة الأرحام، ينهى الناس عن سوء الأخلاق مع الوالدين عن عقوق الوالدين، ينهى الناس عن الظلم في المكيال والميزان وتطفيف المكيال والميزان، والتعامل بميزانين ومعيارين، ولما نكون بنتعامل مع فلان اللي احنا بنحبه نتعامل بطريقة ولما نكون بنتعامل مع فلان اللي احنا بنكرهه بنتعامل بطريقة تانية، ولما نكون بنوزن الحاجة اللي احنا بنحبها نوزنها بالطريقة اللي احنا عايزينها، ونستوفي المكيال والميزان لما نكون احنا اللي هناخد، ولما نكون بنبيع نطفف المكيال والميزان ونحاول ننقص من حقوق الناس عشان احنا نستفيد استفادة على هامش البيع والشراء، وتطفيف المكيال، ينهى عن كل ذلك.

يُنهى عن الإثم والبغي، ينهى عن البدع والأشياء التي ابتدعها الناس حتى يتقربون بها إلى الله وهي ليست من عبودية الله –سبحانه وتعالى– في شيء، بل لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله –سبحانه وتعالى–، فتقربوا إلى الله –سبحانه وتعالى– بأديان مبتدعة، وعبادات مبتدعة، وأفكار مبتدعة، وتصورات مبتدعة عن الله –سبحانه وتعالى–، يُنهى عن كل ذلك.

هنا شيخ الإسلام يا جماعة بيوضح لنا معالم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، القيم الرئيسية مفردات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلام يدعى الناس وما الذي ينهى عنه الناس؟

بس هو هنا قبل ما يتكلم في الموضوع ده ذكر جملتين صراحة محتاجين نقف معاهم وقفة؛ بيقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب على أولي الأمر، هنا بدأ يتكلم على تخصيص شوية على مسألة فرض الكفاية، يعني بيقول إن هو فرض إن يُمَكَّن المكلفون من وصول الدعوة إلى الله، طب مين اللي مخاطب ابتداء بتسهيل وصول الدين إلى الناس؟ مين المخاطب ابتداء بتعليم الدين للناس؟ الجميع مخاطب بذلك، والأمة مخاطبة بذلك، هو فرض على الأمة بمجموعها، لكن هو هنا بدأ يتكلم شيخ الإسلام على مسألة من المسائل المهمة جدًا بيقول: أنه يجب على أولي الأمر، يعني كل من تولى أمر؟ مين بقى أولي الأمر؟ شيخ الإسلام بيُعَرِّف مين أولي الأمر؟ بيقول: وأولي الأمر هم العلماء والأمراء والمشايخ، قال: "وهم علماء كل طائفة وأمرائها ومشايخها أن يقوموا على عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر".

فهنا بدأ شيخ الإسلام بيتكلم على إن واجب على كل من تعلم دين الله، ومن عنده القدرة على تعليم الناس وعلى أمر الناس بالمعروف ونهي الناس عن المنكر أن يقوم بذلك، واجب على كل شيخ وعلى كل من له سلطان أن يسهل الدين للناس، وأن يفرح بتدين الناس، وأن يعين الناس على أمر الدين، وأن يسهل وصول الناس إلى الدين ووصول الدين إلى الناس.

فهنا بيقول وهو يجب على أولي الأمر، مين أولي الأمر؟ أولي الأمر كتير من ناس متخيل إن هم السلطان، لا، أولي الأمر هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيعرفها بيقول: وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها، يبقى هو قال إن أولي الأمر طائفتين، العلماء والأمراء، يعني ربنا لما يقول: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ" النساء:٥٩، مين المخاطب بذلك؟ المخاطب بذلك هم أولو الأمر والأمراء الذين يقومون بأمر الدين، والذين يطيعون أمر الله –سبحانه وتعالى–، فجعل الله طاعة العلماء والأمراء في المعروف، إنما الطاعة في المعروف، جعل كل طاعة لله –سبحانه وتعالى– طاعة مطلقة، وكل طاعة للبشر طاعة مقيدة بالمعروف، يعني الوحيد الذي طاعته مطلقة من البشر هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، لأنه مُبَلِّغ عن الله –سبحانه وتعالى–، لأن الله –سبحانه وتعالى– ارتضاه أن يكون واسطة في البلاغ عنه، ليس في العبودية، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– ارتضى إن الذي يبلغ دين الله هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، لذلك جعل للنبي مطاعة مختلفة عن كل طاعات

البشر، فيما سوى ذلك من الطاعات اللي هو طاعة الزوجة لزوجها، طاعة الابن لأمه، طاعة الشعب لولي أمرهم الذي يحكمهم بالشرع، طاعة الناس في أمراء السفر "لا يحلُّ لثلاثةٍ يكونونَ بفلاةٍ من الأرضِ إلَّا أمَّروا عليهِم أحدَهم"[٢٤]، طاعة مدير المؤسسة اللي احنا بنشتغل فيها، كل الطاعات بعد ذلك طاعات مقيدة، مقيدة بإيه؟ مقيدة "لا طَاعَةَ في مَعْصِيَةِ اللهِ، إنَّما الطَّاعَةُ في المَعروفِ"[٢٥].

فهنا شيخ الإسلام يا جماعة بيوضح معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: هو أن يتمكن المكلفون من وصول الدعوة إليهم. بدأ يعرف معنى حكم الأمر إن هو فرض كفاية ليس فرض عين، يعرف معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعرف من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقال إنه مخاطب بذلك الأمة جميعًا ولكن هو واجب على أولي الأمر، وبعدكده بدأ يتكلم على معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال إيه القيم التي يُدعى الناس إليها؟ وإيه القيم التي ينبغي إن يُحذر الناس منها؟

وبدأ بعدكده شيخ الإسلام يتكلم على معنى جميل قوي، في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الرفق، قال: "والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، الرفق يا جماعة ده من الحاجات الجميلة، من القيم العظيمة، من الحاجات التي أمرنا بها، "ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه"[٢٦] يعني الرفق ده حاجة لما تدخل بتزين أي حاجة، يعني عارفين لما نقول فيه حاجة كده لما بتتحط في الأكل بيبقى الأكل دايما ريحته حلوة، وطعمه حلو، فيه حاجة لما تتحط في البيت البيت بيبقى دايما شكله جميل وريحته جميلة، فيه شخصية لما بتيجي في وسط القعدة، القعدة بتحس إن هي اكتسبت روح جميلة.
النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول إن فيه أسلوب من الأساليب لما بيكون موجود في الحياة كل حاجة في الحياة بتبقى حلوة، سواء كنا بنتناقش في مسألة، كنا بنتناقش في مشكلة، بنتناقش في بلاء، بنتناقش في معضلة، بنتناقش في أي حاجة، ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه يعني زَيَّنُه إلا كان له قيمة، عكس الرفق يا جماعة؛ الغلظة الشدة، لما يكون الموضوع فيه شدة وفيه غلظة حتى لو بنتكلم في حاجة صعبة أو حاجة شديدة هي أيضًا كل شيء يحتاج إلى رفق.
عارفين لما كان الجزار بيقطع اللحمة فبيقطع اللحمة بصورة فيها نوع من أنواع الشدة، وبعدكده جاله واحد تاني قال له انت بتعمل إيه؟ انت ليه شديد كده؟ قال له: ما هي اللحمة عشان تتقطع محتاجة شدة، فقال له: لا لا لا، هات السكينة كده وبدأ يحرك السكينة على اللحمة بطريقة بسيطة سهلة، وبدأ يذهب بها ذهابًا وإيابًا فانقطعت القطعة التي أراد أن يقطعها، فقال له: جربت الشدة واللين فرأيت اللين أقطع، قال له: أنا لما جيت أجرب ده وده لقيت إن كل حاجة تعرف تاخدها بالشدة تعرف تاخدها باللين، النبي -عليه الصلاة والسلام- كان رفيقًا في كل حال، الأصل في معاملات النبي -صلى الله عليه وسلم- الرفق، أحيانًا كان صحيح النبي -عليه الصلاة والسلام- كأنه منذر حرب، أحيانًا النبي -عليه الصلاة والسلام- كان ممكن يشتد، وأحيانا النبي -عليه الصلاة والسلام- كان ممكن يتكلم بكلمة فيها نوع من أنواع القوة والصلابة والحزم الشديد ويكون هذا من الحكمة، وهذا مهم جدًا في موضعه، لكن غالب حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت رفيقة. لو جيتوا تبحثوا كده المواضع التي اشتد فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- على أحد أصحابه مثلًا لما اشتد على أبي ذر وقال: إنك امرؤ فيك جاهلية، أو اشتد على عمر لما قال: ما لك وصاحبي لقد أغضبتموني أو لقد كذبتموني وصدقني أبو بكر في حديث الخلاف بين أبي بكر وعمر في الصحيح، هتجدوا إن المواقف اللي اشتد فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- مواقف قليلة جدًا، وتجد إن الناس اللي اشتد

---

[٢٤] مسند أحمد
[٢٥] صحيح مسلم
[٢٦] صححه الألباني

عليها النبي –عليه الصلاة والسلام– ناس تقيلة جدًا، وتجد إن دين الناس دي كان دين عالي جدًا، وإن الحاجة اللي هم عملوها كانت حاجة تستحق هذه الشدة.

هنا نقطة مهمة يا جماعة إن شيخ الإسلام بيتكلم عن إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش معناه إن احنا بنشتد على الناس، وإن احنا بنزجر الناس، وإن احنا بنغلظ على الناس، وإن احنا بنشتم الناس، وإن احنا بنهين الناس، وإن احنا بنكسر الناس، إنما معناه إن احنا محتاجين إن احنا نعرف أسلوب النبي –صلى الله عليه وسلم– في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محتاجين نعرف أسلوب النبي –صلى الله عليه وسلم– في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– كان أحسن الناس خلقا، لو احنا هنلخص الدين كله؛ الدين كله أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كل الدين يدعى إليه، يعني لو شيخ الإسلام هنا اتكلم على قيم الشرعية وأهمية القيم الشرعية وأولويات القيم الشرعية، لكن مهم جدًا إن احنا نعرف إن الدين كله هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني هل مثلًا ندعو الناس إلى إماطة الأذى عن الطريق؟ مش ده معروف؟ آه، ما دام معروف والنبي –عليه الصلاة والسلام– أمر به يبقى يدعى الناس إليه، هل ننهى الناس عن مثلًا إيذاء القطة؟ آه، يُنهى الناس عن إيذاء القطة، يعني لو شفت واحد بيضايق قطة وقعد يعذبها في الشارع، أنهاه عن ذلك؟ آه انهاه عن ذلك، فهو ده منهي عنه شرعًا؟ ما دام منهي عنه شرعا، آه يبقى احنا ننهى عنه. الدين كله على بعضه بأخلاقه بعقائده بشرائعه بمعاملاته كل الدين هو يؤمر به وينهى عمّا نهى الله –سبحانه وتعالى– عنه.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني احنا عايزين نعرف طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبقى محتاجين نتحلى بالرفق، محتاجين نتحلى باللين، شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه٤٣:٤٤، ربنا –سبحانه وتعالى– بيتكلم عن فرعون؛ فرعون بيقول لهم: أنا ربكم الأعلى، فرعون بيقول لهم: ما علمت لكم من إله غيري، وربنا –سبحانه وتعالى– بعث سيدنا موسى إلى فرعون واصطنع موسى –عليه السلام– على عينه حتى يكبر موسى ويشب موسى لأداء هذه المهمة الصعبة التي لم يستطع أحد من بني إسرائيل أن يفعلها، مهمة صعبة جدًا انك انت هتقف قدام رجل بيقول للناس أنا ربكم الأعلى وما علمت لكم من إله غيري، والناس كلها مصدقة وبيقولوا صح فعلًا انت كده، "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ" الزخرف:٥٤، سيدنا موسى لما يذهب إلى فرعون يكلمه شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول لسيدنا موسى: فرعون طغى؛ يعني تجاوز الحد يعني تكبر على خلق الله، يعني تكبر على أمر الله، طيب متوقع بقى إن هو بما إنه طغى هيحصل إيه؟ هيحصل بقى صاعقة وهيحصل حرب هيحصل مشكلة هيحصل سيدنا جبريل يخسف به الأرض، تفاجأ إن ربنا بيقول لسيدنا موسى في معرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه:٣٨، ربنا بيقول لهم الأول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتاج منك انك تبقى لين، محتاج انك تختار ألفاظ لينة، محتاج انك تختار أسلوب لين، محتاج انك تعرف تتكلم ازاي مع اللي قدامك، وتعرف انت بتكلم مين، وتعرف انت هتقول له إيه بالظبط.

فشيخ الإسلام هنا بينوه على إن أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لو انت عايز تأمر وتدعو وتنهى وتتعلم دين وتدعو إلى الدين وتكلم الناس في الدين علينا أن نتعلم أسلوب ذلك، "ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" النحل:١٢٥.

يبقى عندنا يا جماعة الحكمة اللي هي أسلوب من الأساليب اللي هي فعل أفضل الأشياء بأفضل العلوم في أفضل وقت على أفضل وجه، اللي هو عارفين بيقولوا فلان حكيم، بيقولوا لا يكون الرجل حكيمًا حتى يكون حكيمًا في أقواله وحكيمًا في أفعاله، إن واحد يكون بيعرف

بيقول إيه؟ فين؟ لمين؟ ازاي؟ فهنا ربنا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالحكمة قبل ما يأمره بالموعظة الحسنة، إن فيه ناس محتاجة للحكمة، وفيه ناس محتاجة الموعظة الحسنة، وفيه ناس محتاجة وجادلهم بالتي هي أحسن.

ناس عندها شبهات، وفيه ناس محتاجة قلوبها تتحرك بالموعظة الحسنة، وفيه ناس محتاجة تُعَلَّم، ولذلك كان هذا من أقسام الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، إن ممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو ينشر الدين، وممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو يُعلم الدين، وممكن واحد يكون في الدين إن هو يدافع عن الدين، وممكن واحد يكون دوره في الدين إن هو يقيم الدين، يعني فيه واحد بيحقق الدين حقيقةً في حياة الناس، وفيه واحد بيدافع عن الدين، وفيه واحد مثلًا ضد الشبهات وضد الأباطيل وضد البدع، وفيه واحد إن هو بيدعو الناس إلى الدين، والدعوة بقى في مراتب مختلفة والتفاوت؛ سواء دعوة يعلمهم أو يتلو عليهم آياته أو يزكيهم، سواء بالحكمة والموعظة الحسنة، سواء بتعليم الأحكام، سواء بتبليغ القرآن تبليغه معنى أو لفظًا، بتسأل بتقول: هو أنا عشان أبلغ آية "بلغوا عني ولو آية" هل أنا يُشترط إن يكون عندي العلم الكامل في هذه الآية؟ يعني إيه العلم الكامل؟ هل العلم الكامل ده؟ يعني أكون مفسر زي مثلًا محمد بن جرير الطبري مثلًا، ولا أكون مثلًا مفسر زي ابن كثير، يعني إيه العلم بالكامل بالآية؟ لا، المقصود هنا "بلغوا عني ولو آية" يعني كل من بلغته آية ووعاها يستطيع أن يؤديها، فيه واحد يعرف يؤدي اللفظ فقط دون المعنى، وفيه واحد بيعرف يؤدي المعنى، وفيه واحد بيعرف يستنبط من المعنى دلالات وأشياء ينير بها حياة الناس، كل واحد على قدره. لكن هنا مش المقصود إن عشان يبلغ الآية لازم يحصل كل علوم الحياة عشان يتكلم في هذه الآية وإلا فإن العلم لا ساحل له، يعني "وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ" يوسف:٧٦.

هنا شيخ الإسلام بيتكلم عن الرفق في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر بغير منكر، يعني هنا بدأ يحط هو قاعدة إن بيقول: إذا انت أردت أن تأمر بالمعروف فعليك أن تعرف ما هو المعروف وعليك أن تعرف أسلوب توصيل المعروف، وإذا أردت أن تنهى عن المنكر فعليك أن تنهى عن المنكر من غير أن ترتكب انت منكر، يعني بيشير إلى معنى إن أحيانًا ممكن إنسان يأمر بالمعروف؛ وهو بيأمر بالمعروف هو نفسه بيعمل منكر، لإنه مثلًا بيستكبر على الناس، إن هو بيستعلي على الذي يأمره، إن هو بينتقم منه، إن هو بيفضحه، هنا هو أمره بالمعروف لكنه ارتكب منكر كبير، إن هو مثلًا هتك ستر مسلم، إن هو تجسس، إن هو تحسس، كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: لا تجسسوا أو لا تحسسوا، إن هو اغتاب، إن هو فضح إنسان، إن هو هتك ستر إنسان، إن هو تكبر على إنسان بيأمره وينهاه ويتكبر على إنسان مسلم.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إن انت لو عايز تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر عليك أن تأمر بالمعروف بالمعروف، يعني عليك أن تأمر بالمعروف بالأسلوب الذيُ مِرنا أن نأمر به بالمعروف، اللي هو أسلوب الرفق واللين ومعرفة الحكمة في ذلك، وإذا أردت أن تنهى عن المنكر فانهى عن المنكر بغير أن ترتكب انت منكر، يعني مش لازم أنا عشان أنهى عن منكر أقع أنا في منكر أعظم منه، إن أنا ابقى أنا رايح أنهاه عن منكر فأفاجأ إن أنا عملت منكر زي المنكر اللي إيه؟ اللي أنا نهيت عنه، بقيت أنا كمان محتاج انهي عن المنكر، وتبقى سلسلة من المنكرات تحت ستارة أو تحت نضارة أو تحت زعم إن احنا بننهى عن المنكر.

فبيقول: "ولهذا قيل ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر".

شوفوا لما جاء يهودي يسب النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال: السام عليكم، السام عليكم، هنا هو الراجل بيلعب بالكلام، الراجل بيدلس في الكلام، بدل ما يقول: السلام عليكم قال: السام عليكم، شكلها كده شكل بعضها، كلمة السام يعني الموت، والسلام ده دعوة ده تحية الإسلام، فهو بدل ما هو يقول: السلام عليكم، هو بيقول للنبي –عليه الصلاة والسلام–: السام عليكم يقصد به الموت عليكم، وهو الكلمة معدية كده في السريع، مين اللي لقط الكلام وخد باله من الكلمة؟ أم المؤمنين عائشة. أم المؤمنين عائشة لما لقطت الكلمة قالت لهم: بل أنتم عليكم السام واللعنة وغضب الله –سبحانه وتعالى– عليكم أحفاد القردة والخنازير. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: يا

عائشة لا تقولي ذلك، قال لها: ليه تقولي ده؟ "ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه"، أنا كفيتك، هو قال لي: السام عليكم، قلت له: وعليكم، وخلاص، خلص الموضوع، هو قال لي: السام عليكم؛ بيشتمني، ومتخيل إن أنا مش فاهم إن هو بيهزأ بيا بيسخر مني فأنا قلت لهم: عليكم، وخلاص، مش محتاج انك انت تردي بكل هذه الإيه؟ بكل هذه الطريقة.

فهنا الرفق. إن احنا يا جماعة أُمرنا إن احنا نكون عندنا رفق في المعاملة، رفق مع أنفسنا، رفق مع إخواننا من أهل الدين، رفق مع الناس عمومًا، رفق مع الظالم نفسه؛ مع صاحب الكبيرة، رفق مع الإنسان المتدين. فيه ناس تقول لك: لأ بما إنه بقى متدين يبقى لازم ما بيغلطش، ازاي يعمل كده؟ ويبدأ يحاسب الإنسان المتدين ده أو الإنسان اللي بيتقرب إلى الله أو الإنسان اللي هو شايفه في مرتبة من المراتب مثلًا بيصلي، ملتحي، أو منتقبة أو بيقرأ قرآن أو مثلًا مرة من المرات شافه بيعمل عمرة أو بيعمل حج يبدأ بيعامله بطريقة مثالية. ليه ليه يا جماعة؟ خلينا عندنا رفق. إذا كان ربنا –سبحانه وتعالى– قال لسيدنا موسى إن هو يقول لفرعون: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" طه:٤٤، ليه احنا بنتعامل مع بعضنا البعض بهذه الصلافة أو بهذا العنف؟ محتاجين يبقى عندنا رفق في المعاملة، رفق في الكلمات، رفق في الأفكار حتى، إن احنا يبقى عندنا رفق مع الفجار، مش معنى كده إن أنا مش شايف إن اللي بيحصل ده فجور، أو بسمي المعصية بغير اسمها، خلي المعصية هي المعصية، فيه ناس بتفهم الرفق ده إن هو ما ينفعش إن أنا اسمي المعصية بغير اسمها، يعني ما تحبش تسمي قلة الحياء قلة حياء، ما تحبش تسمي التبرج تبرج، ما تحبش تسمي الزنا زنا، ما تحبش تسمي الفجور فجور، إنما تسميه أي اسم تاني، لا لأ، خلينا نقف عند حد الله –سبحانه وتعالى–، أيوه المعصية هي المعصية، أيوه ده اسمه زنا، أيوه ده اسمه ربا، أيوه ده اسمه فجور، خلينا نقف مع المسميات؛ الطاعة والمعصية هي هي، خلينا نقف مع حسن الخلق إن اسمه حسن الخلق، والوفاء اسمه وفاء، والأمانة اسمها أمانة ما اسمهاش واحد بياخد على قفاه اسمها أمانة، والإنسان الطيب وسليم الصدر ده إنسان طيب وسليم الصدر وده يحمد له ويكون له زخر عند الله –سبحانه وتعالى–، خلينا نسمي الطاعة طاعة ونسمي المعصية معصية، لكن مش معنى إن أنا مسمي المعصية باسمها وعارف إن اسمها معصية إن أنا أتعامل معها تعامل بغير أمر شرعي، خلينا نسميها اسمها الشرعي وخلينا أيضًا نتعامل معها كما أُمرنا أن نتعامل بها بأمر الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح".

هنا نقطة، شيخ الإسلام يا جماعة بيشير إليها، ويمكن من أهم نقاط هذا الكتاب هذه النقطة، إيه الإشارة التي يشير إليها؟ إيه التقرير اللي شيخ الإسلام عايز يقرره في هذا؟ بيقول: إن يا جماعة لابد من النظر مش بس لأسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك إلى المآلات، إلى مسألة المصلحة والمفسدة، إن أحيانًا بيحصل مصلحة وأحيانًا بيحصل مفسدة، طب إيه المصلحة والمفسدة؟

هنا شيخ الإسلام الأول قرر التقرير، إيه هو؟ قال إن الكتب نزلت والرسل أرسلت لأجل إقامة المصالح وتعظيم المصالح ورفع المصالح وتحقيق المصالح وتكميل المصالح، وكذلك بُعِثَت الرسل وأُنزِلَت الكتب لأجل تقليل المفاسد وإزالة المفاسد، طيب أحيانًا بيكون معيار المصلحة والمفسدة ده معيار وهمي، معيار دماغي معيار فكري، يعني مثلًا فيه واحد بيعظم أوي الحالة النفسية، فيبقى المصلحة بالنسبة له إن فلان حالته النفسية تبقى حلوة، فيه واحد أوي بيعظم الفلوس، فيبقى المصلحة بالنسبة له إن فيه مكسب مادي؛ فلوس، فيه واحد أوي بيعظم المنصب، فيبقى بالنسبة له المصلحة العظمى إن المنصب الفلاني هو يناله، فبالنسبة له هو بيرى هذه المصلحة كبيرة جدًا وعنده استعداد إن أي مفسدة تُرْتَكب لأجل تحصيل المصلحة اللي هو يراها هو مصلحة.

فبدأ أول حاجة شيخ الإسلام بيقررها بيقول: إن الدين عموما جاء بتحقيق المصالح وتقليل المفاسد، وبيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أعظم الواجبات والمستحبات، يعني أحيانًا في حق واحد هو واجب عليه وأحيانًا في حق واحد هو مستحب، زي ما احنا

اتكلمنا في مسألة الفرض الكفاية والفرض العين ومش معنى إن هو فرض كفاية إن بقية الأمة ما تعملوش، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على العلماء طيب لو مفيش علماء؟ يبقى واجب على الأمة، وكل من له قدرة على التعلم، وكل من عنده مساحة من إن هو يقيم هذه العبودية فعليه أن يفعلها قدر استطاعته، طيب ويجب كذلك على أصحاب السلطان وأصحاب المناصب إن كل واحد يسهل وصول الدين إلى الناس، ويسهل دعوة الناس إلى الله –سبحانه وتعالى–.

بيقول إن مبنى الدعوة قايم على مآلات كذلك، زي ما هو بيقول إن من أسلوب الأمر بالمعروف والنهي المنكر والنهي ممكن الرفق، كذلك مقالات المآلات، يعني إيه المآلات؟ يعني ما يترتب على ذلك. يعني مش فكرة إن أنا أقوم قايل كلمتين وخلاص، طب إيه اللي هيترتب على ذلك؟ يعني إيه اللي هيترتب على هذا الكلام؟ إيه اللي هيترتب على هذه الفتوى؟ إيه اللي هيترتب من فهم الناس ومن حمل الناس على ذلك؟ إيه اللي هيحصل بعد ذلك؟

فبيقول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تكون المصلحة فيه راجحة، يعني إيه المصلحة راجحة؟ يعني أنا غلب على ظني إن فلان ده لما أنا هأمره بالمعروف إن هو هيتحقق مصلحة معينة، طب إيه المصلحة؟ قال لك: أول مصلحة هي كل ما أمر الله به فهو صلاح، يبقى هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيعود مرة أخرى على بدء ليوضح أن المصلحة كل المصلحة في الوحي، يعني إيه المصلحة؟ إيه معيار المصلحة؟ معيار المصلحة والمفسدة هو اتباع الوحي، يعني ازاي أنا أعرف إن أنا بعمل صح؟ إن أنا باتبع أمر الله –سبحانه وتعالى–. "كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ" الأعراف:٢، إن احنا أُمرنا إن احنا نتبع الوحي، "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ" الأعراف:٣، إن احنا أُمرنا إن احنا نتبع الوحي، أُمرنا إن احنا نتتبع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، أُمرنا إن احنا نسير وفق كلام الله –سبحانه وتعالى–، أُمرنا إن احنا نستبصر ونستضيء ونعرف الخير من الشر بمعيار الوحي.

يبقى هنا بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبني على المصلحة وتحقيق المصلحة ومعيار ده هو إيه؟ هو كل ما أمر الله به، كل ما أمر الله به فهو صلاح.

يبقى لو واحد قال لك لا لا لا، هو احنا محتاجين نحقق الصلاح والإصلاح؟ تقول له تمام، طيب، يبقى نحقق الصلاح والإصلاح إن احنا نلغي الآية دي، مثلًا نلغي الختان، مثلًا نلغي الطب، نلغي مثلًا الصلاة، نلغي الزكاة، نلغي الصيام، ليه؟ يقول لك: أصل الصيام بيحقق مفسدة أو الصلاة بتحقق مفسدة فبالتالي احنا نلغي هذه الصلاة لكي نحقق الإصلاح، لإن الدين جاء بالصلاح والإصلاح. تقول له لأ، الدين جاء بالإصلاح والصلاح صحيح، ولكن معيار هذا الصلاح والإصلاح هو الوحي، لذلك قال الله –سبحانه وتعالى– عن طائفة من الناس من المنافقين في مطلع سورة البقرة: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ" البقرة١١:١٢، إن فيه ناس متخيلة نفسها مصلحة لكن إصلاحه على وفق معياره الخاص على وفق هواه، على وفق ما يراه هو لا على وفق وحي الله –سبحانه وتعالى–.

فهنا شيخ الإسلام بيوضح إن الشريعة أو إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبناه على تحقيق المصلحة الراجحة ودفع المفسدة الراجحة، وأن معرفة ذلك يكون بمعرفة الوحي، فكل الخير وكل الصلاح والإصلاح نابع من هذا الوحي، قال: بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، كل أمر من الأمور الشرعية، سواء الأمر ده أمر مباشر، سواء الأمر ده دلالة على شيء معين، سواء الأمر ده أمر واجب أو مباح أو مستحب، سواء النهي ده نهي عن منكر، نهي تحريم أو نهي تنزيه، كل ما نهى الشرع عنه فهو من الصلاح، وكل ما أمر الله به فهو من الصلاح.

قال: "وقد أثنى الله –سبحانه وتعالى– على الصلاح والمصلحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به، وان كان قد تُرِكَ واجب وفُعِلَ محرم"، هنا بقى يا جماعة نقطة مهمة جدًا بدأ شيخ الإسلام يتكلم فيها بيقول: إن أحيانًا بيتعارض مصلحة ومفسدة، بيتعارض أمر ونهي. يعني إيه؟ مثل سريع كده خلينا نفهم به، لو

مثلًا احنا عندنا شيخ بيعلم الناس دين وعنده أتباع كثر وبيعمل حاجات خير كتير لكنه فيه مسألة معينة من المسائل هذه المسألة عنده فيها مشكلة وهي عنده خطأ، هنا هل أأمر الناس بأنها تتبعه لاعتبار إن هو بيدل الناس على الله، وإن هو مثلًا عنده حاجات جميلة عن الله –سبحانه وتعالى–، وإن هو بيدل الناس على سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، والا أنهى الناس عن اتباعه؟ لإنه عنده بعض الأخطاء في بعض الأشياء تبينت لي وعارف إن هو خالف فيها كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–. هنا تعارض مصلحة ومفسدة، هنا تعارض خير وشر، هنا تعارض إن أنا محتاج إن أنا أأمر وأنهى، وأغلب الناس مش بتسمع الكلام على بعضه، وبيسمع حتة واحدة ويسيب الباقي، يعني لو هو قلت له والله فلان ده عنده خير؛ فيه واحد اتنين تلاتة أربعة ما بيسمعش حاجة تانية، بقى فلان ده بالنسبة له معصوم، لو قلت له فلان ده جميل وكويس بس عنده خطأ في واحد اتنين تلاتة أربعة ما عدش بيسمعه خالص لإن هو عايز يسمع حد معصوم وده مش موجود، فهنا شيخ الإسلام بيشير إلى مسألة: بيقول إيه؟ إن إذا وجد مصلحة راجحة؛ المصلحة الراجحة يعني فيه أمر شرعي كبير معظم عند الله –سبحانه وتعالى– له قيمة كبيرة –وده هنفصل فيه كتير في الفصل اللي جاي إن شاء الله في هذا الموضوع، ويعني محتاجين نفصل فيه شوية في مسألة تعارض المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– إذا تعارض الاتنين نعمل إيه؟ فهنا بيقول إذا تعارض المفسدة مع المصلحة فبيقول شيخ الإسلام: "أثنى الله على الصلاح والمصلحين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به"، بيقول لو إن احنا نهينا عن الفساد، فكان النهي عن المنكر ده هيؤدي إلى مفسدة أعظم، مثلًا واحد بيشرب سجاير وهو سيء الخلق مثلًا فراحت أمه تقول له ما تشربش سجاير وقامت مزعقة معاه، قام سب بالدين، هنا ترتب على النهي عن المنكر منكر آخر، عق أمه وسب بالدين، هل هنا الأم دي المفسدة اللي هي كانت راحة تنهى عنها، حققت المصلحة من النهي؟ لأ ما حققتهاش، طيب هل ترتب على هذا النهي عن المنكر مفسدة أعظم منه؟ آه، ترتب عليها. إيه هي؟ إن هو عق أمه وإن هو سب بالدين؟ يبقى مفسدة إنه يشرب سجاير ولا مفسدة عقوق الوالدين وسب الدين؟ هنا بقى فيه مفسدتين، بقى فيه مفسدة مترتبة على نهي عن مفسدة.

فهنا شيخ الإسلام بيقول: فحيث كانت المفسدة في الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن هذا مما أمر الله به، يبقى كان المفروض إنها هنا إنها تسكت، يعني إيه ما تنهاش؟ لا، هيبقى في طريق تاني، هيبقى فيه مقدمات تانية، لكن هي محتاجة توازن بين المفاسد بعضها البعض، وإن كان قد تُرِك واجب وفُعِل محرم، يعني لو هي سكتت هيترتب على ذلك ترك واجب اللي هو إيه؟ إنها رأت منكر ولم تغيره وفعل محرم إن هو قاعد بيشرب سجاير وضيع صحته وضيع فلوسه في شيء مضر، لكن هي إيه اللي خلاها تسكت عن هذا الضرر؟ ليس لإن هذه المعصية ليس فيها مفسدة إنما لأنه ترجح عندها أن هناك مفسدة أعظم من هذه المفسدة.

يبقى يا جماعة في هذا التقرير الرفق كأسلوب مسألة مهمة جدًا، والأساليب الدعوية ينبغي إن تحلى بالرفق.

رقم اتنين إن المصلحة ورجحان المصلحة، وإذا ترتب مصلحة راجحة يبقى حينها ينبغي إن يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر، والمصلحة الراجحة ضابطها الشرع وليس الهوى، وليس الاختيارات الحياتية وليس المصالح الشخصية، إنما ضابطها الشرع.

رقم تلاتة إذا كان فيه مفسدة أعظم، نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ آه نتركه، نتركه ليه؟ نتركه لإن هيترتب على النهي عن المفسدة مفسدة أكبر منها، فبالتالي يبقى اللي احنا كنا رايحين ننهى عنه تعظيمًا لأمر الله تسببنا في إن لا احنا عظمنا ربنا –سبحانه وتعالى– ولا اللي موجود ده عظم ربنا –سبحانه وتعالى– ولا الخير انتشر، يبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا حقق مفسدة فعشان كده بيقول إيه؟ بيقول: فحيث كانت مفسدة الأمر بالمعروف أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به، وان كان قد تُرِك واجب وفُعِل محرم.

يبقى هنا يا جماعة اعتبار المآلات، عارفين كان مرة لما دخل جنود التتار إلى بلاد المسلمين، فكانوا بيسكروا، فبعض المشايخ راحوا قالوا لشيخ الإسلام قالوا احنا هننكر عليهم شرب الخمر، الخمر حرام، وما ينفعش يشربوا الخمر في شوارع الإسلام، قال لهم لا ما تنكروش عليهم شرب الخمر، فقالوا له ليه؟ الخمر حرام ده محرمة بالإجماع ده كلام ربنا، قال لهم يا جماعة ما هم لما مش هيشربوا الخمر هيحصل إيه؟ هيفوقوا، ولما يفوقوا يحصل إيه؟ هيقعدوا يقتلوا في المسلمين، طب إنه يقتلوا في المسلمين أحسن؟ ولا يشربوا الخمر ويفضلوا سكرانين ومش فايقين؟ فيقولوا لا يفضلوا سكرانين ومش فايقين، قال لهم خلاص سيبوهم سكرانين، ده مش معناه إن الخمرة مش حرام، لكن هناك مفسدة مترتبة راجحة عند هذا الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من نهيه عن هذا المنكر والأمر بالمعروف. زي مثلًا كده واحد بيشتغل في الحرام بيتاجر في المخدرات مثلًا، ولا واحدة مثلًا بتشتغل في الحرام مثلًا في الدعارة ولا في أي حاجة حرام، وبعدين واحد قعد يأمرها بإنها مثلًا لابد أن تتصدق، طبعا الأمر بالصدقة أمر عظيم مهم جدًا لكن ما وضحلهاش إنها تتصدق من حلال، فالست عملت إيه؟ راحت تشتغل في الحرام أكتر وتتاجر في المخدرات أكتر أو تتاجر في الدعارة أكتر أو تعمل دعارة أكتر عشان إيه؟ عشان تجيب فلوس أكتر عشان تتصدق، لا لا لا ما كنتش تأمرها بالصدقة خالص، ليه؟ لإن انت أمرك بهذا دون توضيح هذا سيؤدي إلى مفسدة أعظم، إن هي ضلت ناس كتير وإن هي أفسدت كتير في الأرض عشان تأتي بمصلحة انت تظنها مصلحة. وده باب من الأبواب المهمة جدًا، قال: وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم، إذ المؤمن عليه إن يتقي الله في عباده وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله –تعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" المائدة:١٠٥، أي أقيموا الدين في نفوسكم، وحياتكم وفق وسعكم، وضابط هام في المصلحة إن ليس هو هداية الناس، إنما الضابط في المصلحة هو إقامة الشرع.

هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيقيم الحجة وبيستدل بهذه الآية على إن الضابط "ليس عليك هداهم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم". فبيقول: إن الضابط ليس معنى المصلحة هو هداية الناس، إنما معنى المصلحة هو امتثال أمر الله –سبحانه وتعالى–، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، بيقول: لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني إيه اهتديتم؟ يعني أنتم فعلتم الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال، وذلك يكون تارةً بالقلب وتارةً باللسان وتارةً باليد، فأما القلب فيجب بكل حال إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ في حديث "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"، وفي رواية ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

وقيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ قال الذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

هنا شيخ الإسلام بيقول إن لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني إيه اهتديتم؟ يعني أنتم أقمتم أمر الله –سبحانه وتعالى–، فأقمتم أمر الله –سبحانه وتعالى– ازاي؟ قال لك أقمتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بإيه وهو من أمر الله –سبحانه وتعالى–؟ قال لك أحيانًا بالقلب وأحيانًا باللسان وأحيانًا باليد وأقل حاجة خالص اللي مفيش فيها اللي هو عارفين اللي هو إيه؟ إن أنا كاره المعصية؛ كارهها اللي هو معنديش نوع من أنواع التعايش السلمي ولا حب المعصية، إنما كاره المعصية، ليه كاره المعصية؟ لأنها بتغضب ربنا –سبحانه وتعالى– فأنا مش حابب، حتى لو معرفتش أقول حتى لو معرفتش أنهى لكن أنا مش حابب، مش عايز، رافض، إرادتي مخالفة لهذا. قيل لابن مسعود: من ميت الأحياء؟ قال: الذي لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

وهذا هو المفتون الموصوف في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ"[٢٧].

[٢٧] صحيح مسلم

فهنا شيخ الإسلام بيقول: إن أقل حاجة في الهداية هي هداية القلب، وهداية القلب هو أمر القلب بالمعروف ونهيه عن المنكر، وازاي إن القلب يعرف المعروف وينهى عن المنكر؟ إن هو يكون غير راضي بالمنكر ويكون محب للمعروف، وده أقل الهداية، اللي هو لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقال إن إذا ده ضاع فتبدأ الفطرة تنتكس، وإذا الفطرة انتكست يحصل كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، يعني لما القلب يضيع يبقى معدش عارف معروف فين ولا منكر فين، اومال المعروف يبقى إيه؟ يبقى المعروف اللي هواه، كان في أحد المحاضرات الدكتور بيقول للطالبات عن الحجاب فقامت واحدة قايلة والله الحجاب مش فرض، فأحد الطلبة بيقول لي هو أنا متعجب بس هي ليه حلفت؟ وإيه اللي خلاها تقول كده؟ يعني أنا معنديش مشكلة إن انت تبقي محجبة أو مش محجبة، لكن هي أصبح المعروف عندها هواها، والمنكر عندها هواها، فالحاجة اللي هي بتحبها تبقى معروف، والحاجة اللي هي ما بتحبهاش تبقى منكر.

عارفين فيه ناس كده اللي هو بيعمل معصية فتقول له ده غلط وده حرام يقول لك لا لا لا أنا مش ممكن أعمل حرام، وبما إني أنا عملتها – كأنه بيستدل يعني– بما إن أنا عملتها إذًا هي حلال، فتبقى انت مستغرب هو معيار الحلال والحرام اللي انت عملتها أو اللي انت فاهمها؟ ولا معيار الحلال والحرام هو قال الله، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–.

هنا اختم، بيقول شيخ الإسلام: وهنا يغلط فريقان من الناس:

فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي تأويلًا لهذه الآية، اللي هي آية "لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، يعني فيه فريق لما يسمع هذه الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"، فبيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تماما، ليه؟ يقول والله هو ربنا قال كده لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقد قال أبو بكر الصديق في خطبته إنكم تقرأون هذه الآية "عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" وأنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله –سبحانه وتعالى– بعقاب منه".

والفريق الثاني اللي هو فريق بيعمم طريقة دون فقه، قال: من يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حكم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، بيقول إن الأمر اللي احنا أُمرنا به إن احنا لا يضركم من ضل إذا اهديتم إن احنا أُمرنا أن نهتدي بهدي الله –سبحانه وتعالى–، وإن الهداية دي هداية القلب، وإن هداية القلب دي مع هداية الجوارح، وان الإيمان قول وعمل واعتقاد وان احنا أُمرنا إن احنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

فبيقول: فيه ناس يا إما قالت لك خلاص بقى أنا ماليش دعوة "عليكم أنفسكم" وكل واحد ينكب على نفسه ولا يأمر ولا ينهى ومالناش علاقة بالموضوع، وكأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للمجتمع، لأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لك انت شخصيًا ده، عبودية لله –سبحانه وتعالى–، يعني أنا مش بتكلم عشان الناس تقول والناس تعيد، إنما أتكلم لأجل أن الله أمرنا أن نتكلم، إن بداية إن تحقيق المصلحة هو إقامة أمر الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا نبلغ بها، إن احنا نحقق عبودية الله –سبحانه وتعالى–، إن احنا محتاجين ثواب الله، إن احنا محتاجين نفر من عقاب الله بتحقيق عبودية الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–. فبيقول إن فيه ناس لما سمعت "عليكم أنفسكم" تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ده الفريق الأول.

والفريق التاني لما سمع "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، بدأ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالقوة والغلظة واللسان في كل حاجة ونسي أن أحيانًا يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب، ولابد من استحضار ومعرفة معنى الحكمة ومعنى الرفق ومعنى المصالح والمفاسد والموازنات في ذلك.

فيقول الفريق الثاني من يريد إن يأمر وينهي إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حكم صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح وما يقدر عليه وما لا يقدر عليه كما في حديث أبي ثعلبة الخشني سألت عنها النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "بل ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهَوْا عن المنكرِ حتَّى إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه فعليك نفسَك ودَعْ أمرَ العوَامِّ فإنَّ مِن ورائِكم أيَّامًا الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلًا يعمَلونَ مثلَ عملِه"[٢٨]، هنا شيخ الإسلام أحسن إذ جاء بهذا الحديث وهو يضع حد: بيقول إن الإنسان عليه إنه يفهم امتى يأمر وامتى ينهى، وامتى يسكت، وامتى الكلام يبقى له لازمة، وامتى الكلام ما لوش أي لازمة، وازاي يأمر وينهى، فبيقول إن أبو ثعلبة لما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن هذه الآية فالنبي وضع له ضابط قال له: اعمل ده لكن إذا رأيت شحًا مطاعًا؛ يعني لو لقيت اللي قدامك مش بيفهم، شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة، يعني واحد وظيفته دنيته؛ لا فارق معاه حق ولا باطل ولا قضيته حق وباطل، "إذا رأيت هوى متبع" إذا رأيت اللي انت رايح تأمره وتنهاه ده عنده اتباع للهوى شديد، طب ما هو كل واحد عنده منكر أو محتاج إن هو يؤمر بالمعروف فيه جزء من اتباع الهوى، لكن هنا بيقول: إذا رأيت؛ يعني مسألة واضحة وضوح الشمس حاجة مش متشافة، "إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع" واحد مش عايز يسيب، مش عايز يبذل، مش عايز يضحي، "إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه" واحد معجب عارفين "إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا" التوبة:٢٥، واحد معجب بنفسه وبرأيه وبأفكاره دون أن يتبع الوحي ودون أن ينكسر لكلام الله –سبحانه وتعالى–.

فقال في هذا: عليك إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي برأيه ورأيت أمرًا لا يدان لك به، يعني معندكش قدرة على التغيير لا بالكلام ولا باليد فاسكت، قال: فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائك أيام الصبر، وبدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح له إنه يحقق عبودية الصبر على أمر الله، والصبر على إقامة دين الله في نفسه، وفي حياته، في وسط إخوانه، في وسط أولاده، قدر استطاعته، لأنه لا يستطيع أن يغير هذا الذي عنده شحًا مطاع وهوىً متبع ودنيا مؤثرة وإعجاب برأيه وهو لا يقدر على ذلك، لا يدان لك به يعني لا تستطيع ولا تملك من أمرك شيء.

يبقى فيه ناس قررت إنها تفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إنه الغلظة والشدة والايد والقوة فقط، ودول أخطأوا.

وفيه ناس قررت إنها بما إن مفيش نتيجة أو بما إن المسألة صعبة وربنا قال: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فيبقى الواحد ينكب على نفسه ويترك الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، فتركه.

فهنا الفريقين أخطأوا في ذلك. ثم بعد ذلك وضح شيخ الإسلام أن الحق لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء.

اكتفي بهذا القدر وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله.

---

[٢٨] صحيح ابن حبان

وسائل الأمر والنهي بين الغلاة والمفرطين

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أذكر نفسي والإخوة والأخوات الفضليات بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[29]، وبحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[30]، فأسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا في هذا المجلس الإخلاص في القول والعمل، وأن يرزقنا نية صالحة نتقرب بها إلى الله –سبحانه وتعالى–، وأن يجعل هذا الوقت في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

لا زلنا مع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية من الاستقامة في المجلس الثالث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوقفنا في المرة السابقة عند اختلاف الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على آية من آيات الكتاب الكريم، وتكلمنا فيه إن الآية بعض الناس فسرتها غلط وبعض الناس على الصعيد الآخر فسرتها غلط وده عمل إشكال في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند كثير من الناس. الآية في قول الله –سبحانه وتعالى– في سورة المائدة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" المائدة:١٠٥، والآية شيخ الإسلام ذكر فيها طرفان من الناس اللي فهمت الآية خطأ وهو عتب على الطرفين، يعني شيخ الإسلام ذكر الطرف الأول من أهل الإسلام اللي قالوا إن الآية دي بها نُسْقِط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطرف التاني اللي أخد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون فقهه فاستعمل اليد والقوة في كل أنواع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يتحلى بالعلم والحكمة، والرفق والصبر، والمصالح والمفاسد اللي هي الشروط اللي شيخ الإسلام ذكرها في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وازاي إن أي إنسان بيدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– محتاج إنه يتحلى بهذه الشروط؛ وبدأها بالرفق ثم بالحكمة والموازنات بين المصالح والمفاسد، ثم بعد ذلك هيذكر بقى الحلم والصبر والشجاعة والعلم، شروط تفرد بها شيخ الإسلام في مسألة اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيفية وفقه هذه العبادة التي أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بها.
وذكر اختلاف بعض الناس في تفسيرها، وهو طبعا بعد ما ذكر التفسيرين اللي ذكرهم ليدل على بيان خطأ هذا التفسير هو هيوضح بعد ذلك.
لكن خليني ألقي نظرة على الآية قبل ما أكمل كلام شيخ الإسلام؛ الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" قيل في سبب نزولها قولان: أحدهما حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: أن النبي –عليه الصلاة والسلام– كتب إلى قبيلة هَجَر، وكانت القبيلة دي عليهم المنذر ابن ساوي يدعوهم إلى الإسلام، النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث أحد أصحابه إلى هذه القبيلة يدعوهم للإسلام، وقال لهم إن هم لو لم يسلموا فليؤدوا الجزية، وطبعا لا يخفى إن أمر الجزية ده كان في آخر عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–،

[29] حسنه الألباني
[30] صحيح مسلم

فلما آتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام، لما كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– راح لهذه القبيلة، وعُرِضَ الأمر على هؤلاء فأقروا الجزية وكرهوا الإسلام، قالوا لأ احنا مش عايزين نسلم لكن احنا ممكن ننزل تحت حكم النبي –صلى الله عليه وسلم– وندفع الجزية، والجزية معلوم إنها بتكون في مقابل الحماية، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– بيكفل لهم الأمن، ويكفل لهم العدل، ويكفل لهم الحرية، ويكفل لهم الأمان، ويكفل لهم حسن المعاملة وحسن الخلق، ولا يؤذوا أحد ولا يؤذيهم أحد، ويدافع عنهم النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالوا لا خلاص احنا مش عايزين نسلم ولا حاجة، وكرهوا الإسلام وأقروا بالجزية، فكتب إليهم النبي –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –عليه الصلاة والسلام– لما جاءه الكتاب إن هم قبلوا ذلك قال: أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية. الحقيقة إن فيه خلاف بين أهل العلم في مسألة من يُقبل منه الجزية، هل أهل الكتاب فقط؟ ويلحق بهم المجوس، وده قول غير واحد من أهل العلم، ولا الجزية ده حكم على مستوى الدولة وإن الحكم ده فيه تعميم؟ وممن صرح بهذا التعميم شيخ الإسلام ابن تيمية في غير هذا الموضع، لكن عمومًا المشهور عند كثير من الفقهاء إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب، فقال: أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية، فلما قرأ عليهم كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أسلمت العرب. العرب كانوا عباد أصنام، فأسلمت العرب وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية.

طبعا احنا اتكلمنا قبل كده إن فيه أحكام للدول وفيه أحكام للأفراد، يعني مش معنى إن قادة هؤلاء وكبراء هؤلاء قبلوا الإسلام إن كل واحد من الناس دي أسلمت، لا، لإن كل واحد حر في اعتقاده، وربنا –سبحانه وتعالى– سيحاسب كل إنسان على ما أراد وعلى ما اختار وعلى وفق أعماله وأقواله وأفعاله، لكن هنا فيه تشريعات عامة؛ يعني فيه تشريعات دولية وفيه تشريعات فردية، فده من التشريعات الدولية يعني ده مش إكراه على الإسلام لإن هو خلاص هو فيه فرق إن العدل هو عدل الإسلام وإن الإسلام بيكفل لكل إنسان حقه في أن يختار ما يشاء، وفرق إن احنا بنقول أن كل إنسان هيعتقد إيه؟ أو هيعبد ربنا ازاي؟ ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه الكريم، حتى عن المسلمين أنفسهم، قال: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ" فاطر:٣٢، فهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– قال له: العرب لا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف يعني إما الحرب وإما الإسلام، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية، لأن العرب كانوا عباد أصنام ما كنش لهم إله أصلًا، فقال لهم لأ أنا مش هقبل إنهم يعبدوا الأصنام مرة أخرى في الأرض اللي احنا ربنا –سبحانه وتعالى– مكن لنا فيها، اللي عايز يعبد يعبد الأصنام والأوثان مرة أخرى فلا يكون معنا، أما أهل الكتاب فهم يعبدون الله –سبحانه وتعالى– بتأويل، ولا شك أن أهل الكتاب أقرب من عباد الأصنام والأوثان، فقال: وأما أهل الكتاب والمجوس – والمجوس كان لهم ديانة سابقة، قول ابن عباس أن هم كانوا أهل كتاب أصلًا كان لهم كتاب ثم حرّفوه حتى عبدوا النار–، فلما قرأ عليهم كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم– أسلمت العرب وأعطى أهل الكتاب والمجوس الجزية، فقال منافقوا مكة، فيه بعض الناس كانت في مكة ده طبعا ده في آخر حياة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فقالوا: عجبا لمحمد يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ثم يقبل من مجوس هَجَر وأهل الكتاب الجزية؟ هلا أكرههم وردها على إخواننا بالعرب؟ فبدأ الناس تطعن في النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقولوا يعني اشمعنى أن هو يقبل من أهل الكتاب؟ يقبل من اليهود والنصارى والمجوس الجزية ولا يقبل من عباد الأصنام والأوثان، وبدأوا يطعنوا في النبي –صلى الله عليه وسلم–، وطبعا التشريعات دي تشريعات سماوية يعني الأمر لله –سبحانه وتعالى–، والله –سبحانه وتعالى– يحكم لا معقب لحكمه ولا رد لقضائه، ولا يُسأل الله –سبحانه وتعالى– عما يفعل، فسبحانه وتعالى حكيم رحيم –سبحانه وتعالى– لا يقضي إلا بعدله ولا يحكم إلا بعلمه، هنا هم بدأوا يتكلموا على النبي –صلى الله عليه وسلم– فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" ممن ذكر تفسير هذه الآية أنها نزلت في هذا ده قول رواه أبو صالح عن ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير، وقال مقاتل: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا يقبل الجزية إلا من

أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعًا وكرهًا قبلها النبي –صلى الله عليه وسلم– من مجوس هَجَر، فطعن المنافقون في قبول النبي –صلى الله عليه وسلم– من المجوس ورفضه الجزية من العرب، فنزلت هذه الآية موضحة أن الله –سبحانه وتعالى– يأمر أهل الإيمان أنه عليكم أن تقيموا أمر الله –سبحانه وتعالى– عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني فيه واحد هيتفتن هيتفتن، فيه واحد لو قلت له أي حاجة هيتفتن، لو جبت له أي تشريع هيتفتن، هيقول لك كده: هو ليه ربنا أمرنا إن احنا نصلي الضهر أربعة؟ هو ربنا أمرنا إن احنا نصلي الضهر أربعة لأنه إله حكيم عليم ونحن عبيد. هيطلع لك أي حاجة يعني اللي عايز يكفر بأي حاجة هيطلع أي حاجة ويكفر بها، اللي عايز يرتد هيرتد بأي حاجة، هيقول لك ليه ربنا –سبحانه وتعالى– أمر إن الراجل يشتغل والست تقعد في البيت؟ ليه الست أمرها إن هي ترضع؟ أو إن هي تقوم على أمر بيتها، ليه الراجل بيرث كذا؟ ليه الست بترث كذا؟ أي تشريع هيطلع لك، في الزكاة هيقول لك هو ليه اشمعنا اتنين ونص في المية؟ ليه مش تلاتة في المية؟ اللي عايز يطلع أي حجج على الدين هيعرف يطلع أي حجج على الدين، فأي تشريع كان؛ يعني سواء في النبوة، في الرسالة، في أسماء الله وصفاته، في القدر، يعني اللي عايز يا جماعة يضيع هيضيع هو اختياره إن هو يضيع، فده اختيارات.

يعني هو ربنا –سبحانه وتعالى– هنا بيقول: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ فلذلك لا ينبغي أن يراعي الناس كثير من الحجج وكثير من الشبهات وكثير من الكلام أحيانًا لا قيمة له، لإن عارفين لما أبو بكر الصديق –وكان رجلا عميقًا عاقلًا صادقًا صديقًا– لما بيقولوا له صاحبك يزعم أنه سافر من مكة إلى بيت المقدس ثم عُرِجَ به إلى السماء ثم عاد في ليلة واحدة، فأبو بكر الصديق راجل عميق، قال لهم يا جماعة أنا مصدقه في أكتر من كده، يعني انتم بتعتبوا إيه؟ يعني انتم بتعتبوا إن هو سافر لأ لأ أنا مصدقه لإن هو رسول من عند الله –سبحانه وتعالى– يأتيه وحي السماء.

فهنا نقطة مهمة إن فيه فرق إن أنا أصل إسلامي مبني على إن أنا عارف أن للكون إله وأن الإله يملك كل شيء ويحكم كل شيء وأنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء بصير، وأنه لا يُسأل وأنه عليم حكيم قدير، فهنا بالنسبة لي أنا استسلمت خلاص، أنا عقلي استسلم، عارفين لما الإنسان بيجي يركع ويقول: خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، هو خلاص هو فهم أنه عبد عند الله –سبحانه وتعالى–، فبالنسبة له قضية الدين قضية استسلام لله –سبحانه وتعالى–، لأوامر الله –سبحانه وتعالى–، الله لا يُناقش في أحكامه لإن خلاص أنا أمنت أنا شفت ما لا صبر لي عليه، أنا رأيت قوة الله وعظمة الله وحكمة الله، رأيت بديع صنع الله، رأيت قدرة ربنا في الخلق، رأيت الشمس والقمر والنجوم وتدبير الأمور، رأيت حكمة الله –سبحانه وتعالى– في تدبير أمر السماوات والأرض والليل والنهار والزرع والبحار والأشجار، فأنا بالنسبة لي بقى لأي تشريع خلاص بقى المفروض إن المسلمين يبقى عندهم نوع من أنواع الاستسلام لله –سبحانه وتعالى–.

فهنا الآية بتقول: عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ده أحد الأقوال في تفسير الآية أو أحد الأسباب في نزول الآية، وطبعا لا يخفى عليكم أن العبرة دائما ليست بخصوص السبب إنما بعموم اللفظ، يعني أن الألفاظ خالدة، أن الله –سبحانه وتعالى– جعل القرآن يصلح لكل زمان ومكان: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان: ١، فالقرآن فرقان للعالمين وليس فقط للأسباب التي نزل لأجلها، يعني أحيانًا ممكن الآية بتنزل لسبب معين لكنها بتخاطب الجميع، فالناس كلها مش هتعيش في السبب ده، لأن السبب ده مخصوص في قوم مخصوص في زمن مخصوص، إنما القرآن نزل للعالمين، لذلك مهم جدًا إن احنا نقف مع ألفاظ الآيات ونعرف معاني هذه الآيات، لكن أسباب نزول القرآن بتعرفنا المعنى الأصيل، المعنى التي قصدته الآية في النزول.

السبب التاني اللي ذكروه وأحيانًا يتعدد نزول الآيات على أسباب متعددة على قول من أقوال التفسير، السبب الثاني أن الرجل كان إذا أسلم قالوا له: "سفّهت أباءك وضللتهم وكان ينبغي لك أن تنصرهم" إن الراجل لما كان يسلم فكان يقولوا له الحق ده انت ضيعت دينك

وضيعت أخواتك وضيعت أصحابك وضيعت مجتمعك، وانت كنت المفروض إن انت تبقى عضد ونصير، يضغطوا عليه مجتمعيًا لأنه أسلم لله رب العالمين، يضغطوا عليه مجتمعيا لأنه لم يتبع أراءهم وأفكارهم وأهواءهم، كان ينبغي لك أن تنصر آباءك وتنصر الآلهة التي يعبدها الآباء، فنزلت هذه الآية، قاله ابن زيد.

قال الزجاج ومعنى الآية: "إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم ولا يؤاخذكم بذنوب غيركم، وهذه الآية لا توجب ترك الأمر بالمعروف لأن المؤمن إذا تركه وهو مستطيع له فهو ليس بمهتد بل هو ضال".

وقال عثمان بن عفان: "لم يأتِ تأويلها بعد".

وقال ابن مسعود: "تأويل هذه الآية في آخر الزمان، قولوا ما قُبِل منكم، فإذا غُلِبتم فعليكم أنفسكم". ابن مسعود بيقول: إن الآية دي هتشوفوها في آخر الزمان، لكن عموما هو بيفسر الآية بيقول لهم: قولوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه حد هيقبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه حد مش هيقبله، فقال لهم لو واحد قبل خلاص هو قبل، لو واحد رفض عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، يعني انت عليك البلاغ وعليك البيان ثم بعد ذلك –ده قول ابن مسعود في الآية– ثم بعد ذلك من شاء أن يتبع الحق فليتبعه، ومن شاء أن يعرض عن الحق فهو وشأنه الله يحاسبه، لكن عليك أن تقول ثم إذا رفض الناس هذا القول فلا يضرك ما يرفضه الناس، إنما عليك بنفسك، فقم انت بالحق وافعل هذا الحق حتى لو كنت وحدك.

وفي قوله: لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ قولان:

– أحدهما: لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ بترك الأمر بالمعروف إِذَا اهْتَدَيْتُمْ انتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هنا حذيفة بن اليمان يفسر لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ بيقول: إن الهداية هنا هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والضلال هنا هو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فـ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني لا يضركم من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا انتم اهتديتم إلى هذه العبادة العظيمة اللي هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

طبعا شيخ الإسلام يعني رجل حازق رجل دقيق عالم نحرير إن هو يأتي بهذه الآية وهو يعلم تفسير هذه الآية ويعلم اختلاف العلماء في تفسير هذه الآية حتى يُعَلِم الناس وحتى يبين للناس معنى هذه الآية. إن حذيفة بن اليمان وهو أحد أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول: إن الهداية والضلال اللي موجودين في الآية مقصود بهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ يعني لا يضركم من ضل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا اهتديتم انتم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني لو انت قررت انك تدعو إلى الله وانك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ولقيت واحد بيقول لك لأ وده غلط وما تعملش ده، أو واحد تاني أعرض عن ذلك؛ سواء عن إن هو يساعدك أو إن هو يعينك على ذلك أو إن هو يقبل منك هذا، فلا يضرك هذا عند الله –سبحانه وتعالى–، ده قول.

القول الثاني لا يضركم من ضل من أهل الكتاب إذا أدوا الجزية، قاله مجاهد.

ثم قال –تعالى–: "فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ"، هنا شيخ الإسلام بيذكر اختلاف الناس في هذه الآية، وقال: "الاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضُلَّال، وذلك يكون تارة بالقلب وتارة بلسانه، وتارة باليد". وبعد كده بدأ يتكلم على الفريقان من الناس اللي غلطوا في هذه الآية؛ اللي هو فريق ترك ما يجب عليه من الأمر والنهي تأويلًا لهذه الآية كما قال أبو بكر الصديق إنكم تقرأون هذه الآية عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ وأنكم تضعونها على غير موضعها، وأني سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول إن الناس إذا رأوا منكرًا فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابٍ منه. والفريق الثاني من يرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بلسانه وإما بيده مطلقا، هنا بدأ شيخ الإسلام بيتكلم على إن الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى حكمة، يحتاج إلى تدريب، يحتاج إلى فقه، يحتاج إلى حلم، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى موازنات بين المصالح والمفاسد، ويحتاج إلى علم، فلا ينبغي مطلقًا إن احنا نعمم؛ واحد ياخد الآية ويبدأ يعممها، ده هنا عنده مشكلة، عشان كده بدأ شيخ الإسلام يتكلم على الفريق الثاني وهو طول شوية في الفريق الثاني وضرب أمثلة في مسألة الفريق الثاني حتى يبين أن اللي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان عنده مشكلة، واللي استعمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطريقة خاطئة برضه عنده مشكلة، بل عنده مشكلة كبيرة جدًا، وهذه المشكلة ممكن تضيع الأمة بل تضيع الدين كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ممكن يضيع الدين، يعني كما أن الدين ممكن يضيع لما الناس تترك العبادة العظيمة زي الصلاة زي التوحيد زي قراءة القرآن زي الذكر زي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيه عبادات عظيمة من الدين، فيه أركان للدين، وفيه واجبات للدين وفيه قيم مهمة في الدين، كذلك ممكن الدين يضيع أيضًا بالمغالاة والغلو في فهم أو في التطبيق دون حكمة ودون معرفة لمنهج النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فبدأ شيخ الإسلام بيتكلم عن الفريق الثاني الناس اللي غالت أو اللي فهمت الآية غلط وسببت بفهمها الخاطئ مزيد من المشكلات ومزيد من تضييع الدين، كما أن غيرهم تركوا الدين، يعني فيه ناس تركت الدين وفيه ناس استعملت الدين استعمال خاطئ فبالتالي نتج عنه أيضًا فساد عظيم.

قال: "والفريق الثاني من يريد أن يأمر بالمعروف إما بلسانه وإما بيده مطلقًا من غير فقه ولا حلم ولا صبر ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يُقْدَر عليه وما لا يُقْدَر، شوفوا يا جماعة الـ ٦ حاجات اللي ذكرهم شيخ الإسلام دول هيقف معاهم وقفات مهمة جدًا، ياريت نحط تحتهم خط: <u>من غير فقه</u>، <u>ولا حلم</u>، <u>ولا صبر</u>، <u>ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح</u>، عد كده معي فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح وما لا يصلح <u>وما يُقْدَر عليه وما لا يُقْدَر</u>، يبقى هنا هو ذاكر خمس حاجات وسادسهم؛ <u>الرفق</u>. هو ذكر الرفق قبل الموازنات.

وهنا الفقه هيعبر عنه بالفقه ويعبر في موضع آخر بالعلم، يعني هنا ٦ شروط وضعها شيخ الإسلام ودندن حولها، هو ما كتبهمش هذه شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما هو دندن حول هذه المعاني ليبين أن الأمر يحتاج إلى رفق، يحتاج إلى فقه، يحتاج إلى حلم، يحتاج إلى صبر، يحتاج إلى نظر في المصالح والمفاسد، يحتاج إلى نظر في قدرة الإنسان، الإنسان يقدر ولا لا يقدر؟ هل إيمانه يتحمل ولا إيمانه لا يتحمل؟ هل عنده قدرة على الكلام ولا ما عندوش قدرة على الكلام؟ هل عنده حجة ولا ما عندوش حجة؟ هل هو عنده قدرة على تحمل أعباء وتبعات هذا الأمر ولا ما عندوش قدرة على تحمل تبعات هذا الأمر؟ الأمر محتاج حقيقةً إلى فهم للتشريع. فبدأ يتكلم على أن فيه ناس قررت إنها تسمع الآية وتعمل بها مطلقًا دون أن تفهم هذه المعاني وهذه الاعتبارات المهمة التي وضحها الله -سبحانه وتعالى-، وذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبينها أهل العلم عبر العصور.

هنا بدأ شيخ الإسلام يتكلم على الطرف التاني اللي هو الطرف اللي قرر إنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بإيده أو بلسانه مطلقا دون أن يراعي هذه الاعتبارات؛ اللي هي نقدر نقول اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول من الأركان المهمة التي ينبغي مراعاتها، نقدر نقول بعض شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقدر نقول موازنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الحاجات اللي احنا لابد نفكر بها ونفكر فيها في هذه العبادة العظيمة، الرفق والفقه والحلم والصبر والنظر في المصالح والمفاسد والنظر فيما يقدر عليه العبد.

فبيقول شيخ الإسلام كما في حديث أبي ثعلبة الخشني؛ بدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنما النبي -عليه الصلاة والسلام- قال له مُر بالمعروف وانهى عن المنكر، لكن عند حد معين لابد انك انت تتوقف. ليه أتوقف؟ لأن فيه حاجة تانية انت لا تقدر عليها. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "بل ائتَمِروا بالمعروفِ وتناهَوْا عن المنكَرِ

حتَّى إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه فعليك نفسَك ودَعْ أمرَ العوَامِّ فإنَّ مِن ورائِكم أيَّامًا الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ رجلًا يعمَلونَ مثلَ عملِه"[٣١].

هنا بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول للصحابي إن انت تدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– لكن فيه وقت من الأوقات الدعوة بيكون الأمر فيه صعوبة بمكان، الناس مش هتسمع الكلام، ليه؟ فيه شح مطاع؛ فيه واحد أورث الشح، لما واحد يكون عنده شح شديد فانت محتاج تعالج هذا الشح، عارفين إصلاح الآلة؛ عارفين فيه عربية محتاجة بنزين بس عشان تمشي، فيه عربية محتاجة ماية عشان تمشي، فيه جهاز محتاج يتحط بس في الكهربا يتوصل بمصدر الطاقة عشان يشتغل، لكن فيه جهاز بايظ أصلًا حتى لو وصلته بمصدر الكهربا، حتى لو حطيت له بنزين، وحطيت لها ماية هي فيها مشكلة، محتاجة تتصلح الأول. فيه بني آدم عنده مستقبلات طبيعية محتاج إن هو حد بس يعرفه الحق فين وهو ينطلق في الحق، لكن فيه واحد عنده مستقبلات غلط هو محتاج يغير مستقبلاته، يبقى عنده شح مطاع، عنده إن مصلحته الشخصية هي دي المطاعة عنده، هو ما عندوش الحق والباطل ما عندوش معيار الحق المطاع، ما عندوش معيار العدل هو المطاع، ما عندوش الوحي هو المطاع، هو عنده نفسه ومصلحة نفسه هي دي المطاعة، عنده شح، الدين أصلًا مبني على البذل مبني على التصديق والاستسلام، فهو مش قادر مش هيبذل؛ مش هيبذل من وقته، مش هيبذل من ماله، مش هيبذل من نفسه، مش هيبذل من فكره، مش هيبذل فبالتالي هو مهما انت تقول هو فيه حتة مُشْكَلَة محتاجة تتغير الأول، إذا رأَيْتَ شُحًّا مطاعًا وهوًى متَّبَعًا إن هو عنده قصة إن هواه هو اللي بيقوده، ودنيا مؤثَرةً وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه ورأيت العجب وإيثار الدنيا والشح واتباع الهوى وأمر لا طاقة لك به، فقال له: عليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من وراءك أيام الصبر.

فيأتي الأمر والنهي معتقدًا أنه مطيعا لله ورسوله وهو معتدٍ في حدوده، هنا بدأ شيخ الإسلام بيقول: لو واحد لقى الحاجات دي وما سمعش كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– اللي قال له: في الموقف ده حاول انك تطبق الدين عن نفسك، حاول انك انت تقيم الدين في نفسك، لو لقيت الناس مش هتسمع ولقيت الهوى متبع، ولقيت إن أي كلام هيتقال هيؤول تأويل آخر، ولقيت أن انت هيبقى فيه مفسدة أكبر من المصلحة، ولقيت إن انت لا قدرة لك على التغيير ولا قدرة لك على البيان ولا قدرة لك على الأمر والنهي، فعليك بنفسك يعني انت اصبر على الدين، اصبر على إقامة الدين في نفسك في أبنائك في من تستطيع أن تبلغهم فقط، ودع عنك أمر العوام يعني ما تشيلش هم المسئولية الكبيرة اللي انت مش هتقدر تشيلها، إنما شيل نفسك وشيل من تستطيع، شيل من تعول، شيل مسئوليتك فقط لأنك لن تستطيع أن تتحمل هم العوام اللي هي عموم الناس.

فقال: يأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع لله ورسوله، يعني الناس اللي فهمت الآية إنها مطلقة دون هذه الحدود اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– وضعها اللي هي الشح المطاع والهواء المتبع والدنيا وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه وأمر لا يدان لك به، فشيخ الإسلام هنا بيقول: إن حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يا جماعة له فقه له حدود له شروط، مش كله في كل وقت وفي كل حاجة نتكلم ونقول أي حاجة وكل حاجة تغير بالإيد، لا لا لا الكلام ده مش صحيح، الكلام ده محتاج إلى موازنة كيف طبق النبي –صلى الله عليه وسلم–؟

وهنا يا جماعة نقطة مهمة جدًا أن القرآن نزل مطبقا، يعني إيه مطبقا؟ يعني احنا النهاردة بنسمع مثلًا واحد بيدعي يقول أنا مثلًا ليبرالي أو علماني أو غير ذلك، ويبدأ يطلع فكرة جديدة ويقول والله كل واحد يفهم الدين بمزاجه، لا يا جماعة؛ ربنا –سبحانه وتعالى– نزل الوحي وأمر النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يطبقه، وأمرنا إن احنا نتبع النبي –عليه الصلاة والسلام–، وقال: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" الأحزاب:٢١، يعني اللي عايز يفهم القرآن هيدور على سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم–، اللي عايز يفهم الآية دي معناها إيه؟

[٣١] صحيح ابن حبان

هيشوف النبي –عليه الصلاة والسلام– فهمها ازاي، فيه معنى يا جماعة اسمه معنى شرعي، يعني إيه معنى شرعي؟ يعني فيه مصطلحات صُكَّت من جديد، يعني الشرع نقل ألفاظ من معاني لغوية إلى معاني شرعية، يعني كلمة الصلاة في اللغة العربية يعني الدعاء، يعني يقولوا صلى يعني دعا، يعني واحد دعي إلى الطعام فواحد لبى وكان صائم فلبى والآخر قام فصلى، يعني قام دعا لهم، لكن المتبادر إلى الذهن الآن عند جميع المسلمين يعني إيه صلى؟ يعني قام صلى يعني قام قال: الله أكبر وصلى الصلاة المعروفة؛ الألفاظ المعروفة والأذكار المعروفة في الأوقات المعروفة على الهيئة المعروفة، السجود المعروف والركوع المعروف. ده بقى الشرع نقل لفظ الصلاة ده بقى له معنى مختلف عن المعنى اللي كان معروف في اللغة قديمًا، فهنا لو احنا عايزين نفهم الشرع احنا عايزين نفهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، لو احنا عايزين نعرف الوحي فلننظر إلى كيف طبق النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الوحي، إن لما نقول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش معناه الصورة الذهنية سواء الخاطئة أو المرسومة في ذهن كل إنسان، إنما لو عايزين نفهم ده نفهم النبي –صلى الله عليه وسلم– عمل كده ازاي؟ وازاي ربنا أمرنا بده؟ وازاي ربنا تكلم بهذا الكلام؟ وربنا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– إنه ينفذ هذا الكلام، وأمرنا إن احنا نفهم هذا الكلام من كلام الله –سبحانه وتعالى– ومن تطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أمنا أم المؤمنين عائشة تقول: "كان النبي –صلى الله عليه وسلم– خلقه القرآن"، هنا يا شيخ الإسلام بيوضح ضوابط هذا الكلام في ضوء تنفيذ النبي –صلى الله عليه وسلم–، في ضوء معيارية تطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–.

بيقول: إن الناس اللي فهمت خطأ للآية بدأ الفريق التاني من المخطئين في تفسير الآية إنه يعمم نوع معين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي هو درجة من درجات الإنكار باليد أو الأمر باليد أو الأمر باللسان أو التطبيق باللسان فقط دون أن يراعي هذه الاعتبارات الشرعية وهذه الحدود الفاصلة اللي ينبغي عندها أن يقف، لإنه بعد كده هيسبب مفسدة عظيمة منهي عنها أصلًا شرعًا.

قال: "فيأتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معتقدا انه مطيع لله ورسوله وهو معتدٍ في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسه للأمر والنهي"، بيقول زي ما كتير من أهل البدع والأهواء وضع نفسه مكان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وبدأ يعمم أفكاره وتصوراته وحكاياته على الناس، وبدأ يكلم الناس آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر متخيلًا إن هو كده بيعمل عمل خير وهو في الحقيقة بينشر كلام غلط، وبينشر أهواءه وأفكاره وتصوراته لا ينشر كلام الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولا يأمر بالمعروف الذي أمره الله أن يأمر به ولا ينهى عن المنكر –هنا يا جماعة المعروف والمنكر ده المعروف شرعا والمنكر شرعا– يعني كلمة معروف وكلمة منكر يعني فيه فلان يقولوا مين فلان يقولوا فلان يا عم ده فلان ده معروف؛ معروف يعني إيه؟ يعني الناس عارفينه، ده مش المقصود، إنما المعروف يعني المعروف عند الله –سبحانه وتعالى– أنه معروف، المنكر يعني المنكر الذي قبحه الله –سبحانه وتعالى– شرعًا، الذي قبحه النبي –صلى الله عليه وسلم– شرعا، الذي رتب عليه إثم فده اسمه منكر، لكن منكر في اللغة يعني واحد نكرة يعني واحد مش معروف واحد مش معرف، منكر في اللغة العربية في الألفاظ يقولوا: الغير معرف؛ وفيه تعريف بالألف واللام وتعريف بالإضافة وفيه أعلام، لكن هنا ده مش المقصود، المقصود هنا المنكر شرعا، المعروف شرعا، يعني الشيء المحمود عند الله –سبحانه وتعالى–، الشيء الممدوح عند الله –سبحانه وتعالى–.

فبيقول إن بعض الناس تفهم الآية غلط وتبدأ تأمر وتنهى على الطريقة التي تراها هي صحيحة دون أن تراعي كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وتطبيق النبي –صلى الله عليه وسلم–، فتفهم الآيات وفق مرادها لا وفق مراد الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم ممن غلط فيما آتاه الله من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك وكان فساده أعظم من صلاحه"، بدأ شيخ الإسلام بيقول إن فيه بعض الناس استعملت أساليب خطأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأدى ذلك إلى فساد أكبر من الصلاح، وهم متخيلين إن هم بيعملوا الصلاح، كنا عاملين درس اسمه عقلية الخوارج؛ إن الخوارج صحيح هم طائفة من الناس ولهم أفكار خاطئة لكن فيه عقلية فيه طريقة تفكير اسمها طريقة تفكير الخوارج، اللي هي طريقة طائشة واحد مش بيفكر كويس، واحد ما عندوش موازنات، واحد

ما بيفهمش الحكمة، معندوش نضج ولا عقل في التفكير، إنما هو عنده تطرف في طريقة تفكيره، للأسف لفظ الخوارج ده بقى عارفين التهمة اللي أي حد مختلف مع أي حد يقول لك ده من الخوارج، يعني بقى كل الناس بتستعمله، يعني أي شيخ بيختلف مع شيخ تاني أو بيختلف مع طائفة من الناس يقول عليهم خوارج، الحكومة لما بتتضايق من حد بتقول عليهم خوارج، الجماعات لما تتضايق من الحكومة تقول عليهم خوارج،

احنا محتاجين نقف مع هذا اللفظ الشرعي اللي استعمله النبي –صلى الله عليه وسلم– وإيه معناه؟ وإيه المفهوم منه؟ وإيه مقصوده؟ وهل ده ينطبق على اللي احنا بنقوله؟ ولا هي تهم الناس بترمي بعضها البعض وخلاص؟

هنا شيخ الإسلام بيقول: إن طائفة اسمها طائفة الخوارج، وطائفة اسمها طائفة الرافضة –اللي هم الشيعة–، وطائفة اسمها طائفة المعتزلة، هذه الطوائف ضلت في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إيه كان سبب ضلالهم؟ سبب ضلالهم إن هم فهموا الآية بطريقة خاطئة فعمموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد على كل المستويات.

يعني الخوارج فيهم مشكلتين:

المشكلة الأولانية إن هم بيفصلوا بين القرآن والسنة، يعني هو شايف القرآن حاجة وشايف السنة حاجة، اللي هو الراجل اللي قال للنبي –عليه الصلاة والسلام–: اعدل، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– ويلك من يعدل إن لم أعدل؟ هو شايف إن تطبيق النبي –عليه الصلاة والسلام– غير القرآن، فهو قرر ده. ده أول مشكلة الخوارج، إن هو شايف إنه بيفهم الوحي أكتر من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، فبدأ يعاتب النبي –عليه الصلاة والسلام– على تطبيق النبي –عليه الصلاة والسلام– للوحي الخاطئ، هو فاهم إن النبي –عليه الصلاة والسلام– طبق الوحي خطأ، وطبعا هو ضل ضلال بعيد إن ربنا –سبحانه وتعالى– زكّى النبي –صلى الله عليه وسلم– وقال له: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم:٤، ربنا –سبحانه وتعالى– أمر الناس باتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، وقال: "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" الأحزاب:٢١، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ" آل عمران:٣١، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر في كتابه الكريم أكثر من سبعين مرة آيات تحض على طاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى الاقتداء بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومع ذلك هو قرر إن هو الخوارج ده فكرة، فكرة إن هو شايف نفسه أفهم للدين حتى من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

الفكرة التانية إن هو جريء، إن هو جريء جدًا، يعني بيستحل بسهولة، عنده تطرف، ما بيعرفش يفهم، عارفين فيه ناس كده عندها مشكلة، يقول لك أنا إيه؟ أنا ما بعرفش أجيبها على بعضها، أنا يا كده يا كده، مفيش حاجة اسمها كده، الإسلام بيعلمك انك انت تتوازن، دايما تتوازن في حياتك كلها، عارفين اللي هو انت بتصلي وبعد كده بتنزل الشغل وبعد كده تطلع من الشغل تروح تزور مريض وتعود مريض وبعد كده تطلع على جنازة وبعد كده ترجع تصلي تاني، طب ازاي ألاقي قلبي في الصلاة؟ وازاي ألاقي قلبي في الشغل؟ وازاي آكل من حلال؟ وازاي أبقى زوج؟ وازاي أبقى ابن؟ وازاي أبقى أب؟ وازاي أبقى صاحب؟ وكل مقام من دول مختلف، انت بتقعد مع صاحبك هو صاحبك بيقول لك ازيك يالا؟ وبتهزروا مع بعض بطريقة عادية احنا أصحاب، وبعد كده بتنزل تروح تطلب العلم وبتروح تدرس بتقابل الشيخ بتقابله بكل توقير واحترام، وبعد كده بتنزل انت تشتغل فانت بتبقى في شغلك انت لك مكانة معينة، وبعد كده بتيجي عند أمك بتعامل أمك بطريقة انت ابن؛ انت هنا مش جاي لها الشيخ ولا جاي لها المهندس ولا جاي لها الدكتور ولا جاي لها الباشا، انت جاي لها ابن، اللي تقول لك عليه اعمله، تقول لك انزل امسح، اعمل كذا، ارمي الزبالة، انت جاي هنا ابن، انت جاية هنا زوجة، انت جاي هنا موظف، انت جاي هنا صاحب، انت جاي هنا جار، الإسلام بيعلمك انك تتوازن، انك تعرف تتعامل وتحقق عبوديات مختلفة في أوقات مختلفة.

فيه ناس دماغها أبيض وأسود هو عنده يا أبيض يا أسود، ودي طبعا عقليات هدمها الشرع، كل من له صلة بالشرع يفهم إن الشرع أكثر تفصيلا وأكثر حكمة من هذا التطرف أو هذه المعاملات التي فيها نوع من أنواع الجنوح.

هنا الفريق التاني ده اللي هم الخوارج كانوا عندهم مشكلة في فهم الإيمان، فبالتالي كان عندهم مشكلة في فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبدأوا يخرجوا أو بدأوا يكفروا المسلمين، ودي النقطة الثانية إن هم عندهم جرأة على دين الناس إنه بيكفر الناس.

التكفير ده مصيبة إن انت عشان تتكلم في دين واحد ده محتاج منك انك انت هتتسأل يوم القيامة، ربنا يسألك انت قلت على عرض فلان ليه؟ انت قلت على دين فلان كده ليه؟ "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ –يعني لا تتبع ما ليس لك به علم– إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" الإسراء:٣٦.

المعتزلة طائفة من الناس قدمت العقل على الوحي، قدمت العقل على الشرع يعني مش في مجال إن احنا نطرح أوي أفكار الجماعات أو أفكار الفرق، لكن سريعًا كده التلات فرق دول؛ الخوارج المعتزلة روافض الشيعة ضلوا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرروا إن هم يطبقوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة فقط، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم لا يحتاج إلى فقه ولا يحتاج إلى حلم وصبر ونظر في المآلات، إنما هو بالنسبة لهم كده صبة واحدة، هو كلمة واحدة فبالتالي كان عندهم ضلال شديد، واستحلوا دماء كثيرة جدًا وده تسبب في مفاسد عظيمة جدًا.

بعد كده بدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن من الموازنات التي أُمرنا فيها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسألة الصبر على جور الأئمة، قال: "ولهذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– على بالصبر على جور الأئمة، يعني إيه الأئمة يا جماعة؟ هقول لكم الحكاية من الأول؛ بداية قبل بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– كان الناس بتتحاكم إلى الأهواء، يعني إيه بتتحاكم إلى الأهواء؟ يعني فيه مثلًا قبيلة؛ القبيلة دي بيحكمها فرد، الفرد ده الناس كلها بتمشي يمين على دماغ الفرد أو بتمشي شمال على دماغ الفرد، فكان بيتحاكموا إلى هوى واحد، ده كان موجود، ما كانش موجود في قبائل العرب أوي لكن موجود عند غيرهم، يعني كان موجود في الفرس كان موجود في الروم، كان فيه واحد هو بيمشي السفينة كلها يا يمين يا شمال، فهم كلهم بيتحاكموا إلى هواه، فكان هو أحيانًا بيتكلم بسلطة الإله وأحيانًا بيتكلم بسلطة نفسه، لكن هو في الآخر خالص إيه؟ الجميع تابعون لسلطته هو بالهوى، بعد كده كان فيه قبائل العرب على الصعيد الآخر كان الناس بتتحاكم إلى القبيلة، يعني أعراف القبيلة؟ ده بقى بيتحاكموا إلى أهواء مجتمعة، يعني مجموعة من الناس كده دول كبراء القبيلة فدول كانوا يمشوا القبيلة يمين وكانوا يمشوا القبيلة شمال.

لما بُعث النبي –صلى الله عليه وسلم– كداعية، النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيدعو الناس إلى عباد الله وحده لا شريك له، وبدأ إنه أصلًا يكلمهم عن عبادة الله وعن تعظيم أمر الله، وبعد كده أذن الله –سبحانه وتعالى– بهجرة النبي –صلى الله عليه وسلم– فأقام النبي –صلى الله عليه وسلم– دولة، هنا لما أقام النبي –عليه الصلاة والسلام– دولة؛ بقى لابد من إقامة نظام سياسي، طب النظام السياسي ده هيقوم على إيه؟ فبدأ يظهر مصطلح شرعي، ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا به اللي هو مصطلح أولو الأمر أو الطاعة، يعني إيه طاعة؟ يعني انت تطيع اللي قدامك، تطيعه ليه؟ فبدأ الصحابة مش متعودين إن احنا نطيع حد، احنا متعودين إن احنا نطيع كبير القبيلة أو متعودين إن احنا نطيع الأقوى، لكن مش متعودين إن احنا نطيع الدين، وبعدين بدأوا يقولوا للنبي –عليه الصلاة والسلام– خلاص احنا ممكن نطيعك انت لكن مش هنطيع حد تاني إلا انت، فبدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يُرسِّخ معنى إن فيه حاجة اسمها أمير، فيه حاجة اسمها إمام، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "مَن أطاعَنِي فقَدْ أطاعَ اللَّهَ، ومَن عَصانِي فقَدْ عَصَى اللَّهَ، ومَن أطاعَ أمِيرِي فقَدْ أطاعَنِي، ومَن عَصَى أمِيرِي فقَدْ عَصانِي"[٣٢]، بدأ النبي –عليه الصلاة والسلام– يُخرِج مثلًا سرية أو غزوة، فيقول لهم مثلًا على الغزوة عبد الله بن جحش، على الغزوة مثلًا

[٣٢] صحيح البخاري ومسلم

أسامة بن زيد، يعني إيه عليها؟ يعني أميرها يعني رئيسها يعني كبيرها، طبعا كبيرها ده ما لوش علاقة بمقام، يعني كان ممكن يكون في الغزوة دي أو في السرية دي أو في المعركة دي واحد يكون أقدم منه وأكبر منه وأعلم منه وأفقه منه وأحب إلى الله منه وأحب إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– منه، ومع ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيقيم الأمراء على معايير مختلفة تمامًا على معيار إن هو أقدم أو إن هو أعلم أو إن هو أسبق أو إن هو له فضل في الدين.

فبدأ يظهر مصطلح اللي هو مصطلح الولي أو ولي الأمر أو الأمير، المصطلح ده شرعا ده مصطلح استعمله النبي –عليه الصلاة والسلام– ليعلم ناس مسألة إن الأمر الحياتي محتاج مننا إلى تنظيم ومحتاج مننا إلى إقامة عدل، وإن ده مش هيتم بأهواء الناس، تخيلوا كده لو الناس طالعة مثلًا في معركة؛ أسامة بن زيد قائد وبعد كده لما واحد قال له احنا مثلًا هنهاجم بالليل قام قايل له لا أنا مش مقتنع احنا نهاجم الصبح، فقام واحد قال احنا هنطفي النار قام قال له لأ لأ احنا نقيد النار، فواحد بيقول له طب احنا مثلًا قبل ما نهاجم هنطلع تلاتة قال له لأ احنا هنطلع عشرة، هيقعدوا يختلفوا عمر ما أي مهمة هتنجز، ده من المسلمات الحياتية وده معروف على فكرة عند الجميع، الواحد بيتعجب إن ده مشاهد ومعترف به في كل مستويات الأعمال في العالم كله، وبيجي الناس عند الدين تحس إن بقى عندهم مشكلة كده، تحس إن فيه حتة كده بدأت تنور إن ده غلط، يا جماعة هو فيه إيه؟ هو ده نظام مجتمعي عالمي ده في كل حاجة زي السنة المجتمعية.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– بدأ يقول للصحابة إن هم يطيعوا الأمراء اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– أمَّرَهم عليهم، وبعد كده بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم– الصحابة اتفقوا على إن يكون أبو بكر الصديق وده كان بتولية النبي –صلى الله عليه وسلم–، وبدأ أبو بكر الصديق يكون خليفة للنبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم أبو بكر الصديق حكم بالعدل وحكم بالشرع فماكنش الناس عندهم مشكلة، ليه؟ لأن الشرع هنا التقى مع السلطة، يعني أعلى رأس شرعية هي أعلى سلطة شرعية، يعني هي أعلى سلطة اللي هي خليفة النبي –صلى الله عليه وسلم– اللي هو مدير الأمة رئيس الأمة أمير الأمة هو أعلم الأمة بالشرع، وبعد كده مرت الأيام وبعد كده جاء عمر وبعد كده عثمان وبعد كده علي بن أبي طالب وانقضت الخلافة الراشدة، وكان في الخلافة الراشدة كان أعلى سلطة في الخلافة هو أعلم الناس بالدين، بعد كده بدأ يحصل افتراق؛ افتراق ما بين السلطان والقرآن، افتراق ما بين السلطة الشرعية اللي هي الدين وعلم الدين وإقامة الدين وفهم الدين وتطبيق الدين، وما بين السلطة السياسية اللي الناس بتحكمها، فقامت الدولة الأموية وقام المُلك العادل ممثلًا في سيدنا معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه–، وبدأ يحصل انتقال من مسألة إن الناس بتتشاور في أكتر واحد ينفع دينًا ويكون هو الأمير عليهم وإنه يكون قوي أمين، إلى أن بقت مسألة عصبيات وبدأ يحصل نوع من أنواع انتقال الخلافة الرشيدة إلى مُلك عادل، ثم بعد ذلك توالت الأيام والدول، الدولة الأموية وبعد كده الدولة العباسية وبعد كده الدولة العثمانية، لكن في كل ده علماء المسلمين عبر العصور بيقولوا هؤلاء حتى وإن انتُقِصَ عقد الطاعة ما بين المسلمين وبين هذا الخليفة أو هذا الأمير أو هذا الملك أو هذا السلطان عليهم لكن يبقى له حكم الطاعة العام، عندنا فيه ناس خالفت زي مثلًا الخوارج قال لك لا احنا هم بيبقى ما عندهمش مشكلة خالص إن هم يسفكوا الدماء لأي حد، لأن هو أصلًا مبني تفكيره أصلًا –تفكير الخوارج– مبني على عقيدة إن اللي ما بيعجبوش بيكفره، وهو شايف إن هو نفسه أعلى من أي حد في الدين، حتى هو نفسه أعلى من النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وغيرهم من أهل البدع أيضًا كانوا بيخرجون بالسيف، عارفين يا جماعة فيه تلاتة من الخلفاء الراشدين ماتوا مقتولين؛ عمر بن الخطاب مات مقتول، عثمان بن عفان مات مقتول، علي بن أبي طالب مات مقتول، ولكن لأنهم خلفاء راشدين لم يتخذوا حراسًا، لإن هو بيقول لك أنا رجل دين أصلًا مش محتاج حراسة، أنا راجل عايش عشان الدين وهموت عشان الدين، لكن معاوية بن أبي سفيان –رضي الله عنه– حول الأمر إلى ملك، معاوية بن أبي سفيان بنى القصور وعمل حراس، وكانت دي نقطة فاصلة وتحول تاريخي في أمة الإسلام.

ابن خلدون في مقدمته اعتذر لسيدنا معاوية بن أبي سفيان وقال قال إن الأمم وسنن الله في إقامة الدول والمجتمعات لا تقوم إلا على العصبات، وإن اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– عمله والخلافة الراشدة ده كان استثناء من كل السنن الكونية والاجتماعية، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– استطاع إن هو يقيم شيء على الدين وهذا الشيء استمر أربع خلفاء، ودي في سابقة لم تحدث في أي تاريخ عبر ذلك، لكن الطبيعي إن كان لابد إن الدين عشان يقوم لابد إن يكون فيه عصبة تحميه، فبيقول إن سيدنا معاوية بن أبي سفيان أنقذ الإسلام، يعني هو على عكس كتير من المؤرخين اللي كانوا بيهاجموا سيدنا معاوية وبيهاجموا ابنه وبيهاجموا انتقال الحكم من الخلافة إلى الملك، ابن خلدون اعتبر ذلك شيء محمود، ليه؟ قال لأن ده كان إنقاذ للإسلام على عكس النصرانية واليهودية وغير ذلك، لولا إن معاوية فعل ذلك لضاع الدين، لإن الدين السنن المجتمعية بتقول إنه لا يقوم إلا على العصبات وكان أقوى عصبة في هذا الوقت هي عصبة بني أمية، فكان فعل معاوية إنقاذ للدين.

الشاهد اللي أنا عايز أقوله أنا بس كل ده عشان أوضح نقطة يعني إيه الأئمة، الأئمة دول الناس اللي مفروض إنها بتحكم بالشرع، الأمر اختلف من دولة لدولة ومن حقبة لحقبة، بدأت الدولة الأموية وبعد كده الدولة العباسية وبعد كده الدولة العثمانية وبعد كده جاء الاستعمار وبعد كده بدأت حاجة اسمها الدولة القومية دي دولة مختلفة تمامًا عن اللي احنا بنتكلم فيه، إن الدول اللي احنا بنتكلم فيها دي الأموية والعثمانية والعباسية ودولة الخلافة، دي كلها كانت بيحكمها شرع لكن لما جاءت الدولة القومية؛ الدولة القومية مسألة مختلفة إن المحور فيها مش الدين، إنما المحور فيها هو الوطن، الأرض، الحدود، بيوالوا ويعادوا على الحدود، بيبقى معيار الحب والكره على الحدود، بقى فلان مفروض إن له ترتيب معين لإنه مجنس بجنسية معينة، بغض النظر عن دينه، يعني بغض النظر هو دينه إيه؟ بغض النظر هو بيؤمن بربنا والا مش بيؤمن، على عكس دولة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

الشاهد إن لفظ الإمام ده هو لفظ استعمل شرعًا لبيان صاحب السلطة الذي يحكم في الناس بالشرع، طيب، افرض الراجل ده اللي بيحكم الناس بالشرع ده عنده مشكلة، عنده مشكلة مثلًا إن هو بيعمل معصية إن هو فيه بعض الظلم، فيه بعض المشاكل، طب نعمل إيه؟ هل الناس تسكت؟ هل الناس تنكر؟ هل ناس تهيص تعمل إيه؟ فهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر بالصبر على جور الأئمة، لحد فين؟ قال لحد حد معين؟ شيخ الإسلام بقى بيقول إن ده من الفقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن ليه النبي –عليه الصلاة والسلام– أمر بده؟ شيخ الإسلام بيرضح إن النبي –عليه الصلاة والسلام– لما هو بيتكلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال إن المسألة لها ضوابط، فشيخ الإسلام بيستدل على هذه الضوابط وهذه الموازنات بنهي النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الخروج على الأئمة، فقال: "ولهذا –يعني لهذا الاعتبار من اعتبار المصالح والمفاسد والموازنات– أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على جور الأئمة"، يعني لما يكون فيه إمام وجار على الناس، وفعل فيه نوع من أنواع الظلم، هل الناس مجرد ما حصل كده تقوم تخرج عليه؟ قال طب خلاص خلينا نمشي في السلسلة دي، طيب الراجل عمل مظلمة وده اللي حصل مع سيدنا عثمان بن عفان بعض الناس رأت أنه فعل مظلمة، طب عملوا إيه؟ قاموا قايمين قتلوه، طب إيه اللي حصل لما قتلوه؟ هل حلت المشكلة؟ لا، وحصل مع علي بن أبي طالب؟ بعض الناس قالت لك ده علي بن أبي طالب عمل حاجة غلط، قام قتلوه، عارفين سلسلة القتال المستمرة اللي ما بتنتهيش؟ سلسلة الفساد المستمر ما بتنتهيش، ليه؟ لأن هو شايف إن فيه خطأ، فلذلك إن الناتج اللي انت عملته بعد ما بعض الناس يتخيل إن كده دي شجاعة، لا ده مش شجاعة، لأن انت ربما تتسبب في مفسدة أعظم من المصلحة اللي انت ترجوها، انت كنت قايم عشان إيه؟ يعني اللي قام قتل عثمان بن عفان ده، تخيلوا قتل عثمان بن عفان ليه؟ قال لك أصل عثمان بن عفان ما بيطبقش الشرع، تخيلوا كده، طيب عثمان بن عفان ما بيطبقش الشرع زي مين يعني؟ ما بيطبقش الشرع زي أبو بكر، لا شك إن عثمان ما بيطبقش الشرع زي أبو بكر، أبو بكر أفضل من عثمان بن عفان، لكن هل انت متخيل إن انت لما تقوم وتقتل عثمان بن عفان؟ انت هتلاقي حد تاني هيحل لك المشكلة يكون يجتمع عليه الجميع؟!

فشيخ الإسلام هنا بيستدل بأمر المصالح والمفاسد والموازنات، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ولهذا أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالصبر على جور الأئمة، طبعا ده يا جماعة على نقطة اللي احنا بنتكلم فيها على نقطة الإيه؟ الدول التي توارثت حكم الشرع من جيل إلى جيل وكانت تحكم بالقرآن.

الدولة القومية أمر مختلف تماما، الدولة القومية الوطنية دي مسألة مختلفة تماما، يعني أنا أظن إن هي لو كانت على عهد عمر لجمع أهلها أهل بدر، مسألة كبيرة وواسعة وفيها تفاصيل كتيرة واعتبارات كتيرة، بعض الناس عندنا برضه متطرفين، عندنا واحد اعتبر إن دي هي دولة الخلافة؛ دولة النبي –صلى الله عليه وسلم– وأسقط عليها كل الأحكام التي كانت موجودة على عهد النبي –عليه الصلاة والسلام– لمجرد تشابه الألفاظ إن ده إمام وده إمام، وبعض الناس العكس تماما قال لك لا لا لا ده غلط وفيه مخالفات شديدة فبالتالي قرر إن هو يكفر كل اللي موجودين، وده تطرف شديد الأمر، فيه تفاصيل كتيرة، فيه اعتبارات كثيرة.

شيخ الإسلام بيقول يا جماعة إن الموازنات مهمة جدًا في فقه وفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هل الدولة القومية هي دولة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–؟ لا يقينًا. هل الدولة القومية هي دولة مناوئة ومعادية للرسول –صلى الله عليه وسلم–؟ أيضًا لا الأمر فيه تفاصيل كثيرة وفيه اعتبارات كثيرة ويحتاج إلى فقه.

فهنا شيخ الإسلام بيستدل بمسألة الموازنات على أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالصبر على جور الأئمة، قال: "ونهاهم عن قتالهم ما أقاموا الصلاة" فهنا شيخ الإسلام بيقول إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال لهم ما حدش يقاتل الأئمة، قالوا له طب افرض يا رسول الله عملوا وعملوا وعملوا قال لهم ما دام بيقيموا الصلاة ما حدش يقاتلهم، هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جماعة بيوضح مفهوم ويوضح نهاية وغاية لهذا المفهوم، يعني قال لهم ما حدش يخرج "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهَانٌ"[٣٣]، أو إلا إن تروا معصية الله بواح أو "لا، ما أقامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ"[٣٤]، أو "ما أقامَ فيكُم كِتابَ اللهِ"[٣٥]، يعني فيه مجموعة من الاعتبارات قالها النبي –صلى الله عليه وسلم– لكن مش ده مجالنا دلوقتي. واحنا بنتكلم في السنة الشرعية إن شاء الله ممكن نبقى نتكلم في ده.

لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا يا جماعة بيتكلم على جور الأئمة والصبر عليهم ويوضح غاية ذلك، وشيخ الإسلام بيستدل بهذا الحديث على إن الموازنات مهمة جدًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال: أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم، ودي يا جماعة قاعدة مهمة جدًا، إن أحيانًا انتِ مع زوجك، انت في مجتمعك، انت في شغلك، أحيانًا انت أما بتيجي تشتغلي في الدين، بتلاقي اللي قدامك بيظلمك، وانت مش قادرة تعملي حاجة، فهنا هل نظلمه عشان ظلمنا؟ هل مثلًا اللي قدامنا بيعمل فينا حاجات مش ظريفة، بيتعامل معانا تعامل مش ظريف؟ هل نتعامل معاه بالطريقة اللي هو بيتعامل معانا بها؟ ولا العكس؟ فهنا شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– يوضح لنا مفهوم ومعيار مهم يقول: أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم، قال اعمل عليك، ابدأ باللي عليك، ابدأ بنفسك لا يضركم من ضل عليكم أنفسكم، اجتهد انت في طاعة الله –سبحانه وتعالى–، والله يكفيك إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

فبدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن الناس اللي فهمت الآية غلط، وقررت إنها تعمم مفهوم الآية على إن هو فهم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد فقط، قال: "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة"، بيقول إن ده

[٣٣] صحيح مسلم
[٣٤] صحيح مسلم
[٣٥] أخرجه مسلم والترمذي وأحمد

من المصالح والمفاسد ده مما أمرت به الشريعة، إيه اللي أمرت به الشريعة؟ إن المسلمين ما يقعدوش يقتلوا في بعض، وإن المسلمين ما يبقوش عندهم مثالية، وأن المسلمين ما يعتبروش إن اللي قدامهم ده بما إن هو في موضع مسئولية إن هو يكون نبي من الأنبياء، إن هم يفهموا إن فيه مساحة من مساحات الأخطاء وإن فيه مساحة من مساحات البشرية، إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بيعلمنا والعلماء وضحوا أو بينوا والتقطوا هذا المعنى من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وجعلوها معيار، يعني قال لك من أصول أهل السنة والجماعة من الأصول العامة هتجد ده في كتب السياسة الشرعية أصلًا، يعني الكلام ده حقيقة محله في كتب السياسة الشرعية وتفاصيله في كتب السياسة الشرعية، أمال هو ليه اتحط في كتب العقيدة؟ أحيانًا لما تيجي تدرس عقيدة تقول ولا نخرج على أئمتنا، ومثلًا تجد في كتب العقيدة من أصول أهل السنة والجماعة ترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة، طب إيه علاقة ده بالعقيدة؟ قال لك: لأن المسألة دي فيه ناس ضلت فيها وناس استحلت الدماء فيها وناس سفكت الدماء فيها، والناس دي بقت فرقة بقت واضحة زي الخوارج زي المعتزلة زي الرافضة وقتلوا كتير من المسلمين لذلك بقت معيار من معايير أهل السنة والجماعة هذا الباب.

طبعا يعني أنا بقول لكم إن فيه فرق إن احنا نفهم الدين ونفهم تفاصيله، وفرق إن احنا لما نيجي نسقطه على الواقع، إسقاط الدين على الواقع يا جماعة محتاج –وبالذات الواقع اللي احنا عايشين فيه ده والواقع الذي كثر فيه الاختلاط– حقيقةً محتاج مجامع فقهية، مش محتاج رأي فقيه واحد ولا عالم واحد، المسائل في واقعنا المعاصر، فيها اعتبارات كثيرة جدًا، ومش محتاجة بس نصوص قد ما هي محتاجة فهم للنصوص وفهم للواقع وحكمة في إسقاط النصوص على الواقع.

بيقول بقى شيخ الإسلام على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الناس اللي فهمت الكلام ده غلط بيقول: "تجعل المعتزلة – المعتزلة دي فرقة من الفرق التي ضلت عبر التاريخ– وعلى فكرة مش معنى كلمة ضلت عبر التاريخ مش معناها إن هم كفار، إنما معناها إن هم عندهم نقطة أو عدة نقاط خاطئة، هل هم كفار؟ لا لا لا دول فرق من فرق المسلمين، يعني دول ناس من المسلمين عملوا لنفسهم كده فريق، وبدأوا يفرقوا الناس، قال لك مين اللي معانا؟ ومين اللي مش معانا؟ وبدأوا يحطوا معايير وشروط يمتحنوا الناس على هذه المعايير والشروط، كأنه داخل إيه؟ كأنه داخل يعني إيه داخل فريقهم، وبدأ الشروط والمعايير دي بدأ يرتب عليها أحكام شرعية، طبعا ده كله مخالف لكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– من مسألة تفريق الناس على مسائل معينة غير مسائل المجملات الشرع، الشرع هو فقط الذي يُفرق عليه الناس، يعني "فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ" التغابن:٢، الفرقان هو الوحي، لكن مسألة من تفاصيل الوحي نعرف نفرق عليها الناس؟ لا لا لا ده كلام خاطئ تماما، فهم اختاروا مجموعة من القضايا وبدأوا يفرقوا الناس عليها.

فبيقول: "وتجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة؛ التوحيد اللي هو سلب الصفات، بدأوا عندهم مشكلة في سلب صفات الله –سبحانه وتعالى– وجعلوا ذلك اسم التوحيد، يا جماعة فيه نقطة مهمة جدًا معذرة إن أنا محتاج أكررها مرة واتنين وتلاتة، مسألة استعمال الألفاظ الشرعية في غير مسمياتها، لفظ الأئمة؛ مش إن فلان اسمه إمام إن هو يطلق عليه كل أحكام الأئمة المترتبة في الشرع، يعني هم اخترعوا معنى معين للتوحيد، اللي هو سلب صفات الله –سبحانه وتعالى–، كانوا بيؤمنوا إن احنا لابد أن ننفي عن الله –سبحانه وتعالى– كل ما لا يليق به واعتبروا إن الصفات مما لا يليق بالله –سبحانه وتعالى–، الصفات يعني صفة الرحمن صفة العزيز صفة القيوم صفة القدير صفة الجبار، اعتبروا إن صفة الكلام هذه صفات لا ينبغي أن تُنسب إلى الله، ليه؟ هم أرادوا يُنزهوا الله، أرادوا إن هم يعظموا الله –سبحانه وتعالى– لكن فهمهم كان ضيق في هذا، ففهموا بفهم قاصر إن الصفات دي من الأشياء التي تقدح في تنزيه الله –سبحانه وتعالى–، فاعتبروا إن سلب الصفات هو معنى التوحيد، وسموا ده التوحيد.

هل أنا لما أقول التوحيد إن احنا نوحد الله –سبحانه وتعالى– ونقول لا إله إلا الله هل معناه وصورته الذهنية إن أنا أسلب الصفات؟ لا طبعا، هم اعتبروا إن اللفظ ده لفظ التوحيد معناه كذا، فلذلك يا جماعة مهم جدًا إن احنا لما نيجي نستعمل أي لفظ شرعي إن احنا نعرف معناه فين؟ فيه ألفاظ كتير جدًا تم تغيير مدلولاتها؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد حتى الحجاب فيه ألفاظ كتير جدًا تم تشويهها وتم استعمالها في غير موضعها وبدأت الناس تنقسم عليها فرق وأحزاب وتصرفات ولو الناس رجعت تشوف النبي –عليه الصلاة والسلام– استعمل اللفظ ده فين والمعنى الشرعي للفظ ده إيه؟ واستعمالاته ازاي؟ والنبي أصلًا طبقه ازاي؟ وربنا أمر به ازاي؟ هيجدوا إن فيه كتير جدًا من مساحتهم بدأت تهدى ومساحات أفكارهم بدأت تستقر ومساحات معاملاتهم بدأت تهدى وحياتهم بقت أجمل مع كتاب الله –سبحانه وتعالى– ومع سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فبيقول إن المعتزلة جعلوا أصول دينهم خمسة؛ يعني التوحيد اللي هو سلب الصفات، العدل اللي هو تكذيبه بالقدر، المنزلة بين المنزلتين، المنزلة بين المنزلتين يعني إيه؟ عندنا الإسلام يا جماعة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال في حديث جبريل ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ فيه درجات للإسلام: الإسلام والإيمان والإحسان، ربنا –سبحانه وتعالى– قال في كتابه: "ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ" فاطر:٣٢، ربنا استعمل ألفاظ فيه لفظ اسمه مؤمن ولفظ اسمه كافر ولفظ اسمه منافق، ودول درجات، الإيمان درجات والنفاق درجات والكفر درجات والإحسان درجات والإسلام درجات، فيه واحد مرة ده اسمه واصل بن عطاء كان بيحضر درس لشيخه اللي هو الحسن البصري وبعد كده سُئل الحسن البصري سؤال عن واحد بيزني، واحد يرتكب كبيرة من الكبائر، فقال له: الراجل ده مؤمن؟ قال له: آه، مؤمن. قال له: يعني يُطلق عليه مؤمن؟ قال له: لا، هو عنده إيمان لكنه ما يطلقش عليه المؤمن، لفظ المؤمن ده بيُطلق للمدح، فهو عنده جزء من الإيمان اللي به أسلم، لكن هو لا يطلق عليه اللفظ المحمود عند الله اللي هو المؤمن، اللي هي المرتبة الثانية درجة من درجات الإسلام اسمها درجة المؤمنين، فقال له: يعني هو كافر؟ قال له: لا، هو مش كافر، فقال له: يعني هو مسلم؟ قال له: هو مسلم، يعني هو ارتكب الكبيرة وهو مسلم ومعاه قدر من الإيمان به أسلم، لكن اللفظ الإيماني اللي هي درجة الإيمان المحمودة عند الله الممدوحة عند الله اللي بها إنسان يدخل الجنة دون أن يُعذَّب هو لم يصل إلى هذه الدرجة لإنه ارتكب الكبيرة مختارًا ولم يتب منها، فواصل ما عجبوش الكلام ومشي وساب المجلس، وبعد كده اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن، ولذلك سموا المعتزلة.

فبعد كده سُئل واصل قال له طيب انت ما قولك في مرتكب الكبيرة؟ يعني مرتكب الكبيرة المعتزلة بيقولوا هو مش مؤمن وهو مش كافر، قال له يعني هو مش مؤمن ومش كافر أمال هو إيه يعني؟ يعني هو مش مسلم قال له لا مش مسلم، قال له طب هو كافر؟ قال له لا مش كافر، قال له أمال هو إيه؟ قال له في منزلة بين المنزلتين، فهم اخترعوا حاجة كده في الدين جديدة، اسمها منزلة بين المنزلتين في الإيمان.

ويقولوا بإنفاذ الوعيد، الوعيد ده إن ربنا –سبحانه وتعالى– إذا توعد عبد فإن الله –سبحانه وتعالى– برحمته –رحمته وسعت كل شيء– إن ممكن العبد ربنا –سبحانه وتعالى– يرحمه إذا كان من أهل التوحيد، هم بيقولوا بإنفاذ الوعيد وإن الوعيد لا يتخلف، أهل السنة بيقولوا إن الوعد لا يتخلف لكن الوعيد أحيانًا ربما هو واقع تحت مشيئة الله –سبحانه وتعالى–، ربما يرحم الله –سبحانه وتعالى– هذا العبد يعني ممكن عبد يعمل معصية والمعصية دي عليها وعيد شديد في الدنيا لكنه إذا مات على التوحيد ربما يغفر الله –سبحانه وتعالى– له، لكن المعتزلة بيقولوا إن الوعيد ينفذ والوعد ينفذ أيضًا.

وطبعا المسألة الخامسة التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي فيه قتال الأئمة إن هم قرروا إن هم يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإن هم يقاتلوا الأئمة، فقتال الأئمة عندهم مسألة مضطردة؛ يعني ما بيحسبوش مسألة المصالح والمفاسد في هذا.

شيخ الإسلام بيقول إن يا جماعة ده خطأ طبعا في فهم الآية، "وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعرضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت فإنه يجب الترجيح، ترجيح الراجح منهما فيما إذا ازدحمت المصالح والنفس وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يَحْصُل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إن كانت مفسدته أكثر من مصلحته".

هنا بدأ الشيخ الإسلام يا جماعة بيقول إن أحيانًا بيكون فيه مفسدة ومصلحة وإن مبنى الشريعة قايم على إقامة أعظم المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين، إقامة أعظم المصلحتين بتفويت أدنى المصلحتين وتحصيل أعلاهما، يعني لو أنا عندي تعارض مصلحة ومصلحة وأنا لازم اختار، أعمل إيه؟ فقال لي انت ممكن تفوت مصلحة دنيا لأجل تُحصل مصلحة كبرى، ولو أنا عندي تعارض مفسدتين هما مفسدتين يعني الاختيارين وحشين، بس انت لازم تختار، هتختار إيه؟ فيه واحد يقول لك لا لا أنا مش هختار وخلاص فيُعرض فطبعا ده ما انت بتتسبب في إن مفسدة كبيرة بتحصل، فهنا إذا تعارضت مفسدة قليلة ومفسدة أكبر منها، نعمل إيه؟ فمبنى الشريعة شيخ الإسلام يوضح إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتاج إلى مراعاة المصالح والمفاسد، ولذلك كان أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– مراعاة لمصالح والمفاسد في مسألة الأمر بالصبر جور الأئمة، وبمسألة مراعاة الموازنات في أثناء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان بقى مع الأئمة أو مع غيرهم.

ووضح شيخ الإسلام إن فيه فرق خالفت في ذلك زي الخوارج وزي المعتزلة والروافض. قال: "فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة فيُنظر في المعارض له" إن أحيانًا انت هتحصل مصلحة بس هيحصل لك مفسدة من وراء مصلحة، أو أحيانًا انت هتدفع مفسدة لكن دفع المفسدة ده هيؤدي إلى مفسدة أكبر، ده مش بس كده ده أنا أحيانًا ممكن أحصل مصلحة لكن وأنا بحصل مصلحة أفوت مصلحة تانية كان ممكن أحصلها أحسن، عارفين التاجر الشاطر التاجر اللي بيفكر كويس قوي اللي يقول لك أنا خسرت في الموسم تقول له خسرت ازاي يا عم؟ انت كنت داخل الموسم مثلًا وانت معاك راس مال ميت ألف وطلعت من الموسم وانت معاك راس مال مية وسبعين ألف، ما انت كده كسبان سبعين ألف، يقول لك لا لا أنا خسرت فعلا لأن أنا ممكن أطلع من الموسم ده وراس مالي متين وخمسين ألف، فأنا كان مفروض إن أنا آخد القرار الصح عشان أكسب أكتر.

فهنا شيخ الإسلام بيوضح لنا إن المصالح والمفاسد انت أحيانًا بتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويكون أمرك ده بيفوت مصلحة أكبر، أو يكون نهيك ده يترتب عليه مفسدة أكبر، أو إن يكون أمرك ده انت فعلا أمرت بحاجة حلوة جدًا لكن كان ممكن تؤمر بحاجة أعظم منها، أو نهيك ده انت فعلا نهيت عن منكر، لكن انت فوتي مفسدة أكبر كان ممكن تنهي عنها، فبيقول إن المسألة محتاجة حكمة، محتاجة موازنات، محتاجة علم.

فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل المصلحة ودفع مفسدة، في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر يعني لو واحد هيترتب على أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر مفسدة أكبر لم يكن مأمورًا به، طب إيه ده؟ يعني يا جماعة فيه حاجة اسمها الأمر الشرعي للشيء وفيه حاجة اسمها أمر شرعي لغير الشيء، يعني أحيانًا انت بتؤمر إنك تعمل طاعة لذاتها لأن دي تحقيق العبودية، وأحيانًا إنك تؤمر إنك ما تعملش طاعة مش لذات الطاعة إنما لغيرها، يعني لِما يترتب عليها.

فشيخ الإسلام بيلفت نظرنا هنا لمسألة مهمة جدًا، لإن أحيانًا انت بتسكت عن المنكر، ليه بسكت عن المنكر؟ لأن ده هيترتب عليه مفسدة أكبر، أحيانًا انت ما بتأمرش بالمعروف، طب ليه ما بأمرش بالمعروف؟ ما أنا أُمِرْت إن أنا أأمر بالمعروف، لأن انت كان فيه معروف ممكن تؤمر به أحسن، أو لأن انت هيترتب على المعروف ده تضييع مصلحة أكبر، أو هيترتب على الأمر بالمعروف ده مفسدة أعظم، فبالتالي الأمر محتاج موازنة.

قال: "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها" دي نقطة بقى يا جماعة مهمة جدًا جدًا جدًا، يعني إيه مصالح ومفاسد؟ فيه ناس متخيلة إن المصالح والمفاسد بهواها برأيها بفكرها بتصوراتها بأمنها باحترامها باحترام الناس لها، لكن الأمر والمصالح والمفاسد ده أمر معتبر شرعا، تعالوا نشوف كده سيدنا موسى وهو بيراعي المصالح والمفاسد، ولنا في أنبياء الله أسوة حسنة، "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام:٩٠، ربنا أمرنا إن احنا نقتدي بدعوة الأنبياء، وأمر النبي –صلى الله عليه وسلم– إن يقتضي بدعوة الأنبياء، وأمرنا أن نقتدي بدعوة الأنبياء وبدعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– خاصة، لأن أحيانًا بيتعارض دعوة الأنبياء مع دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فشرع من قبلنا ليس ملزم لنا، إنما شرعنا هو الذي ملزم لنا، وشرعنا ناسخ لكل الشرائع، ربنا –سبحانه وتعالى– أنزل كتاب مهيمنًا على الكتب السابقة.

فهنا لو اعتبرنا مقادير المصالح والمفاسد، هل نعتبرها بدماغنا، بأفكارنا، بتصوراتنا، برؤيتنا، بأفكارنا، بأفكار أصحابنا، بأهواء أصحابنا، بآراء أصحابنا؟ ولا بمعيار الشرع؟ هنا نقطة من أهم النقاط التي تميز بها شيخ الإسلام عن غيره من مشايخ عصره، بل من النقاط المميزة جدًا له، مسألة الاكتفاء بالوحي، مسألة معيارية الوحي، إن يا جماعة لما نيجي نقيس هنقيس بالشرع مش بنقيس بدماغنا مش بهوانا، يعني سيدنا موسى لما ذهب إلى فرعون الذي طغى، والذي قال: أنا ربكم الأعلى، والذي قال: ما علمت لكم من إلهٍ غيري، هل سيدنا موسى هنا راعى المصالح ولا ما راعهاش؟ رعاها طبعا، طب إيه ده؟ طب ما ده كان ممكن يترتب عليه إن سيدنا موسى يموت، طب ما ده كان ممكن يترتب عليه إن بني إسرائيل يحصل فيهم مشكلة، طب ما ده كان ممكن يترتب عليه حاجات كتير جدًا، أيوه، بس هي المصلحة الكبيرة إن الله –سبحانه وتعالى– يُعبد في الأرض، وإنه يُعلن إقامة دين الله –سبحانه وتعالى–، وإن دين الله يبين للناس.

طيب هو غلام الأخدود لما راح في قصة البروج، هو كده راعى المصالح والمفاسد؟ آه راعى المصالح والمفاسد، أمال النبي –عليه الصلاة والسلام– قص لنا القصة دي ليه؟ عشان احنا نمصمص شفايفنا ونعيط؟ لا، هو علمنا القصة دي في حديث في صحيح مسلم النبي –عليه الصلاة والسلام– علمنا تفسير سورة البروج ربنا أنزلها من فوق سبع سماوات عشان نعرف إيه المصالح المعتبرة شرعًا وإيه المصالح الغير معتبرة شرعًا.

فهنا شيخ الإسلام بيشير إلى معنى مهم جدًا من المعاني بعد ما تكلم عن الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اتكلم على المصالح والمفاسد والحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بيقول: "ولكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشرع فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، والا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام" هنا شيخ الإسلام يا جماعة بيقول إن علينا اتباع النص، إن واحد بيقول أعمل إيه؟ أنا مش عارف أروح فين؟ أنا ما عدتش عارف أسمع مين ولا مين؟ أنا ما عدتش عارف أروح فين؟ أنا نفسي أقرب من ربنا ومش فاهم، فهنا شيخ الإسلام بيدلنا على الحق قال: اتبعوا الوحي، إن انت عمرك ما هتتبع الوحي وتضل، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إنِّي تاركٌ فيكم مَّا إنْ تمسَّكتُم بِهِ لنْ تضِلُّوا بعدي"[٣٦] كتاب الله وسنتي، "وعلى هذا إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن يُنْهَوا عن منكر"، بمعنى: واحدة مثلًا متبرجة لكنها بتقيم العدل، واحد مثلًا إنسان صادق أمين في بابه لكنه مثلًا مدخن، طيب دلوقتي لو أنا نهيته عن المنكر في الحاجة اللي بيعملها غلط أنا هضيع عدله وأمانته وفي نفس الوقت أنا نهيته عن منكر، فهيضيع الحاجتين مع بعض، أو لو واحدة أنا أمرتها بالمعروف فعلا هتعمل المعروف ده بس أنا فقدت ميزة كبيرة جدًا لأن المنكر عندها ملتبس بالمعروف، احنا دايما عندنا يا جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبيض وأسود، هنا شيخ الإسلام بيقول: لأ، افرض ما طلعوش أبيض وأسود؟ افرض كانوا كاروهات؟ يعني افرض كان الأبيض مربع والأسود مربع وجوة المربع الأبيض كان فيه حتة سودا وجوة المربع الأسود كان

[٣٦] صحيح الترمذي

فيه حتة بيضا هنعمل إيه؟ هنأمر ولا ننهى؟ ده الموضوع محتاج نحات، الموضوع محتاج جراح يعرف يشيل النقطة السودة ويسيب النقطة البيضا، ومحتاج فقه عالي جدًا.

بيقول: "وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر" شيخ بيدل الناس على الله وعنده حاجات كتير حلوة لكنه عنده بدع، طيب نعمل إيه؟ هل ننهى الناس عن الذهاب إليه؟ طب ما فيه حاجات كثير في الدين هتضيع، طب هل نأمر الناس بأن تذهب إليه؟ طب هم هيتعلموا حاجات كتير وفيه حاجات فيها بدع، طب نعمل إيه؟ فبيقول: "إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما" مفيش، الأبيض والأسود معدوش كاروهات، ده بقوا عجينة، "بل إما إن يفعلوهما جميعا أو يتركوهما جميعا".

يعني فيه واحد بيعظم النبي –صلى الله عليه وسلم– بس طريقته في تعظيم النبي –عليه الصلاة والسلام– غلط، فأنا دلوقتي لو جيت نهيته عن هذه الطريقة هو ما عادش هيعظم النبي –عليه الصلاة والسلام–، فأنا محتاج أقول له عظم النبي –عليه الصلاة والسلام– بس عظمه بالطريقة التي أمر بها النبي –صلى الله عليه وسلم–.

واحدة بتعبد ربنا بطريقة فيها بدعة، هي لسه ما عندهاش النضج الكافي ولا الفقه الكافي ولا العلم الكافي اللي بها تفرق ما بين الحق والباطل ولا عارفة تفرق، هل أنا أبين لها؟ ولا أسكت؟ ولا أنهاها؟ طب أنا لو نهيتها هانهاها عن الطريقة الخطأ التي تعبد بها ربها –سبحانه وتعالى– بالبدعة، لكن في نفس الوقت أنا أيضًا نهيتها عن مسائل مهمة جدًا في الدين، هي كانت معتبرة إن ده الدين، فبالتالي أنا المرة دي مش بانهاها عن البدعة، ده أنا بانهاها عن الدين كله، لأن هو دينها هو ده، يعني مفيش أي حاجة في الدين في حياتها إلا ده، فبالتالي هنا اختلط الأمر والنهي. طب أنا راجل بقى عندي من العلم والفقه والحكمة إن أنا أعرف أفرق، أقول لها ده الشرع بيقول كذا، واللي انت بتعمليه ده فيه حاجات كويسة وبنشكر لك مشاعرك الطيبة، وبنشكر لك إن انت أردت وجه الله وأن انت بذلت وأن انت وأن انت، الحاجات اللي هي فعلا محمودة عليها، ثم بعد ذلك نبين لها إن الطريقة التي استعملتها كانت طريقة خاطئة وأن عليها اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، ده مسألة محتاجة فقه، ومحتاجة علم، ومحتاجة تبيين، ومحتاجة نعرف إيه الثوابت وإيه المتغيرات، إيه الصح وإيه الغلط، إيه الحلال وإيه الحلال في نفس ذات الفعل وما يترتب على هذا الفعل.

فهنا شيخ الإسلام بيوضح هذه القاعدة بيقول: "إذا كان الشخص والطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهم بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يَجُز –بيقول لا يجوز إن انت تأمرهم وتنهاهم إلا لما تعرف الأول– بل يُنْظَر فإذا كان المعروف أكثر؛ أُمِرَ به، وإذا استلزم ما هو من دونه من المنكر". كان زمان طلع أحد الدعاة الأفاضل كان بيتكلم في العبادات والأخلاق عمل سلسلة عن الصحابة، فكان الشباب بيلتزموا وبيسمعوه وبيحبوا طريقته، وفعلا قربهم من ربنا –سبحانه وتعالى–، فأحد الشيوخ طلع مرة وقام قايل يا جماعة لا تسمعوا لهذا الرجل لإنه عنده مشاكل وهو مش متبع النبي –عليه الصلاة والسلام– ومش ملتحي، والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان ملتحي وأمر باللحية فهو كده خالف كلام النبي فما تسمعلوش، فطبعا هنا فيه بعض الشباب سمع الكلام، عمل إيه؟ ما سمعوش وقعد على القهوة، يعني هو كان بدأ يسمعه وبدأ يصلي فما سمعهوش خالص، ما سمعهوش وما سمعش أي حد تاني في الدين، فالشيخ اللي أنكر إن الداعي ده مثلًا مش ملتحي، هل هو كده حقق مصلحة؟ فالشيخ هيقول: والله أنا نهيت عن منكر كان موجود.

هنا شيخ الإسلام بيقول له: لا لا، تعالى أنا عايزك تقف مع نفسك وقفة، هو دلوقتي الراجل ده اللي انت نهيته ده، انت تعرف من حاله إن هو يعرف يفرق؟ لا ما أعرفش، طب انت لما نهيته عن المنكر هو المنكر اللي انت بتظنه منكر ده بالنسبة له هو الدين كله، يعني هو لما ما سمعوش مش هيسمعك انت، ما بيسمعش حد أصلًا، فبالتالي انت لما نهيت عن منكر انت ضيعت معروف، إيه المعروف؟ إن الراجل كان بيصلي، إن الراجل كان بدأ إن هو يسمع القرآن، إن الراجل بدأ يحاول إن يصاحب صحبة صالحة.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إيه: لو إن المعروف والمنكر مختلطين ومجموعين مع بعضهم البعض لم يَجُز أن يؤمروا الناس بالمعروف وينهوا عن المنكر بل ينظر أولًا، ينظر في إيه بقى؟ إذا كان المعروف أكثر؛ أُمِر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، يعني قول له: آه روح للشيخ ده وخليك معاه واجتهد فيه حتى وانت عارف إن هو عنده جزء من المنكر، ليه؟ لإن المعروف في تعظيم الصلاة وأمر الصلاة أعظم عند الله –سبحانه وتعالى– من أمر اللحية، قال: فإن كان المعروف أكثر؛ أُمِر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر.

طيب افرض أنا لو نهيته عن منكر، هانهاه عن المنكر ده وفي نفس الوقت هانهاه عن المعروف ده، فبالتالي الراجل ده معدش هيسمع لا الشيخ ده ولا هيسمع لأي حد تاني، هنا نعمل إيه؟ شيخ الإسلام بيقول إيه: "بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله"، شوفوا يا جماعة شيخ الإسلام وهو بيفصل ويفرق، إن يا جماعة الأمر ما عدش أبيض وأسود، الأمر لما بيكون أبيض وأسود كله بيرتاح، لكن لما يكون الأمر فيه أبيض مختلط بأسود مختلط بأبيض وفتن كقطع الليل المظلم، وفيه حتة خير وحتة شر وبعد كده حتة خير كبيرة وحتة شر صغيرة وبعد كده حتة شر كبيرة أوي وحتة خير صغيرة، فانت لو أمرت بالخير وأثنيت على الخير اللي موجود انت كمان بتثبت الشر وبتقره، ولو انت نهيت عن الشر انت بتضيع الخير اللي موجود، فالموضوع محتاج موازنة ومحتاج فقه ومحتاج علم.

هنا شيخ الإسلام بيعلمنا ازاي نفكر، بيعلمنا ازاي ننظر للشرع، بيعلمنا ازاي ندعو إلى الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "بل يكون النهي حينئذ اللي هو إيه النهي حينئذ؟ اللي هو لو واحد نهى عن المنكر وكان نهيه عن المنكر ده هيستلزم تفويت طاعة أعظم منه، أنا عرفت منين الطاعة أعظم ولا المنكر أعظم؟ دي مسألة محتاجة نعرفها من ترتيب أولويات الشرع، واحنا اتكلمنا في أولويات الشرع قبل كده ودي مسألة محتاجة فقه، إن احنا نعرف إيه قبل إيه، إن الصلاة أعظم الواجبات العملية، إن التوحيد هو أعظم الأوامر الشرعية، إن الزكاة من أركان الإسلام، إن صيام رمضان من أكبر الأوامر الشرعية، إن فيه معاصي وفيه معاصي أكبر منها، في معصية اسمها معصية كبيرة وفي معصية اسمها معصية صغيرة وفي معصية اسمها اللمم، اللمم ده يعني حاجة تلم بالإنسان، المعاصي درجات والطاعات درجات، وفيه أولويات للطاعات وأولويات للمعاصي.

قال: "بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وزوال فعل الحسنات".

تخيلوا يا جماعة تخيلوا إن واحد يريد إن هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو يكون نفسه سبب في الصد عن سبيل الله، تخيلوا إن واحد يريد إن هو يدعو إلى الله –سبحانه وتعالى– وهو نفسه يكون سبب في زوال طاعة الله –سبحانه وتعالى– وطاعة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

قال: "وإن كان المنكر أغلب، نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف"، مثلًا واحدة بترقص، واحدة مثلًا بتزني، تقول لها مثلًا انت مصاحبة فلانة اللي سلوكها وحش ده ليه؟ تقول لك والله أصل هي بتيجي كل سنة تتصدق صدقة، وفي رمضان بتديني فلوس الفقرا، إيه ده! يعني انتم بتهزروا! لا يا جماعة هنا فيه منكر اسمه منكر الزنا، فيه منكر اسمه منكر تضييع حرمات الله –سبحانه وتعالى–، وفيه طاعة موجودة اللي هي طاعة الصدقة، فيه طاعة موجودة اسمها طاعة إن هي قلبها بيرق في مواسم الطاعة، فيه طاعات موجودة، هنا بنوزن هو إيه المنكر الأعظم وإيه الطاعة الموجودة؟ وأيهما أكبر؟ لو الطاعة الموجودة أكبر خلاص اؤمري بالطاعة، طيب لو المنكر أكبر؟

هنا بيقول: "وإن كان المنكر أغلب، نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف –حتى لو استلزم ده إن فيه بعض المعروف هيروح، ويكون الأمر بذلك المعروف، المستلزم للمنكر الزائد عليه، أمرا بمنكر، وسعيا في معصية الله ورسوله"، شوفوا يا جماعة مسألة الموازنة، الموازنة

بين المعروف والمنكر، لو واحد بقى قال لك والله أصل الست دي بتعمل صدقة كل سنة في رمضان، فاحنا بالتالي ما ينفعش ننهاها عن المنكر، لأن لو احنا نهيناها على ده ما عدتش هطلع الصدقة.

فبيقول بقى لو الراجل جه تكلم في إن الصدقة دي أهم من المنكر العظيم الكبير ده اللي هو الزنا، أو اللي هو تضييع حرمات الله –سبحانه وتعالى–، فيقول: فيكون الآمر بهذه الصدقة –مع إنه بيأمر بصدقة، مع إنه بيأمر بالخير، مع إنه بيثني على خير، مع إنه بيقر خير، لكنه في هذا "ويكون الأمر بذلك المعروف، المستلزم للمنكر الزائد عليه، أمرا بمنكر، وسعيا في معصية الله ورسوله"، ليه؟ لإنه ترك الأمر الأكبر.

يبقى يا جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مش بس أُمِرْنَا فيه إن احنا نفهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ده احنا كمان أُمِرْنَا فيه إن احنا نعرف إيه الطاعة الأكبر من الطاعة، وإيه المعصية الأكبر من المعصية، وإيه الأهم من إيه.

قال: "وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان؛ لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما"، طب افرض هما الاتنين زي بعض؟ قال: لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما "فتارةً يصلح الأمر وتارةً يصلح النهي وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين وذلك في الأمور المعينة الواقعة"، فهنا شيخ الإسلام بيتكلم يا جماعة إن المسألة محتاجة فقه ومحتاجة موازنة.

طبعا الوقت مر سريعا لكن أقف عند هذا الحد، ونتكلم مرة الجاية إن شاء الله رب العالمين على مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث النوع، هو هنا بيتكلم من حيث عين المسائل، يعني بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه حاجة اسمها:

– النوع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللي هي القواعد العامة.

– وفيه حاجة اسمها عين المسائل التي اختلط فيها الحق بالباطل والمعروف بالمنكر والحسنات والسيئات، إن فيه واحد بيعمل حسنة لكنها مشوبة بسيئة، أو واحدة بتعمل سيئة لكنها مشوبة بحسنة، يعني واحدة مثلًا بتيجي في المولد بتعظم النبي –عليه الصلاة والسلام– بتحب النبي –عليه الصلاة والسلام– لكنها بتعبر عن حبها للنبي –عليه الصلاة والسلام– بطريقة خاطئة، فهنا هي محمودة من ناحية أنها بتعظم النبي –عليه الصلاة والسلام– وبتحب النبي –عليه الصلاة والسلام– وتشتاق للنبي –عليه الصلاة والسلام– وتريد أن تكون مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، من حيث المشاعر؛ هي محمودة، لكن من حيث المعاملات؛ محتاجة أن نُصحح لها، طيب لو احنا نهينا عن ده هنضيع الاتنين ولو احنا أمرنا بده هنقر الاتنين، فهنا بقى هو ده موضع الموازنات في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مش كل حد يتقال له كل حاجة، ومش كل كلام يتقال لكل حد، القواعد محتاجة إنها تتوزن على ميزان الشرع، والخير محتاج إنه يترتب على أولويات الشرع، والشر محتاج إنه يترتب على أولويات الشرع، وإذا اختلط الخير بالشر، محتاج نعرف إيه قبل إيه؟ وإيه اللي يُؤمر به؟ وإيه اللي يُنهى عنه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرا والسلام عليكم ورحمة الله.

ميزان الوحي وميزان القلب في الدعوة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قوموا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[٣٧]، ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ"[٣٨]
نستحضر نية صالحة في هذا المجلس، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبلنا الله –سبحانه وتعالى–.

لا زلنا مع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الرسالة الجامعة النافعة جزء من كتاب الاستقامة، وتوقفنا في المرة عند مسألة ميزان الشريعة أو ميزان الحق والباطل أو ميزان المعروف والمنكر.
وشيخ الإسلام بعد ما تكلم على اعتبارات: اعتبار الرفق واعتبار الموازنة بين المصالح والمفاسد، وأن لابد لكل آمر بالمعروف وناهي عن المنكر إن هو يراعي هذه الاعتبارات، يراعي أن يكون رفيقًا، ويراعي درجات الإنكار والموازنات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وتكلم على مسألة إذا تعارض المصلحة والمفسدة وإذا كان هناك مفسدة ومفسدة أكبر، ومصلحة ومصلحة أكبر، وازاي إن مبنى الشريعة قائم على إقامة أعظم المصلحتين ودفع أعظم المفسدتين فتفوت المصلحة الأدنى لتحصيل المصلحة الأعلى، وتحصل المفسدة الأدنى لتجنب المفسدة الأكبر.
فتكلم على نقطة مهمة في الموازنات الدعوية أو موازنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد ذلك بدأ يشرح مسألة اختلاف الناس في فهم الآية "لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" وازاي إن هذه الآية فُهِمت خطأ، وإن الآية ليس معناها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك ليس معناها إن الناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر باليد أو بالقوة فقط دون أن تراعي مراتب الإنكار، ومراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكر حديث أبي ثعلبة الخشني في مسألة إن الإنسان لابد إن هو ينضبط بضوابط الشرع حتى في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.
بعد ذلك بدأ شيخ الإسلام يتكلم عن باقي الاعتبارات الشرعية المهمة قال: "وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت" هنا نقطة مهمة شيخ الإسلام بيشير إليها؛ نقطة إن أحياناً مزاحمة يعني مصلحة ومصلحة تانية، مفسدة ومفسدة تانية، مصلحة ومفسدة، مصلحة كبيرة ومفسدة أقل أو مفسدة كبيرة ومصلحة أقل أو مصلحتين ولكن لا يمكن تحصيلهم مع بعضهم البعض، فيه حاجة بتزاحم حاجة أو مفسدتين ولا يمكن دفعهم مع بعضهم البعض، لابد من ارتكاب أحد مفاسد، هنعمل إيه؟ قال: "فإنه يجب الترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا

[٣٧] حسنه الألباني
[٣٨] صحيح مسلم

لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر؛ لم يكن مأمورًا به بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار المقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة".

توقفنا في المرة السابقة عند هذا؛ إن مسألة إن المصالح والمفاسد مش اعتبارات الأشخاص ولا اعتبارات مصالح العباد ولا اعتبارات إن كل واحد له مزاج في اتجاه معين، ولا مصلحة فلان ولا مركز علان ولا منصب فلان، إنما المصالح والمفاسد هي المصالح والمفاسد المعتبرة شرعًا.

فبدأ شيخ الإسلام يتكلم في الموازنات إن لابد إن احنا نعظم ما عظم الله، وإن احنا نحقر ما حقر الله.

هناك أشياء خلقها الله –سبحانه وتعالى– وقبحها، وهناك أشياء خلقها الله –سبحانه وتعالى– وعظمها، هناك أشياء أمر الله –سبحانه وتعالى– بها، وهناك أشياء نهى الله –سبحانه وتعالى– عنها، فيبقى معيار المعروف والمنكر هنا معيار الشرع ليس معيار الهوى ولا معيار المصالح الشخصية.

فيقول إن كلمة المصلحة والمفسدة وكلمة الحسنة والسيئة مش كلمة مطلقة، واحنا اتكلمنا قبل كده إن فيه بعض الناس يرى نفسه مُصلح كما قال –سبحانه وتعالى– في سورة البقرة: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ" البقرة١١:١٢، فهنا ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر إن معيار الصلاح والفساد هو معيار الشرع.

وهنا شيخ الإسلام بيؤكد على هذا، إن لابد إن احنا نفهم المصلحة المفسدة باعتبار الشرع قال: "لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر –يعني الحاجة اللي شبه حاجة والحاجة اللي نظير حاجة– وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام، وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما" هنا نقطة شيخ الإسلام بدأ يتكلم عنها، وده التقاط دقيق جدًا من شيخ الإسلام، نقطة إن المعروف والمنكر لا يمكن التفريق بينهما، عارفين لما مثلًا فيه حاجة بتختلط بحاجة فبقت خلاص، يعني فيه فرق إن احنا كنا بنتكلم المرة اللي فاتت عن الأبيض والأسود والأبيض اللي فيه أسود والأسود اللي فيه أبيض والاتنين لما يكونوا جنب بعض، ده المرة دي الأبيض والأسود بقوا رصاصي يعني اختلطوا ببعض اختلاط شديد، يعني بقى فيه درجات فهنا بيقول: "لا يمكن التفريق بينهما بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يأمروا بالمعروف ولا ينهوا عن منكر بل يُنظر" هنا شيخ الإسلام بيقول إن لو احنا عندنا معروف ومنكر الاتنين ممتزجين ببعض لا يمكن التفريق بينهما، لابد إن احنا نفرق "فإن كان المعروف أكثر أُمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم يُنه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله، وزوال فعل الحسنات. وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف والمستلزم المنكر الزائد عليه أمر بمنكر، وسعيًا في معصية الله ورسوله".

اتكلمنا وشرحنا الكلام ده المرة السابقة وقلنا إن ده من حيث التأصيل على عين المسائل، يعني أحيانًا بيبقى فيه مسألة فيها معروف ومنكر، أحيانًا بيبقى فيه طائفة فيه مجموعة من الناس فيه شيخ معين فيه خير وفيه شر، أحيانًا فيه حاجة معينة الناس بتعملها فيها خير وشر، فهل يا ترى ننهى عنها؟ هل يا ترى نؤمر بها؟ لو احنا أمرنا بها احنا بنقر هذا المعروف وهذا الشيء، لكن كذلك احنا بنقر المنكر لإن احنا بنأمر بحاجة مش صافية صفاء الوحي، ولو احنا نهينا عنها احنا بننهى عن منكر صحيح لكن احنا كذلك بننهى عن معروف وامتزج بها، فلإن المنكر اللي فيها ليس منكر صافي، والمعروف الذي فيها ليس معروف صافي، فهنا شيخ الإسلام بيقول لابد الإنسان إنه يتعلم وإنه يعرف قدر المعروف اللي فيها إيه والمنكر اللي فيها إيه، وإيه مقدار المصالح التي ستترتب على الأمر بهذا المعروف الممتزج بالمنكر، وإيه مقدار المفاسد التي ستترتب على إقرار هذا المنكر مع هذا المعروف، وإيه مقدار المصالح التي ستترتب على إنكار المنكر الممتزج بهذا المعروف، وإيه

مقدار المفاسد التي تترتب على النهي عن هذا المنكر المقرون بهذا المعروف، وبالتالي لما ننهى عن المنكر المقرون بالمعروف إن المنكر هيروح اللي احنا نهينا عنه وكذلك المعروف الممتزج به هيروح، فإيه مقدار المفاسد التي ستترتب على ضياع هذا المعروف؟ ونعمل موازنة؛ الموازنة ما بين إيه المصلحة الأكبر وإيه المفسدة الأكبر وعلى ميزان الشرع.

فبيقول: "وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان؛ لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما، فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المنكر والمعروف متلازمين، وذلك في الأمور المُعينة الواقعة" يبقى هو بيتكلم على عين المسألة بيتكلم على بعض المسائل بعينها.

لكن عمومًا لما نيجي نأصل من حيث التأصيل العام، من حيث إن احنا نقسم الأشياء أنواع، فبنقول يا جماعة يؤمر بكل معروف وينهى عن كل منكر، يعني على مستوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لكن لو حصل تلازم نعمل إيه؟ امبارح كان أحد الأفاضل بيسأل سؤال بيقول إن إحدى النساء اعتزلت زوجها واعتزلت أبنائها وقررت إنها تعكف على القرآن علمًا ومدارسةً وتحفيظًا، وضيعت حق زوجها، فبيقول لما استعان بأحد الأفاضل من الدعاة والمشايخ إن هو يُصلح بينه وبين زوجته؛ هذا الزوج اللي فجأة زوجته اعتزلته ومنعته حقه، فالشيخ بيقول: لما ذهبت للصلح وجدت المرأة عنيدة؛ هي بالنسبة لها شايفة إن ده الدين وشايفة إن هي كده بتضحي لأجل إنها تقيم أمر الله –سبحانه وتعالى-. طبعًا هنا هي عايزة تتعلم دين ربنا، وعايزة تحفظ قرآن، لكن هي مرتكبة لمفسدة كبيرة إنها بتضيع حق الزوج وبتضيع مسئولية شرعية تبيت تلعنها الملائكة حتى تصبح، هي كثيرة الصيام وكثيرة القيام وهذا يحمد لها ده معروف هي بتعمله، لكن في نفس الوقت هي مرتكبة لمنكر عظيم إن هي زوجها يبيت غضبان عليها تبيت تلعنها الملائكة بتحريم حقه.

إذا كان المرأة اللي كانت تحسن في الصيام والقيام وتؤذي جيرانها أو منعت جيرانها الحق فالنبي –صلى الله عليه وسلم- قال هي في النار، فهنا امتزج معروف بمنكر، يا ترى هل ننهاها عن إن هي تعكف على القرآن؟ لا، لا يُنهى عن ذلك، لكن إيه اللي ينبغي إنها تُنهى عنه؟ ينبغي إنها تُنهى عن تضييع حق الزوج، ينبغي إنها تُنهى عن تضييع مسئوليتها، ينبغي إنها تُنهى عن إنها تضيع الحقوق الشرعية التي أمرها الله –سبحانه وتعالى- بها، وده موجود في كتير، إن ممكن تجد واحدة مضيعة لحق ربنا –سبحانه وتعالى- في الحجاب ولكنها متميزة في الطاعة فهي عندها معروف وعندها منكر.

هنا من حيث النوع اللي بنتكلم فيه بقى التأصيل العام قال: "أما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقًا، وينهى عن المنكر مطلقًا" يعني كل معروف يؤمر به وكل منكر ينهى عنه.

واحنا اتكلمنا في تعريف المعروف إن المعروف؛ هو المعروف شرعًا. والمنكر؛ هو المنكر شرعًا "وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات أكبر منه أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن نهي عن منكر حصول ما هو أنكر منه أو فوات معروف أرجح منه".

هنا شيخ الإسلام بيتكلم في قاعدة المصالح والمفاسد والموازنات ومسألة الترجيح، ومسألة إذا اختلط المعروف بالمنكر، وإذا تلازم المعروف والمنكر، وإذا اختلط عند الناس مفهوم المعروف والمنكر حتى إن هو ممكن تجد طائفة أو مجموعة من الناس فيه معروف ومنكر، أو تجد عبادة معينة أو مظهر من المظاهر المعينة من ممارسات الحياة للناس فيها معروف ومنكر.

طب يا ترى يُنكر المنكر وبالتالي هيضيع المعروف لأن هم الاتنين متلازمين؟ ولا يؤمر بهذا المعروف المختلط بالمنكر فبالتالي يُقَر المنكر ويستشري المنكر؟ طبعًا الأفضل والأحسن هو تبيين الحق هو معرفة الحق هو إرساء قواعد الشرع وتبيين للناس إيه هو المعروف وإيه هو المنكر، فيؤمر بكل معروف وينهى عن كل منكر.

قال: "وإذا اشتبه الأمر استثبت المؤمن حتى يتبين له الحق" افرض الأمر اشتبه، مش عارفين نعمل إيه، فهنا شيخ الإسلام بيقول: اسكت، ما تتكلمش ما تتسرعش، ما تتسرعيش إنك أنتِ تنكري، وما تتسرعيش إنك أنتِ تفرحي إن فيه حاجة جميلة بتحصل وهي ملتبسة بمنكرات شديدة، وده موجود أحياناً كثيرة.

قال: "فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية"، هنا بدأ شيخ الإسلام يتكلم عن الاعتبار الثالث من اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد اعتبار الرفق واعتبار الموازنة بين المصالح والمفاسد، هيتكلم على اعتبار العلم واعتبار النية قال: "وإذا تركها كان عاصيًا فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نُهي عنه من الأمر معصية وهذا باب واسع ولا حول ولا قوة إلا بالله".

ومن هذا الباب بدأ يمهد لمسألة العلم والنية كشروط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه قبل ما يتكلم فيها بيختم مسألة المصالح والمفاسد، والموازنات، والترجيح بين المصلحة والمفسدة بمعنى، إيه هو المعنى ده؟ بيقول: "من هذه المصالح والمفاسد إقرار النبي –صلى الله عليه وسلم– هنا يعني خليها لفظ ترك– ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– لعبد الله بن أُبي، وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان" نسخة الاستقامة للشيخ محمد رشاد فيها ترك بدل إقرار.

هنا بيقول: من باب الموازنة بين المصالح والمفاسد فِعل النبي –صلى الله عليه وسلم–، إيه فِعل النبي –عليه الصلاة والسلام– في المصالح والمفاسد؟ قال فِعل النبي –صلى الله عليه وسلم– في المصالح والمفاسد في الحادثة التي حدثت لما تقاتل الحيان بين الأوس والخزرج، عارفين القصة لما كانوا في غزوة المريسيع، وكسع رجل من الأنصار رجل من المهاجرين فكان غلام لعمر بن الخطاب ضرب واحد تاني فالتاني قال له أنت بتضربني فقال له يا للمهاجرين، فالتاني قال له ياللأنصار، فبدأ كل واحد ينادي أصحابه وكل واحد يستنصر بأصحابه على الباقين، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة". قال لهم ده ربنا –سبحانه وتعالى– وحدكم على الإسلام، ازاي ترجعوا تتنادوا بالنعرات مرة أخرى، وتتعصبوا للنعرات مرة أخرى؟ وتقفوا أمام بعضكم البعض بالسيوف على نعرات مرة أخرى، قال: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة".

قام بقى الأول عبد الله بن أُبي بن سلول رأس النفاق قال: "يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ –يعني هو عايز يسخر من النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهو معتبر نفسه هو الأعز والنبي –صلى الله عليه وسلم– أو الصحابة جم ضيوف عندهم وإن هم يقدروا ينتقموا منهم وطبعا– وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" المنافقون:٨. فهنا بيقول لإن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يقصد نفسه هو الأعز يعني، فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".

هنا النبي –صلى الله عليه وسلم– أشار إلى معنى الموازنة، قال له أنا مش هينفع أقتل عبد الله بن أُبي بن سلول فطبعًا هو مش هيقتله ليه؟ طب ما هو الراجل بيشتم النبي –عليه الصلاة والسلام–، وبيقدح في القرآن، وبيسعي في إن هو يخرب ديار المسلمين، وبيسعى في إن المسلمين يقتتلوا مع بعضهم، وبيثير الفتنة، ده واحد خطر على المجتمع ومع ذلك وهو بيُضمر الكفر والنبي –عليه الصلاة والسلام– يعلم أنه يُضمر الكفر وإن الصحابة كلهم عارفين إنه يُضمر الكفر، لكنه أمام الناس شكله مسلم، فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. قال له الناس مش هتفهم، المجتمع الخارجي هيقولوا إن الراجل ده بيقتل راجل من المسلمين لأن عبد الله بن أُبي بن سلول مسلم من المسلمين يشهر إسلامه ويعلن أنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فبالتالي هو صحيح من جواه منافق وبيقتل أو من جواه بيضمر الكفر، لكنه أمام الجميع هو مسلم، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– هنا اعتبر الموازنة فقال: " لا لا يتحدث

الناس أن محمدًا يقتل أصحابه" وقال: "لو قتلته لاحمرت له أنوف". قال له فيه ناس مش هتفهم، ممكن يثور غضب أصحابه له ويعتبروا إن ده اعتداء عليهم، هم مش فاهمين إن المسألة مسألة شرعية.

فهنا شيخ الإسلام التقت هذا الالتقاط –الحديث طبعًا في الصحيح في البخاري–، قال شيخ الإسلام: "ومن هذا الباب ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– لعبد الله بن أبي بن سلول وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من الأعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك" اللي هو إيه المعروف أكبر من ذلك؟ اللي هو اجتماع الناس على الطاعة، يعني بيقول لو كان النبي –عليه الصلاة والسلام– نفذ كلام عمر كان الناس هتتفرق، إذا كان هم كانوا لسه في البداية وتفرقوا على أهون من ذلك، فتخيل لو كان النبي –عليه الصلاة والسلام– قتل الكبير بتاعهم كان هيحصل إيه؟ كانوا يتفرقوا أكثر من ذلك وكان أعوانه مش هيفهموا الموضوع، وكانوا هم نفسهم هيثوروا ويعتبروا نفسهم إن هم كده ضحايا والحقيقة إن المسألة مسألة شرعية، فهنا ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– عقاب عبد الله بن أبي بن سلول على كلمته لإن العقاب ده كان هيتسبب في منكر إن الناس تتفرق مرة أخرى بعد أن جمعها الله –سبحانه وتعالى– على كلمة التوحيد.

فقال: "فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك بغضب قومه وحميتهم وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدًا يقتل أصحابه". قال إن ده كان هيعود على الدعوة بالشر والسوء لذلك فالنبي –صلى الله عليه وسلم– ترك عقاب عبد الله بن أبي بن سلول من باب الموازنة، لأنه سيترتب عليه منكر أعظم منه. طبعا شيخ الإسلام ده من الحاجات اللي التقطها في الحديث واستنبطها ليبين إن مسألة الموازنات مسألة مهمة جدًا في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وإن الإنسان لابد إنه يعرف مآل كلامه هيؤدي إلى فين؟

قال: "ولهذا لما خطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه"

وبدأ شيخ الإسلام ابن تيمية بيستدل باستدلال تاني في مسألة الموازنات من فعل النبي –صلى الله عليه وسلم–، إيه الاستدلال التاني؟ في قصة الإفك لما الناس خاضت في عرض أم المؤمنين عائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– وبنت أبي بكر الصديق، وتكلموا على عرض النبي –صلى الله عليه وسلم– وتكلموا على عرض الصديق، هنا الصحابة اختلفوا فالنبي –عليه الصلاة والسلام– وقف على المنبر وقال: "من يعذرني في رجل آذاني في أهل بيتي" قال لهم مين من الناس ينصرني ويعذرني في رجل آذاني في أهل بيتي، الناس اللي بتشتم في وبتتكلم علي من ورايا، هل أنتم عندكم استعداد –النبي –عليه الصلاة والسلام– وقف على المنبر بيقول لهم– هل أنتم عندكم استعداد تنصروني وتدافعوا عني والناس اللي بتشتم في عرضي في الخفاء، فقام سعد بن معاذ وقال: "إن كان منا يا رسول الله قمنا فضربنا عنقه وإن كان من إخواننا فقمنا فضربنا عنقه"، فقام سعد بن عبادة فقال: "والله لا تقدر على ذلك"، فقام سعد بن معاذ فقال: "والله إنك منافق تجادل عن المنافقين"، وتساور الحيان إن دول كانوا من الأوس ودول كانوا من الخزرج وبدأ يحصل إثارة للحمية مرة أخرى، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– عارفين عمل إيه؟ فنزل النبي –صلى الله عليه وسلم– من على المنبر وجعل يسكنهم ويخفضهم، النبي –عليه الصلاة والسلام– نزل على المنبر وبدأ يهدئ من هؤلاء لأن هم بدأوا يضربوا في بعض بالجريد.

شيخ الإسلام التقط هنا التقاط آخر، بيقول: "ولهذا لما خاطب الناس في قصة الإفك بما خاطبهم به واعتذر منه، وقال له سعد بن معاذ قوله الذي أحسن فيه، حمي له سعد بن عُبادة مع حسن إيمانه" قال إن سعد بن عُبادة، –الراجل اللي كان على فكرة بيتكلم في قصة أمنا عائشة في قصة الإفك ده كان برضه هو نفس الرجل هو هو نفس الرجل عبد الله بن أبي بن سلول ذلك رأس المنافقين، لكن سعد بن عُبادة ده من كبار الصحابة، لكنه احتملته الحمية ما قدرش يصبر، لإن كان عندهم الحمية عالية جدًا، وكانوا لسه حديث عهد بالدين كانوا لسه الدين بالنسبة لهم ما اختلطش بلحمهم وعظمهم بالقدر الكافي اللي يقدروا يتخلصوا من كل الارتباطات الأخرى، فهنا سعد بن عُبادة وقف قدام سعد بن معاذ وقال له أنت ما تقدرش تعمل له حاجة وما تقدرش تقتله وإياك تقول الكلام ده، طبعًا هو أصلًا سعد بن معاذ لما قال ده قال

ده لأنه يدافع عن عِرض النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكن التاني احتملته الحمية حتى إن أم المؤمنين عائشة كانت تقول: وكان سعد بن عبادة رجلًا صالحًا، بتقول هو كان رجل صالح لكن احتملته الحمية ما عرفش يسكت، فهنا ده المقصود اللي شيخ الإسلام بيستدل به؛ مسألة إن لو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ضرب عنق عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين كان هيترتب عليه مسألة مهمة، وده يا جماعة نقطة مهمة جدًا في فقه الدعوة وفقه التعامل مع من يؤذي الدعوة، يعني يا جماعة عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين، إنما المنافقين دول يا جماعة مسلمين، احنا دايمًا عندنا تصور كده المنافقين دول عندهم قرون، الحقيقة مش كده، النفاق ده درجات، والنفاق فيه من أول النفاق اللي هو الرياء اللي هو أخفى من دبيب النمل إلى أعلى درجات النفاق اللي هو إضمار الكفر وإظهار الإسلام. فالمنافقين دول مسلمين، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ما تعاملش معهم تعامل إن هو يستعديهم، النبي -صلى الله عليه وسلم- كان بيعاملهم معاملة المدعوين كان بيدعوهم إلى الله ويزجرهم ويعظهم ويعلمهم ويبين لهم لعلهم يرجعون.

يعني إذا كان الكافر يُخاطب بالدعوة، فالمنافق أيضاً يخاطب بالدعوة لعله ينزجر، "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا" النساء:٦٣، إن دول محتاجين موعظة، محتاجين قول بليغ، محتاجين إنك أنت لا تكافئ الإيذاء بالإيذاء، أعرض عنهم يعني أعرض عن مجازاته الإساءة بالإساءة، إنما جازي الإساءة بالإحسان، يعني ادفع الإساءة بالإحسان، فهنا ده من الفقه العالي للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

بدأ شيخ الإسلام يتكلم على مسألة إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة مهمة لكنها فرع الأصل. عارفين إيه الأصل ده؟ يقول: "وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان المعروف وبغضه للمنكر وإرادته لهذا وكراهته لهذا، موافقة لحب الله وبغضه وإرادته وكراهته الشرعيين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، وقد قال الله: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ".

هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيتكلم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيقول إن هو قدر الاستطاعة، لكن أصلًا فكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي منبثقة من فكرة حب المعروف، وحب المعروف فيه ناس بتحب المعروف بهواها، وفيه ناس بتحب المعروف بالشرع.

فيه حاجة اسمها إن ربنا -سبحانه وتعالى- يحب أشياء: الله يحب الإيمان، الله يحب القرآن، الله يحب الصلاة، الله يحب الذكر، الله يحب أن يطاع، الله يحب النبي -صلى الله عليه وسلم-، الله يحب أن يُصلى له وأن يُسجد له، الله يحب الصيام، الله يحب المحسنين، الله يحب المتقين، فيه أفعال ربنا -سبحانه وتعالى- بيحبها، والإنسان اللي بيتعرض لحب الله ربنا -سبحانه وتعالى- بيحبه.

وكذلك ربنا -سبحانه وتعالى- بيكره: لا يرضى لعباده الكفر، الله يكره الكفر، الله يكره الفسوق، يكره العصيان، الله لا يحب هذه الأشياء ويكره هذه الأشياء.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذه العبادة هي فرع لأصل. إيه الأصل؟ الأصل إن واحد بيحب المعروف ويكره المنكر طب ازاي يحب المعروف؟ إن هو بيحب ربنا فبيحب اللي بيحبه ربنا، طب ازاي بيكره المنكر؟ إن هو بيكره معصية الله -سبحانه وتعالى-، بيكره أن يُكفر بالله -سبحانه وتعالى-، وبيكره الحاجات اللي ربنا قال إن هو بيكرهها -سبحانه وتعالى- وإنه لا يرضاها له.

فهنا الإنسان عليه أن يكون عنده ميزان في المعروف والمنكر. إيه الميزان ده؟ شيخ الإسلام بيقول: الميزان ده ميزان حب، طب الحب ده نابع من إيه؟ نابع من حب الله ورسوله. الحب ده نابع من إيه؟ العبودية كمال الحب مع كمال الذل. يعني فيه ناس متخيلة إن العبودية تكاليف فقط، كان من الناس من اعترض باعتراض شديد على مسألة تسمية الأوامر الشرعية تكاليف، قال لأن كلمة تكليف دي مسألة فيها نوع من أنواع المشقة، إنما هي عبادة فكان بيقول إن اللفظ الشرعي عمومًا مسماش الأوامر والنواهي والحلال والحرام تكاليف، لإن العرب بيستعملوا

كلمة تكليف مع إن هو لا يكلف، ما هو في اللفظ الشرعي ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"، هو تكلم على إن مسألة التكليف على قدر الطاقة حاجة، ومسألة نسمي الأوامر الشرعية تكاليف حاجة تانية.

الشاهد –بغض النظر عن المصطلح– إنما نقطة إن العبودية كمال المحبة، الإنسان يحب ربنا، إن احنا نحب ربنا، إن احنا نحب كلام ربنا، إن احنا نحب إن احنا نطيع ربنا، إن احنا نحب النبي –صلى الله عليه وسلم–، نحبه بقلوبنا، نحبه يعني نحب نذكره ونحب نتكلم عنه، ونحب نسمع عنه، ونحب نسمع كلامه ونحب إن احنا نتقرب إلى الله –سبحانه وتعالى–، عارفين القلب لما يتحرك، القلب لما يتقلقل في الحب، القلب لما يبقى قاعد متشوق إن هو بيحب، حد بيحب حاجة، حد بيحب حد.

فهنا نقطة المعروف والمنكر الموضوع مش موضوع أوامر وقواطع ونواهي، الموضوع محبة، إن واحد بيحب المعروف، بيحبه وبيحب ينشره، وبيحبه ويحب يتكلم عنه، واحد بيكره المنكر، بيكرهه وبيكره إن هو يبقى موجود، وبيكره إن هو يكون في الحياة. ليه؟ لإن هو يغضب الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان".

بيقول إن الإيمان معناه الحب مع الخضوع، إن الحب لوحده مش كفاية والخضوع لوحده مش كفاية، يعني لو واحد خضع لأمر الله ونفذ أوامر الله وانطلق يعمل بأمر الله –سبحانه وتعالى– لكن لا يحب الله هذا لا يكون مؤمنا محمودًا عند الله –سبحانه وتعالى–. والإنسان إذا قال أنا بحب مجرد الحب ده شوية مشاعر لكنه لا ينفذ أمر الله، ولا ينطلق في طاعة الله –سبحانه وتعالى–، ولا يقيم أمر الله –سبحانه وتعالى– هنا أيضاً لا يحقق الإيمان المحمود عند الله –سبحانه وتعالى–.

إنما الإيمان هو كمال المحبة مع كمال الذل، كمال المحبة مع كمال الانقياد والخضوع لأمر الله –سبحانه وتعالى–.

ودي نقطة مهمة يا جماعة إن أحيانًا تجد ناس بتتكلم دايمًا عن حب القرآن، وعن العلاقة بالقرآن، لكن يا جماعة المحمود عند الله هو إقامة القرآن، إن احنا ننفذ القرآن، "إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ" فاطر:٢٩.

هؤلاء الذين يتلون كتاب الله؛ يعني إيه يتلون كتاب الله؟ يعني يتتبعون الآيات، في أحد أوجه التفسير يتلون يعني يقيموا الحروف، يعني يحفظ الآية ويتلوها اللي هو التلاوة المعروفة، وفي بعض التفاسير –وده رجحه غير واحد من أهل العلم– إن يتلون يعني يتتبعون يعني واحد بينفذ الآيات يعني واحد بيقيم الآيات مش بس إنه يحفظ الآيات ويقولها للناس، مش بس إن هو بيسمع الآيات، مش بس إن هو بيقيم الحروف، إنما هو يقيمه يعني بيشوف الآية معناها إيه ويعملها، وهذا فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه كان قرآنًا يمشي على الأرض.

قال شيخ الإسلام: "فأما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته –يعني كراهية القلب وإرادة القلب أو حب القلب وإرادة القلب– فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان"

بيقول إن كل ما الإيمان بينقص؛ كل ما الحب بينقص، وكل ما الإرادة في أمر الله –سبحانه وتعالى– بتنقص، وكل ما الإرادة في الطاعة بتنقص. وكل ما الإنسان إيمانه بيزداد؛ كل ما إرادته بتكون أكثر مُضيًا وأكثر قوة، وكل ما يكون حبه للمعروف بيزداد، وكرهه للمنكر بيزداد.

قال: "وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته".

هنا بدأ شيخ الإسلام بيتكلم على مسألة إن الإيمان فيه جزء منه في القلب وفيه جزء منه في فعل البدن. وبيقول إن الإنسان إذا استكمل محبة القلب وإذا استكمل الإرادة الجازمة التي تستلزم الفعل، لو جه الإنسان بعد كده يعمل عمل والعمل ده ما كملش مات قبل ما يكمل العمل، العمل ده ما كملش لإن الإنسان ضعف إنه يكمل هذا العمل مرض، لكن حبه للعمل وإرادته إن العمل ده ينتهي وإنه ينفذ أمر ربنا، فبيقول إن ثواب العمل ده كامل تام كما أنه نفذه.

واحنا اتكلمنا في بيان الحسنات والسيئات في هذا، وفي شرح الأربعين النووية في "إنما الأعمال بالنيات" في مسألة الإرادة الجازمة، وشيخ الإسلام فصل فيها تفصيل كبير في مسألة إن العمل –أي عمل– عشان يتعمل لازم يكون العمل ده مبني على حاجتين: إن واحد جوه قلبه نية للعمل ده، وبعد كده هو عمل بقى العمل ده، بقى فيه فعل للعمل ده. فبيقول: إن إذا وجدت النية وكان فيه قدرة على أداء العمل رغب وجود العمل. طيب لو العمل مش موجود؛ يعني واحد قرر إن هو يصلي، صلى والا ماصلاش؟ يقولوا: لأ ما صلاش. كان عايز يصلي؟ لأ. يقول لك هو ما دام ما صلاش يبقى ما كانش عايز يصلي، يقول: لأ، كان عايز يصلي بس ما قدرش. فيقولوا إذا كان عايز يصلي ويقدر يصلي يبقى لازم يكون إيه؟ لازم يكون صلى. لو ما صلاش يبقى هو يا إما ما كانش عايز يا إما كان عايز وإيه؟ ومش قادر، كان عاجز.
فهنا بيقول إن العمل يستلزم النية ويستلزم القدرة. إذا وجدت القدرة التامة مع النية التامة استلزم وجود العمل.
طيب إذا مفيش عمل؟ يبقى يا إما فيه مشكلة في النية، يا إما هو مش عايز مش حابب عنده مشكلة في إرادته، يا إما إرادته كانت ماضية لكن جسمه ضعيف أو إن فيه عائق عاق قدرته على أداء العمل.

هنا بيقول وكذلك الطاعة وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبيقول: "أما حب القلب وبغضه وإرادته وكراهيته ينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة، وفعل العبد معها بحسب قدرته، فإنه يُعطى ثواب الفعل الكامل كما بيناه في غير هذا الموضع".
شيخ الإسلام فصل في هذا كثيرًا، لكن عموماً يا جماعة إن العبد إذا نيته صحيحة قوية ولكنه حصل عائق إنه ينفذ الكلام أو ينفذ نيته، العائق ده بسبب حاجة عجز عنها، فهنا ثواب العمل هو ياخده كاملاً مكملًا. شيخ الإسلام صك مصطلح اسمه الإرادة الجازمة، وده نص كلام الإمام أحمد بن حنبل.
الإرادة الجازمة يعني واحد أراد إرادة استلزمت الفعل. طب إذا واحد أراد إرادة وهذه الإرادة إرادة جازمة يعني إيه؟ يعني إرادة تستلزم وجود الفعل لكنه لم يفعل الفعل، فيقولوا يبقى هنا الخلل ما كانش في الإرادة إنما الخلل هنا فين؟ في القدرة.
هنا إذا العبد أراد إنه يعمل عمل إرادة جازمة لكنه مات قبلها، يُكتب له ثواب العمل. إذا أراد أن يعمل عمل وكان صادقًا في هذه الإرادة والله يعلم القلوب ولا يعلم القلوب إلا الله –سبحانه وتعالى– لكنه منعه العجز عن أدائه، واحد كان مثلًا نوى بعزم وقوة بإرادة جازمة إن هو لو اغتنى إنه ينفق، وبعدين هو لم يستطع الإنفاق لإنه كان فقير، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "هما في الأجر سواء" فقال إن ده هياخد ثواب العمل كامل.

فهنا شيخ الإسلام بيتكلم بيقول إن الإنسان إذا عنده إرادة وحب للمعروف، وإرادة لنشر المعروف لكنه لم يفعل ذلك –وكأنه يشير إلى إنسان إذا ترك هذا الأمر بالمعروف أو ترك النهي عن المنكر لأجل مصلحة معينة أو لأجل شيء يراه بالشرع أو لعجز منه عن أداء المعروف الكامل أو عن الأمر بالمعروف الكامل أو لعجز منه عن النهي عن منكر الكامل– هذا ليس معناه إن هو مش هياخد ثواب، إنما إذا كانت هذا قدرة العبد، وإذا كانت هذه نيته، وإذا كانت إرادته جازمة صادقة فإنه يُكتب له الثواب الكامل.

قال: "فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها ..." بدأ شيخ الإسلام يتكلم بقى عن نقطة مهمة بيتكلم على أن ضابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضابط حب المعروف وبغض المنكر ليس الهوى.
وعقد فصل جميل جدًا في مسألة اتباع الهوى، وكيف أن الأمم السابقة ضيعوا الدين باتباع الهوى، ليس الهوى هنا المقصود به يا جماعة الشهوة اللي هي: "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ

"الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" آل عمران:١٤، ليس المقصود هنا بها الشيء اللي بيشتهيه الإنسان من الأشياء المادية في الدنيا، إنما الهوى إن واحد بيحب نفسه، وبيحب مصلحة نفسه أو بيحب مجتمع معين وبيحب مصلحة المجتمع المعين ده بغض النظر عن حب الله، فهو يأمر بالمعروف الذي يهواه هو، وينهى عن منكر الذي لا يرضاه هو، فبالنسبة له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقى مسألة هوى.

فبيقول بقى ضابط مهم جدًا في مسألة اتباع الوحي واتباع الهوى، إيه الفرق ما بين اتباع الوحي واتباع الهوى؟

اتباع الوحي هو إنك أنت تعرف الآية بتقول إيه وتمشي وراها، إنك تعرف الحديث بيقول إيه وتمشي وراه، بغض النظر عن إن أنتِ مصلحتك الشخصية وأمنك الشخصي واحتياجك الشخصي في هذا الكلام، إن احنا ما نلويش أعناق النصوص لأجل أنها ترضينا. فيه ناس يا جماعة بتغير الدين عشان مصالحها الشخصية، فيه ناس بتُخفي الدين عشان مصالحها الشخصية، فيه ناس بتعاند الدين عشان مصالحها الشخصية، فيه ناس بتكذب بالدين عشان مصالحها الشخصية، فيه ناس بالنسبة لها الدين اللي بتهواه من الدين، يعني بتاخد من الدين القشرة اللي هي بالنسبة لها بتحبها، بياخد من الدين الحاجة اللي هو بس بيحبها وبقية الدين بيدعه مطلقًا.

فبدأ شيخ الإسلام يتكلم على إن المعروف والمنكر لابد أن يكون ضابطه الشرع وليس الهوى، قال: "فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادة وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله" فبيقول إن المعيار اللي ينبغي عليه أن يتحرك المعروف والمنكر في قلب العبد هو حب الله ورسوله وبغض المعصية، لكن لا ينبغي أن يكون المعيار الذي يحرك الإنسان هو الإنسان نفسه.

فيه ناس يا جماعة بتعتبر ده. يعني يقول لك إيه؟ فلان ده أخلاقه حلوة أوي، تقول له: بس فلان ده بيكفر بربنا –سبحانه وتعالى– ده ملحد يا ابني. فيقول لك: أيوه بس هو بيعاملني حلو، سؤال: هو أنا مفروض أحب اللي بيعاملني حلو بس؟

طبيعة الإنسان البشرية إن هو يُعجب بمن أحسن إليه، لكن مسألة الحب والكره الشرعية اللي ربنا أمرنا إن احنا نحب فلان ونكره فلان أمرنا إن احنا نحب ونكره على إيه؟ على طاعة الله ومعصية الله. يعني نحب اللي بيطيع ربنا، نحب اللي بيصلي لربنا، نحب اللي بيقرب من ربنا، نحب صاحب الأخلاق الحسنة بمعيار الشرع لا بمعيار الهوى، إن أحيانًا بنجد ده بقى الإنسان نزع محبة الله ورسوله من قلبه ووضع محبة نفسه بقى هو ده المعيار، فبقى اللي بيعطي له الخير، اللي بيتعامل معه معاملة كويسة تقول له يا ابني ازاي تصاحب واحد قاطع رحم وعاق لوالديه، ازاي يا أختي مصاحبة واحدة بعيدة عن ربنا –سبحانه وتعالى– بتستهين بأوامر الله.

فيه فرق إن احنا نتعامل؛ يا جماعة كل الناس تتعامل مع كل الناس، وفرق إن احنا نصاحب، نصاحب ده اللي هو الملازمة، اللي هو الطباع سراقة، اللي أنت هتاخد منه بعد كده أفكارك وتصوراتك وهتفضفض معاه، وهينصحك في دقائق أمورك الخاصة. ازاي تعملي كده مع أي حد؟ فتقول لك أصل هي كويسة، أصل أنا شفت منها معاملة حلوة، تقول لها معاملة حلوة شفتيها منها لكن بالنسبة لدينها؟ بالنسبة لصلاتها؟ بالنسبة لحجابها؟ كل الناس فيها طاعة ومعصية، لكن فيه كبائر؛ بالنسبة للكبيرة اللي بتعملها الفلانية، بالنسبة للكبيرة اللي بيعملها الفلانية مش واخد بالك؟ فيبدأ يبص لك كده كأنك أنت بتكلمه في حاجة غريبة.

يا جماعة الميزان اللي ينبغي عليه يوزن القلب ميزان الحب والكره ينبغي أن يكون على الشرع، إن احنا بنحب ما يحب الله –سبحانه وتعالى– لا بنحب ما يحب الهوى ولا آراؤنا ولا أراء الناس.

قال: "فإن من الناس من يكون حبه وبغضه وإرادته وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه" ويقول إن ده بيحصل؛ فيه فرق إن يفضل بس حاجة في القلب كده إن أنا بحب فلان بحبه في الهوى وإن أنا بحبه فلانة هوى، وإن أنا فيه حاجات بعملها بالهوى، وفرق إن ده يكون إن أنا اتتبعه، اتتبعه ده يعني امشي وراه قال: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ" ده كلام الله –سبحانه وتعالى– في سورة القصص:٥٠.

قال: "فإن أصل الهوى هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها، والهوى نفسه وهو الحب والبغض الذي في النفس" يعني الإنسان مش هيُلام على الهوى، يعني عادي فيه واحد بيهوي حاجة معينة واحد بيحب حاجة معينة نفسه جاياه على كده مفيش مشكلة، لكن امتى يبقى فيه مشكلة؟ لما يبقى ده محركه الرئيسي، لما يبقى ده كنتروله، لما يبقى لوحة تحكم قلبه وحياته هي الهوى فقط.

قال: "هذا الحب والبغض الذي في النفس لا يلام عليه فإن ذلك لا يملكه العبد، وإنما يلام على اتباعه" يبقى الإنسان بيلام على الهوى والّا على اتباع الهوى؟ بيُلام على اتباع الهوى، الهوى موجود عند الناس، فيه ناس فضلت تجاهد نفسها وتجاهد هواها حتى أصبح هواها تبع لما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم-، واللي عايز تفصيل في الكلام ده احنا اتكلمنا في شرح حديث في الأربعين النووية "لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تَبَعًا لما جئتُ بِهِ" حديث النبي –صلى الله عليه وسلم- يعني فصلنا جدًا في هذا الحديث.

لكن عمومًا شيخ الإسلام هنا بيشير إلى معنى مهم، إن المذموم هو اتباع الهوى، وإن الأمم السابقة ضلت بسبب اتباع الهوى. الأهواء هنا المرة دي يا جماعة ليس المقصود بها الشهوات إنما الأهواء هنا المقصود بالأهواء الدينية يعني إيه الأهواء الدينية؟

يعني واحد بيتبع الهوى في الدين، يعني واحد بالنسبة له الدين اللي بيهواه هو، يعني بيحلل ويحرم على هواه، يعني بيعطي ويمنع على هواه، يعني بيرفع ويخفض الناس على هواه، يعني بيتعامل مع الناس بالهوى بالدين وكله بالدين وكله بالآيات والأحاديث طبعًا هذه مصيبة كبيرة ضاعت بها بنو إسرائيل واستبدلت بها بنو إسرائيل، بسبب هذه المصيبة؛ اتباع الأهواء.

قال: فإن ذلك –اللي هو مسألة الهوى عمومًا- لا يُلام عليه العبد، -إنما يُلام على إيه؟ يُلام على اتباع الهوى وبالذات لو كان اتباع الهوى في الدين. قال: "وإنما يُلام على اتباعه كما قال –تعالى-: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" ص:٢٦.

عارفين فيه واحد هواه إن هو بيكره فلان بس تقول له أنت حر إنك أنت تكرهه، عارفين في حديث بريدة لما قال: "إني أبغض علي بن أبي طالب" واحد من الصحابة خرج مجاهد مع النبي –صلى الله عليه وسلم- وبعد ما رجع من الغزوة فالنبي –عليه الصلاة والسلام- لقى في وشه تغير كده لما دخل علي بن أبي طالب، فقال له هو أنت مالك زعلان من علي ولا إيه؟ قال له أنا بكرهه فالنبي –عليه الصلاة والسلام- تعجب فقال: "مَن أحبَّ عليًّا فقد أحبَّني"[٣٩] قال له لو أنت بتحبني حب علي بن أبي طالب. هنا نقطة الأرواح جنود مجندة فيه واحد أنت بتحبه فيه واحد أنت مبتحبوش، لكن هل ده يمنعك إنك أنت تعامله معاملة حسنة؟ هل ده يجعلك إنك تظلمه؟ هل ده يجعلك إنك تتعامل معاه معاملة لا أخلاقية؟ هل ده يجعلك إنك أنت تستحل عرضه؟ إنك أنت تتكلم عليه من وراه؟ إنك أنت تبخسه حقه؟

شيخ الإسلام هنا بيقول لك إن الهوى؛ إن أنت أحيانًا بتحب حاجات وبتكره حاجات، لكن خلاص ده ممكن يكون فيه، لكن المذموم هو إيه؟ المذموم إنك أنت تتبع الهوى.

فكرة إن يبقى فيه هوى في البشر عادي البشر كلهم عندهم هوى، لكن هناك من استطاع أن يتغلب على هواه وهناك من لا يستطيع. وطبعًا النبي –صلى الله عليه وسلم- كان هواه مسارعة في رضا مولاه، لكن ليس كل الناس هواه مسارعة في رضا مولاه، لكن عمومًا لو فيه هوى مفيش مشكلة لكن امتى يبقى فيه مشكلة؟ لما نتتبع هذا الهوى ونبقى ماشيين وراه ويبقى ده المحرك والكنترول والتحكم في دماغنا وفي أفكارنا وتصوراتنا يكون على طريق الهوى قال –تعالى-: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ"، قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "ثلاثٌ منجيات خَشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرِّ والعلانيَةِ"[٤٠] بيقول إن الحاجات اللي بتنجي الإنسان يوم القيامة إن الإنسان يكون عنده خشية لله، سواء

---

[٣٩] صحيح الجامع

[٤٠] السلسلة الصحيحة للألباني

في لحظة السر أو في لحظة العلانية يعني يكون عنده خشية، بغض النظر عن إن هو قدام الناس ولا هو يكون لوحده، هو يكون عنده خشية، يكون جواه خشية لله، هو بيعظم ربنا، هو بينظر في السماء وفي قلبه تعظيم لله –سبحانه وتعالى–: "خَشيةُ اللهِ تعالَى في السِّرِّ والعلانِيَةِ، والقصْدُ في الفقْرِ والغِنَى" يعني هو متوازن في الإنفاق، يعني وهو غني وهو فقير؛ هو مش بالنسبة له أول ما جت له الفلوس قعد يبذر في الفلوس ويصرف في غير محلها، إنما هو بيصرف في الحاجة اللي هو شايفها إنه ينفع يصرف فيها، الحاجة اللي هو محتاجها يصرف فيها، بغض النظر هو معاه أو مش معاه هو دايمًا طريقة إنفاقه طريقة عاقلة، والقصد يعني الهدف؛ عارفين واحد هدفي، عارف هو بيعمل إيه، لما يكون معاه فلوس أو لما مايكونش معه فلوس هو بيعرف يحط الفلوس فين بالظبط، القصد في الفقر والغنى وقت الفقر هو عارف هو بيحط الفلوس فين ولما يكون معاه فلوس كتير هو أيضًا عارف الفلوس بتتحط فين. هو مش بيتعامل تعامل بالهوى إنما التعامل هو بالنسبة له عنده معيار بيحركه. والثالثة قال "والعدلُ في الرِّضا والغضَبِ" كلمة الحق في الرضا والغضب دي من الحاجات الصعبة جدًا، إن أنتِ لما تكوني زعلانة من فلانة تعرفي تقولي عليها كلمة حلوة؟ لما تكوني زعلانة من حد معين تعرفي تبقي منصفة معاه وتقولي هو فعلًا عنده حاجات كويسة وبيقول حاجات كويسة وبيعمل حاجات كويسة؟

كلمة الحق في الرضا والغضب إن الإنسان لما يكون غضبان هل يعرف يقول كلمة الحق؟ ولما يكون زعلان هل يعرف يقول كلمة حق؟ ولا احنا بنبقى عاملين زي المنافقين؟ –عياذًا بالله– إذا خاصم فجر، إن الإنسان لما يغضب من واحد يقول لك ما رأيت منه خيرًا قط، ده فيه وفيه وفيه وفيه ويبدأ يطلع كل عيوب الدنيا فيه ويطلعه كأنه شيطان، ولما يحب إنسان يجعله كأنه ملاك.

هنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيعلمنا إن الحاجات اللي بتخلي الإنسان ينجو عند الله يوم القيامة إن الإنسان يكون معياره هو الحق، إن الكلمة اللي بيقولها يكون معيارها الحق، إن اللي الفلوس اللي بينفقها والوقت اللي بينفقه يكون معياره الحق، إن مشاعر قلبه –خدوا بالكم من خشية في القلب–، القصد في الفقر والغنى ده بذل مالي وبذل بدني، وكلمة الحق في الرضا والغضب ده لساني، يعني حاجة بالبدن وحاجة باللسان وحاجة بالقلب التلاتة يكونوا إيه؟ يكون معيارهم الحق ليس الهوى.

قال وثلاث مهلكات اللي عكسهم بقى بالظبط الثلاث المهلكات. قال: "وثلاثٌ مُهلِكاتٌ:" شُحٌّ مُطاعٌ، وهوًى مُتَّبَعٌ، وإِعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ"، العكس صحيح إن واحد يكون جواه حب استئثار عايز يكوش على كل حاجة، عايز يبقى عنده حاجات كتير، عايز يستأثر دون الناس، فيبدأ يعمل إيه؟ يبقى عنده شح، شح ده إنه يمنع الحقوق، داخل نفسه يبقى هو عنده حب التملك ويرضى ويحب أن يمنع الناس حتى يتملك هو ده اسمه شح، عارفين "وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ" النساء:١٢٨، الشح ده اللي هو أن النفس تريد أن تستوفي كل ما لها، عايزة تاخد كل حقوقها، ولما تيجي تقوليلها واجباتك واحد اتنين تلاتة تفاصل، يبقى عايز ياخد كله حقوقه لما ييجي تقول له واجباتك واحد اتنين تلاتة يفاصل، اللي هو شح وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ لابد الإنسان إنه يتخلص من هذا الشح، قال –تعالى–: "وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ" الحشر:٩، الإنسان يكون عنده حب للبذل.

فهنا النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول الحاجة اللي بتخلي الإنسان يضيع؛ الشح المطاع، إن هو يطيع شح نفسه. أومال عليه إن هو إيه؟ لا يطيع شح نفسه أومال يعمل إيه؟ يجاهد هذا الشح، ويقاوم هذا الشح، ويغير هذا الشح.

قال: "وهوًى مُتَّبَعٌ" طب ما هو عنده هوى يقول لك أيوه بس لا تتبعه؛ خالف هواك.

كنا عاملين درس على الساوند لمن أراد أن يستزيد اسمه خالف هواك، مسألة إن احنا لا نتبع الهوى.

رقم تلاتة "وإِعجابُ المرْءِ بنفْسِهِ" أومال المرء يعجب بإيه؟ المرء يعجب بربه، المرء يُعجب بعطاء ربه، المرء يعجب ويشكر الله –سبحانه وتعالى–، لكن كل ما أنت بتعجب بنفسك كل ما أنت بتعظم نفسك، وكل ما أنت بتعظم نفسك كل ما أنت بتستغني عن الله بقدر ما تعظم نفسك، فبتستكبر على الخلق بقدر ما عظمت نفسك.

فلذلك مهم إن أنت دايمًا لا تعظم نفسك ولا تعجب بنفسك، إنما إنك انت لا تستكبر على الخلق إنما إنك أنت دايمًا تتواضع لله –سبحانه وتعالى–. عارفين يعني إيه يتواضع؟ وضع من نفسه يعني إنك أنت تقلل من نفسك من تواضع لله رفعه الله –سبحانه وتعالى–.

قال: "والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد وإرادة وغير ذلك"

يقول لما الإنسان بيكون بيحب حاجة لما بيشوفها بيبقى إيه؟ بيبقى عنده ذوق كده، بيبقى عنده نوع من أنواع التغير، عارفين في غزوة أحد حصل منهم مخالفة لكلام النبي –صلى الله عليه وسلم– ونزلوا من على الجبل، وحصلت هزيمة أحد ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ" آل عمران: ١٥٢، لو أنتم متخيلين إن الهزيمة دي حصلت بسبب إن ربنا خذلكم، ربنا أول حاجة في الآية قال لهم إيه؟ قال لهم لا ربنا ماخذلكوش، ربنا صدقكم وعده لإن ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ" الحج:٤٠، ربنا نصركم في الأول وفعلًا المعركة كانت ماشية في نصر مؤزر تجاه المسلمين، شوفوا الآية ربنا بيقول: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا" شوفوا ترتيب الآيات إيه؟ ترتيب الآية آخر حاجة اللي هو الفشل، الفشل ده كان آخر مرحلة، الفشل ده كان قبله إيه؟ كان فيه تنازع، الصحابة بعضهم قالوا ما ننزلش من على الجبل قالوا لا ننزل من على الجبل ليه تنازعوا؟ لأنهم بعضهم قرر إن هو يعصي كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–، النبي قال لهم لا تتركوا الجبل فبعضهم جه ينزل من على الجبل حصل نزاع.

بعض المؤمنين قالوا له لأ ما تنزلش النبي قال ما تنزلش، قالوا له لا ننزل فيه مصلحة للنزول، فحصل النزاع. لما حصل النزاع حصل الفشل. ربنا –سبحانه وتعالى– لما رتب الآية مرتبش الآية بترتيب الأحداث اللي حصلت، إنما رتب الآية بإيه؟ بالنهاية ثم الرجعة بخطوة بخطوة قال: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ –يعني تقتلونه بإذنه يعني كنتم هنتصروا بإذن الله –سبحانه وتعالى–، لكن أنتم اللي رفضتم ذلك ليه؟ حتى إذا فشلتم الفشل دي من عندكم أنتم. ليه؟ تنازعتم. ليه؟ عصيتم. ليه؟ "مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" هي دي اللفتة اللي أنا بجيب الآية بستشهد بيها في هذا الكلام، إن نقطة الإنسان لما بيحب حاجة إذا رآها في وقت معين، فإنه لا يستطيع أن يمسك نفسه عنها.

لذلك شيخ الإسلام بيتكلم على إيه؟ على إن من الأول أنت عالج قلبك بالحب والكره، لأنك أنت لو فيه حاجة بتحبها بهواك لو شفتها في وقت غير مناسب –شافوا الفلوس والدنيا وما كانوش قدروا لسه يتخلصوا من حب الدنيا في قلوبهم في وقت المعركة عملوا إيه؟ سابوا الجبل ونزلوا عشان يُحصلوا الغنائم فلما نزلوا عشان يحصلوا الغنائم لما رأوا ما يحبون– قال: "مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا"، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" يعني كانت المشكلة في إن هم بيحبوا ولا إن هم شافوا اللي هم بيحبوه؟

المشكلة إن هم كانوا بيحبوا الدنيا، قال: "مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا" إن لما بعضهم أراد الدنيا ابن مسعود بيقول: "ولم أكن أعلم أن هناك منا من يريد الدنيا"، إن لما بعضهم كان أراد الدنيا ولم ينتبه لمعالجة قلبه في مسألة إرادة الدنيا، فلما لم ينتبه في معالجة هذا القلب لما رأى ما يحب لما يستطع أن يُمسك نفسه عن الغنائم.

فهنا شيخ الإسلام بيقول إن الإنسان عليه أن يراجع الحب والكره وإن ميزان الحب والكره في قلبه يكون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا مثال معروف وربنا –سبحانه وتعالى– ذكره كثير في كتابه الكريم –سبحانه وتعالى–.

فبيقول: "والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد وإرادة وغير ذلك، فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه"

اتخذ إلهه هواه يعني إيه يا جماعة؟ يعني كمال المحبة لهواه وكمال الذل لهواه.

يعني اللي بيحركه هواه، يعني عارفين لما تقول لك هي طلبت كده، تقول لها ازاي تقولي الكلام ده؟ الكلام ده أنتِ كده وقعتي ما بين الناس تقول لك هي طلبت معايا أقول كده.

ازاي تعمل الكلام ده؟ اللي أنت عملته ده معصية كبيرة يقول لك طلبت معايا كده. عارفين يعني إيه إلهه هواه؟ يعني واحد بيحركه الهوى فقط.

واحنا بنتكلم عن إرادة الدنيا يا جماعة -يعني كل الناس بتعمل في الدنيا- احنا بنفرق ما بين العمل في الدنيا وإرادة الدنيا، والعمل في الدنيا له مراتب؛ تصور المسلمين عن الدنيا إنها أرض ومرحلة، حقبة من الزمان مرتبطة بالدار الآخرة.

يعني دي مش فصل ما بين الدنيا والآخرة، إنما هي حياة؛ هناك حياة فيها امتحان، وهناك حياة فيها جزاء، هناك دار للفتنة والامتحان، وهناك دار للجزاء والثواب والعقاب.

قال: "واتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات". القاعدة دي يا جماعة محتاجة تتحط تحتها خط ويتعمل بحث كبير أوي فيها. مسألة إن اللي ضيع الدين ليس فقط اتباع الشهوات، إنما اتباع الأهواء في الدين، اتباع الهوى في الدين.

عارفين فيه واحدة رقيقة المشاعر، يعني هو ربنا خلقها كده هي رقيقة المشاعر، فلما بتيجي عند الآيات اللي فيها حزم، وقوة، وشجاعة بتحس إن هي مش قبلاها أوي ليه؟ لإن هواها مش جاي. فيه واحد أصلًا ربنا خلقه هو فيه شدة يعني في طبعه شدة، فلما بييجي على الآيات اللي فيها الرحمة، والآيات اللي فيها الرفق، والآيات اللي فيها المعاملة الطيبة تحس إن قلبه مش جايب، فهيحاول إن هو يلف على الآيات دي.

يا جماعة الإسلام بيعلمك إنك أنت توازن، إنك أنت تخضع لأمر الله -سبحانه وتعالى-، إنك أنت تنقاد وإنك أنت تستسلم لأمر الله -سبحانه وتعالى-، الله الرحيم والحكيم الله هو القوي العزيز. عارفين العزيز الرحيم: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" الشعراء:٢١٧، العزيز الذي لا يُغلب ولا يغالب ولا يُرام جنابه، والرحيم الذي يرحم الجميع.

فهنا نقطة مهمة إن احنا محتاجين نستسلم لأمر الله -سبحانه وتعالى-، فيه واحدة هواها في الدين آيات الرحمة فقط، وكل الآيات بقى اللي بتتكلم عن الأمر بالمعروف والجهاد والقوة والحدود هي كل ده لاغياه أصلًا من قاموسها. ليه لاغياه؟ لإن مش على هواها.

والعكس صحيح فيه واحد عنده شدة وقوة وواحدة عندها شدة وقوة فتجد كل الآيات اللي بتتكلم عن الرحمة والرفيق، والمعاملة الحسنة، والتعامل بسماحة، والتعامل بإحسان شديد مع الناس، ورد الإساءة بالإحسان، تلاقي دايمًا يقول لك إيه؟ يعني أنا كده أخد على قفايا! يعني هو الدين أمرني إن أنا مش عارف إيه؟ هو هنا عنده مشكلة.

هنا نقطة مهمة يا جماعة إن لا ينبغي علينا إن احنا نتبع الهوى في الدين، فيه واحد هواه في الدين العبادة، فيه واحد هواه في الدين العلم، فيه واحد هواه في الدين الجهاد، فيه واحد هواه في الدين الفقه، كل واحد له هوى معين، لكن لا ينبغي علينا اتباع الأهواء في الديانات ولا تغيير الديانة ولا تغيير الشرع لأجل إرضاء الناس أيا كان هؤلاء الناس.

قال: "فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين -اللي هم اتباع الأهواء في الديانات كما قال تعالى فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ" أي لما تركوا الاستجابة للنبي -صلى الله عليه وسلم- لما دعاهم إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- والإيمان بالقرآن-.

قال -تعالى-: "فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" القصص:٥٠، وقال -تعالى-: "ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم -الآية إلى أن قال:- بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ" الروم٢٨:٢٩ -الآية دي يا جماعة احنا شرحناها في حلقة كاملة يعني تقريبًا نص ساعة أو تلات أربع ساعة في أمثال القرآن موجودة على الساوند كلاوند لمن أراد أن يستزيد-.

وقال -تعالى-: "وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ" في سورة الأنعام:١١٩".

فهنا نقطة يا جماعة مسألة إن الناس بتضل بالأهواء، الناس بتضيع بالأهواء، الناس بتفقد الطريق بالأهواء، الناس بتفقد الهدى بالأهواء، الناس بتبتعد عن طريق الله بالأهواء.

قال –تعالى–: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ" المائدة:٧٧، قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، ناس ابتعدت وتوارثت اتباع الهوى، وأضلت ناس من ورائها. ليه؟ كل ده باتباع الهوى.

وقال –تعالى–: "وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ" البقرة:١٢٠.

يا جماعة الناس بتضيع إما باتباع الشيطان، وإما باتباع النفس. النفس دي إما أن تضيع باتباع نفسها هي، أو نفوس الناس، لذلك لا تنضغطوا بالمجتمع متخليش المجتمع وأهواء الناس تضغط عليك.

فلان عايزك تعمل كذا، وفلانة عايزاكِ تعملي كذا، وصورتك المجتمعية لازم تبقى كذا، وأهم حاجة الناس، لا تتبعوا أهواء الناس. دعكم من أهواء الناس، كل واحد يهوى كيف شاء لكن أنت عليك إنك تتبع الوحي، "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ" الأعراف:٣، اتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–، اتبع كلام الله –سبحانه وتعالى– تنجو إن شاء الله –سبحانه وتعالى–.

قال –تعالى– في الآية الأخرى: "وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ" البقرة:١٤٥.

وقال –تعالى–: "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ" المائدة٤٩: ٥٠.

أُمرنا أن نتبع أمر الله –سبحانه وتعالى–، أُمرنا أن نتبع كلام الله –سبحانه وتعالى–، أُمرنا أن نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في دعوته، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في حكمته، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في طريقته، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في عبادته، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في أخلاقه، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– في رحمته، في حكمته، في قوته، في شجاعته، في شدته، في غضبه، في فرحه، نتبع النبي –صلى الله عليه وسلم–، "لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ" الأحزاب:٢١.

قال: "ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين للعلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء" فيه يا جماعة في كتب العقيدة هتجدوا فيه حاجة اسمها أهل السنة والجماعة، وفيه حاجة اسمها أهل الأهواء والبدع. ليه سموهم أهل الأهواء؟ بيقولوا لإن كل بدعة كانت بسبب هوى. يعني يسموا أهل السنة حاجتين: أهل سنة أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق.

فيسموهم أهل السنة والجماعة يعني إيه الجماعة؟ يعني هم بيحبوا اجتماع الناس، هم يسعون إلى اجتماع الناس على سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، هم يسعون إلى أن يجتمع المسلمون على كلام الله –سبحانه وتعالى– وعلى وحي الله –سبحانه وتعالى–، يبقى هم مش أهل السنة والتفرق إنما اسمهم أهل السنة والجماعة.

يعني عندهم حاجتين مميزين ليهم:

أول الحاجة: إن هم حريصين على سنة النبي –عليه الصلاة والسلام–.

الحاجة التانية إن هم حريصين على الاجتماع.

التانيين اسمهم أهل الأهواء والبدع والتفرق ليه؟ لإنهم حريصين على إنهم ينفذوا أهواءهم، والحاجة التانية أنهم حريصين على إيه؟ ما عندوش مشكلة إن هو يفرق الأمة على الشيء اللي يراه هو بهواه هو بطريقته هو.

وقال: "حذر الله –سبحانه وتعالى– من ذلك فقال: "وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" الروم٣١:٣٢.

وقال –تعالى–: "كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ * فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" الحجر٩٠:٩٢، إن ربنا –سبحانه وتعالى– نهى وعتب على من جعل القرآن عضين. يعني إيه عضين يا جماعة؟ يعني أعضاء، يعني قسم الدين حتت، كل واحد مسك في حتة في الدين، واحد قال لك إن الدين كذا، واحد قال لك إن الدين علم، والتاني قال لك إن الدين عبادة، والتاني قال لك إن الدين فقه، والرابع قال لك إن الدين أصول، والخامس قال لك إن الدين أخلاق بس، والسادس قال لك إن الدين جهاد، والسابع قال لك إن الدين سياسة، والدين كل ذلك. الوحي هو الوحي. جعلوا القرآن عضين يعني قسموا الدين، الأمم السابقة قسمت الدين وكل واحد اتبع من الدين ما يهواه، وضيعوا دينهم بسبب اتباع الأهواء قال –تعالى–: "وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ".

"ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسوبين إلى العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء وذلك إن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه".

هنا يا جماعة نقطة فارقة، أحيانًا احنا بنشوف واحد بيعمل بدعة، هل كل صاحب بدعة مبتدع؟ لأ. هل كل صاحب بدعة من الفرق الضالة؟ لأ. فيه ناس بتفهم حديث "افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فرقةً، وافترقتِ النصارَى على اثنتَينِ وسبعينَ فرقةً، وستفترقُ هذه الأمةُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً، قيل: من هي يا رسولَ اللهِ؟ فقال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: مَن كان على مِثلِ ما أنا عليه وأصحابِي"[41]

فيه ناس بتفهم الحديث ده فهم خاطئ إن الحديث يا جماعة في المسلمين، لكن يعني إيه فرقة؟ يعني إيه واحد صاحب فرقة؟ يعني إيه الناس دي من فرقة ضالة؟ ليس معناه إنه بيتبع شيخ غير الشيخ اللي أنا بسمعه، وليس معناه إن هو عنده رأي فقهي مخالف للرأي اللي أنا باتبعه، يعني ممكن فلان بيتبع مثلًا مذهب الشافعي وفلان المالكي، فلان أصلًا لا لم يتعلم الفقه على طريقة المدارس الفقهية الشافعية والملكية والحنفية والحنابلة، إنما تعلمها على طريق أهل الحديث، فهو بيتبع النص فقط. أيا كان الاختلافات ده مش معناه إن ده تبع الفرقة الضالة وبقى الناس بتتنابذ بالألقاب فلان ده مبتدع وفلان ده ضال.

ده ليس هذا معناه، إنما معناه إن واحد بيجعل معيار يفرق عليه الناس، يعني الخوارج عندهم معيار يفرقون عليه الناس، المعتزلة عندهم معيار يفرقون عليه الناس، يعني بيقسموا المسلمين تقسيمة غير اللي ربنا –سبحانه وتعالى– أرادها لهم.

اللي هو بالنسبة له فيه حاجة بيقسم عليها المسلمين، أنت معتزلة ولا مش معتزلة؟ ده أنت مرجئة ولا مش مرجئة؟ أنت أشاعرة ولا مش أشاعرة؟ أنت خوارج ولا مش خوارج؟

هو عنده معيار بيقسم عليه الناس، ده كده المعيار ده فيه مشكلة إنك تجعل شيء، إنك تجعل قول من الأقوال هو المعيار الذي ينبغي أن يمتحن به الناس غير الذي أمر الله –سبحانه وتعالى– به من إعلان التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأركان الإسلام الخمسة، أو ما هو منصوص عليه في الشرع، هيبقي أنت هنا عندك مشكلة في مسألة امتحان الناس وتفريق المسلمين على الهوى.

[41] مجموع فتاوى ابن باز

فهنا بيقول شيخ الإسلام: "إن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله، ولهذا قال –تعالى– في موضع: "وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ علم"، وقال في موضع آخر: "وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ" فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه وبغضه"

هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيرجع مرة أخرى لنفس النقطة اللي بدأها في مسألة إن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبني على أصل آخر هو حب المعروف وبغض المنكر، وإن حب المعروف وبغض المنكر لا ينبغي أن يكون بالهوى، لأن إذا دخل الهوى في الدين فإن الدين سيضيع وربنا حذر من اتباع الأهواء في الدين. ثم عاد مرة أخرى ليتكلم عن مسألة الحب والبغض فبيقول عندنا بقى واحنا بنوزن الحب والبغض في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوزن حبنا للمعروف بحاجتين:

رقم واحد إن احنا نحب المعروف اللي هو معروف عند الله، ونتبع الوحي في ذلك.

رقم اتنين مقدار الحب يعني إيه مقدار الحب؟ يعني أنا بحب حاجة وبحب حاجة تانية يعني أنا بحب الصلاة ومثلًا بحب إماطة الأذى عن الطريق لكن هل حبي للصلاة زي حبي لإماطة الأذى عن الطريق؟ لأ، لإن الصلاة عبادة أعظم عند الله –سبحانه وتعالى–، فحبي للصلاة مقداره أعظم، وحبي لهذا المعروف مقداره أعظم من حبي لإماطة الأذى عن الطريق وكلاهما إيه؟ معروف أمرنا به.

مثلًا أنا ببغض الكبيرة، ببغض المعصية اللي هي مثلًا الزنا، أنا بكره الزنا لكن هل كراهية الزنا تساوي مثلًا كراهيتي للمم مثلًا أو للنظر الحرام لأ، ليه؟ لإن الزنا معصية كبيرة.

واحد هيقول لي طب ما النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: إن العين تزني وزناها النظر. أيوه لكن الفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه. فالزنا كمعصية كبيرة جدًا مقدار البغض ومقدار الكراهية ينبغي أن يوزن على معيار الشرع أيضًا.

قال: "فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض لا يكون متقدمًا فيه بين يدي الله ورسوله، فإن الله –سبحانه وتعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" الحجرات:١، ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله".

شيخ الإسلام بيضبط ضابط القلب؛ واحنا بنتكلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبنتكلم في التغيير، وبنتكلم إن احنا ندعو إلى الله –سبحانه وتعالى–، بيقول قبل ما أنت تتكلم وأنت بتدعو لازم تبقى واخد بالك أنت قلبك فين؟ أنت بتحب المعروف؟ المعروف ده معروف بأنهي طريق؟

أحياناً كتير تلاقي احنا مش عارفين المنكر أصلًا، يعني أحيانًا ممكن واحدة تنكر حاجة الحاجة دي أصلًا هي ليست من محل الإنكار، أحيانًا واحد بيأمر بمعروف المعروف اللي هو بيأمر به ده أصلًا ورع، يعني المعروف ده أصلًا ممكن يكون ليس هو الذي أمر الله –سبحانه وتعالى– به، إنما هو كان اختيار لبعض العلماء في بعض الأزمان.

فهنا يا جماعة نقطة مهمة، إن احنا نعرف المعروف ونحبه ونعرف المنكر ونبغضه بمعيار الشرع. ومقدار الحب ومقدار البغض يكون على أيضًا معيار الشرع فبيقول: "ومجرد الحب والبغض هو هوى".

قال: "ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله"

بيقول أن الإنسان لا ينبغي عليه أن يحب حب شرعي، ولا يبغض بغض شرعي إلا بعد أن يعرف الحلال والحرام، ويعرف الله وكلام النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أما إنك تحب قبل ما تعرف ربنا بيحب ولا بيكره، وإنك أنت تحب قبل ما تعرف إن النبي -عليه الصلاة والسلام- بيحب ولا بيكره، ده نوع من إنك أنت قدمت بين يدي الله ورسوله الذي نُهينا عنه، "لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ".

قال: "ومجرد الحب والبغض هو هوى، لكن المحرم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله" بيقول إن مسألة إن واحد يحب ويكره، طبيعي، فيه واحد يقول لك أنا بحب فلانة، فيه واحد يقول لك أنا بحب الأكلة الفلانية، عادي حب المباح موجود وحب الأشياء، الممارسات الحياتية، وطريقتها، وأصناف الناس، وأنماطها، وتفاوتهم في ذلك الكثير لكن الإشكال فين؟

الإشكال إن يكون ده هو المحرك الرئيسي للقلب. لكن ينبغي للقلب ألا يتحرك إلا بمعيار الشرع.

قال: "ومجرد الحب والبغض هو هوى لكن المحرم منه اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله، ولهذا قال -تعالى-: "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ" ص:٢٦، فأخبر أن من اتبع هواه أضله ذلك عن سبيل الله وهو هداه الذي بعث به رسوله وهو السبيل إليه".

يبقى يا جماعة فيه حاجات بتجعل إنسان يضل عن طريق الله، اللي هم إيه؟ مهلكات. إيه الحاجة اللي بتخليك تضل؟ فيه حاجة من براك، وفيه حاجة من جواك، من الحاجات اللي أشار ليها شيخ الإسلام اللي بتخلي الإنسان يضل من جواه إيه هي؟

إن هو يتتبع هواه، إن هو يكون مش عارف يملك زمام نفسه، إن هو مش قادر يقول لنفسه لأ، اللي هو مش بيجاهد نفسه. عارفين الاستسهال؛ اللي هو كل ما حاجة تطلبها نفسه يعملها، قال: "أو كلما اشتهيتم اشتريتم" كل حاجة نفسه فيها يجيبها، وكل حاجة نفسه يعملها يعملها، يا بني فين مجاهدتك لنفسك؟ وفين وقفتك إن الحاجة دي مينفعش تتعمل لإن ده هيضيع عليا طاعة أو هيخليني أعمل معصية أو هيقوي نازع الشهوة جوايا أو هيخليني أبعد عن ربنا أو هيضيع عليا حاجة كنت مفروض أعملها أولى. فين دماغك؟ فين فكرك؟ فين تصورك؟ فين عقيدتك؟ فين إيمانك؟ فين المحرك داخل قلبك؟

ربنا -سبحانه وتعالى- يعيذنا وإياكم ويعافينا وإياكم من اتباع الهوى ويرزقنا وإياكم باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- واتباع القرآن.

هنا شيخ الإسلام بيحذر من اتباع الهوى قال: "وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها وقد قال -تعالى-: "لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" الملك:٢.

بيقول إن تحقيق المسألة دي هو إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عمل صالح زي أي عمل صالح، والعمل الصالح ياجماعة عشان يتعمل لازم يكون فيه حاجتين الإخلاص والمتابعة، يعني يكون العمل ده لله والحاجة التانية عشان العمل يُقبل يكون على هدي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: "وهو كما قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه". يعني ربنا بيقول: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا"، مين أحسن واحد فينا اللي استطاع إن هو يعمل أحسن عمل؟ طب إيه أحسن عمل؟ أحسن عمل هو العمل اللي أنا حققت فيه إخلاص أعلى من غيري أو إخلاص أعلى من أي عمل تاني. والحاجة التانية إن أنا عملت العمل ده زي ما النبي -صلى الله عليه وسلم- عمله.

فقال: "فإن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-. فالعمل الصالح لابد أن يراد به وجه الله، إنَّ اللهَ لا يقبلُ من العملِ إلَّا ما أريد به وجهُهُ وحده، كما في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: يقول الله -تعالى-: "أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشركِ، فمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فيهِ غَيْرِي فَأَنا مِنْهُ بَرِيءٌ، وهو لِلَّذِي أَشْرَكَ".

يعني يا جماعة لو واحد عمل العمل ده لله تسعة وتسعين في المية وواحد في المية للناس، يعني فيه شركة كده في العمل ده، الشركة الأكبر لمين؟ هو في نفسه لله، قال: يا رسول الله رجل خرج مجاهدًا في سبيل الله يريد الأجر والذكر يعني يريد الأجر من الله ولكن يريد أن يذكر عند الناس، فما له؟ قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لا شيءَ له"

أصل العمل اللي هو النية، والنية يا جماعة في حاجة اسمها نية تمييز العمل، ونية قصد العمل. يعني النية دي فيه جزء منها عقيدة وجزء منها فقه، جزء العقيدة اللي هو اللي احنا بنتكلم فيه ده اللي هو الإخلاص والنفاق أو الإخلاص والرياء، إنما الجزء منها الفقه اللي هو ينفع أنوي نيتين في نية واحدة، اللي هي نية تمييز العبادات، نية الاحتساب دي قصة غير القصة الأولانية.

يعني أنا بصلي ركعتين؛ الركعتين دول كانوا سنة الظهر ولا كانوا الفجر؟ ولا كانوا ركعتين الاستخارة؟ دي اسمها نية في تمييز العمل، الركعتين دول أنا احتسبت فيهم أجر قد إيه؟ ده اسمها نية احتساب، لكن أنا مش باتكلم في النية من باب الفقه، أنا بتكلم في النية من باب أنا أريد إيه بهذا العمل؟ اللي هي نية الإخلاص وغير الإخلاص، والإخلاص يتفاوت.

لكن هنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيوضح إن الباب اللي في النية اللي بنتكلم فيه على مسألة الإخلاص وإن العمل يكون لله. بيقول إن الله –سبحانه وتعالى– بيقول: "أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشركِ"، ربنا –سبحانه وتعالى– لا يحب أن يشرك به في أي عمل أيًا كان نسبة الشرك. قال: "أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشركِ" العمل يا إما يكون لي خالص، يا إما أنا مش هأقبله.

قال: "أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشركِ، فمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فيهِ غَيري فَأنا مِنْهُ بَرِيءٌ، وهو لِلَّذِي أَشْرَكَ"

يعني الله لا يقبل هذا العمل وهذا هو التوحيد الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق وهو حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

يا جماعة نقطة مهمة جدًا إن الله حقه أن يُعبد، واحنا بنقول العدل؛ يعني أداء الحقوق، والدين الإسلامي هو الدين الوحيد على وجه الأرض الذي أعطى لله حقًا لأن لله حق. الله –سبحانه وتعالى– حقه أن يُعبد، يعني جميع الأديان وجميع النظريات الموجودة تجدها لا تُعطي لله حقًا لا حق في التشريع، ولا حق في الحلال والحرام، ولا حق في الثواب والعقاب في الدنيا.

الإسلام جعل لله حقًا، حقًا في كل شيء ودي نقطة مهمة إن حق الله أن يُعبد، أنت مش بتمن على ربنا إن أنت تعبده، ربنا حقه إنه يتعبد، لما واحد يقول لك أديني حقي لأنه حقه. الله حقه أن يُعبد.

قال: "ما حق الله على العباد؟ قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ولابد مع ذلك أن يكون العمل صالحًا، وهو ما أمر الله به ورسوله وهو الطاعة، فكل طاعة عمل صالح وكل عمل صالح طاعة، وهو العمل المشروع المسنون، إذ المشروع المسنون هو المأمور به أمر إيجاب أو استحباب، وهو العمل الصالح وهو الحسن وهو البر وهو الخير، وضده المعصية والعمل الفاسد والسيئة والفجور والشر والظلم والبغي".

هنا يا جماعة شيخ الإسلام بيشير إلى نقطة مهمة جدًا نرجئها للمرة القادمة هي مسألة الاعتبار الرابع من اعتبارات الأمر عن المنكر هو اعتبار النية.

يبقى احنا النهاردة اتكلمنا على مسألة اتباع العلم وعلى عدم اتباع الهوى، وعلى إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالهوى إنما لابد فيه من اتباع الوحي، وإن الميزان ميزان الشرع، وإن الحاجة اللي ممكن تبعد الإنسان عن ميزان الشرع حاجة من داخل النفس البشرية خفية لا يعلمها أحد هي الهوى، فالإنسان لابد إنه يجاهد نفسه، ويخالف هواه ويعرف ازاي إن يكون هواه تبع لما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويعرف ازاي يوزن ميزان الحب والكره والمعروف والمنكر داخل قلبه، لإن ده بيتحكم في كل تصرفاته وهو يكون قدام الناس كلها هو بيأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، لكن الحقيقة هو بيأمر بالمعروف الذي يحبه هو ويكون فيه متبع لهواه، أو يحبه الناس فيكون فيه متبع لهواه، ولا يأمر بالمعروف الذي يرضاه الله –سبحانه وتعالى–.

فده الاعتبار الرابع من اعتبارات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تكلم فيها شيخ الإسلام اللي هو اعتبار النية.

يبقى هو أول حاجة اتكلم على اعتبار الرفق، رقم اتنين اتكلم على اعتبار الموازنة والمصالح والمفاسد، رقم تلاتة على مسألة مخالفة الهوى واتباع ميزان الشرع في مسألة المعروف والمنكر وأصل ذلك الحب والكره، ثم الرابعة مسألة النية.

فأقف عند هذا الحد أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم وجزاكم الله خيرًا.

الإقامة على الثغور (الثبات والتركيز)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما جلس قومٌ يذكرون اللهَ عزَّ وجلَّ إلا ناداهم منادٍ من السماءِ: قومُوا مغفورًا لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتُكم حسناتٍ"[٤٢]، فنرجو من الله –سبحانه وتعالى– أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يعفو عنا وأن يكتب لنا في هذه الدقائق المعدودة قبول عنده، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

إن شاء الله رب العالمين نتكلم النهاردة على موضوع من الموضوعات اللي بتهم الناس اللي شغالين في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– على مختلف التخصصات، وهو موضوع بين ثبات الأعمال وتتبع الفرص في أعمال الدين، يعني مسألة مهمة إن احنا أحيانًا كثيرة بنعاني من التشتت في العمل الدعوي، وخصوصًا في زمان يعني قل فيه الدعاة إلى الله –سبحانه وتعالى–، وانتشر يعني كثير من المفاهيم الخاطئة وابتعد الناس عن الدين في مجال العمل ومجال العلم، أصبح فيه ندرة في الكوادر الدعوية أو ندرة في الناس حاملين الرسالة اللي بيعملوا للدين في مختلف الثغور وفي مختلف التخصصات وفي مواقع كثيرة تجد فقدان الكوادر وتجد الكل بيبحث عن كوادر، وده ممكن يكون أحد الدوافع اللي بتجعل كتير من الناس اللي اشتغلت في الدين إنها بتعمل أكتر من عمل ديني، يعني تجد أهل الدعوة هم قراء القرآن هم أهل العمل الخيري، هم أهل الإغاثة هم أهل العمل الاجتماعي، هم اللي بيعملوا الغسل والتكفين هم اللي بيعلموا وبيتعلموا، وده كتير موجود في بلدان إسلامية وبالذات في مصر مما يجعل الأمر أصبح صعب.

أصبح يزدحم في ذهن الداعي إلى الله –سبحانه وتعالى– الكثير من الموضوعات، وتختلط الثغور، وينتقل أهل الأعمال من عمل إلى العمل ومن ثغر لثغر انتقال عشوائي دون مراعاة لكثير من المعايير الشرعية التي ينبغي أن تكون موجودة في مساحة التفكير لأخذ قرار، سواء هذا القرار الانتقال من عمل لعمل أو قرار التوسع في ثغر معين أو في عمل معين، أو الانتقال من ثغر لثغر عمومًا أو من مسجد لمسجد أو من بيئة لبيئة، ومن المشاهد جدًا إن بعض أهل الدين قديمًا وحديثًا لم يعد ينتبه لمسألة إن هو بيحقق عبودية الله –سبحانه وتعالى– في باب من أبواب الدين، إنما أصبح بيبحث عن الفرقعات عن الأعمال السريعة، وكأن الواقع الحياتي صبغ نفوس الناس بطريقة معينة، حتى انتقل ذلك إلى الأعمال الدينية، إن أصبح الناس بتبحث إلى قليل، يعني مش كل العاملين للدين لكن أصبح إن هو بيبحث عن العمل السريع صبره قل هو عايز حاجة تعمل نتيجة سريعة، هي عايزة حاجة تعمل انتشار سريع، أصبح الناس بتبحث عن الناتج الأسرع دون مراعاة السنن الكونية أو سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ولو احنا هنعبر عن ده نقول إن مثلًا الناس تبحث عن فتوحات، بتبحث عن انتشار وتبحث عن حاجات سريعة النتيجة، ده يؤدي بالبعض إلى إن هو يترك كثير من أعمال الدين ويترك ثغره ويترك عمله، وده بعد فترة من الفترات بيؤدي إلى التخبط والعشوائية، ده أصلًا إن كان الأمر اللي هو ذهب إليه كان أصلًا فتح من الفتوحات، يعني أحيانًا كتير بنترك عمل صالح ليه بنترك العمل الصالح؟ يقول لك أصل انت ما

[٤٢] حسنه الألباني

تعرفش ده عدد كبير من الناس، أصل ده فيه دعوة كبيرة، أصل ده فيه خير كبير، ما هو مفيش حاجة مفيش فيها خير، ويترك الإنسان عمل ربنا –سبحانه وتعالى– أقاموا عليه، وعمل مهم من أعمال الدين وينتقل من عمل لعمل وفي الآخر خالص يجد نفسه مرت الأعوام ومرت السنين، وعنده تجارب كتيرة جدًا لكنه للأسف بيقع في مساحة كبيرة من مساحات الأرض الواسعة العشوائية، ونفسيته بتتخبط وبيبقى بيقول لك أنا مش عارف أنا بعمل إيه، أنا باعمل حاجات كتير وبفهم في حاجات كتير لكني مش عارف أنا أقدر أخدم ديني ازاي وأفيد ديني ازاي، لا شك إن يا جماعة الفتح في الشرع مقصود به فتح القلوب، يعني "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" النصر:١-٢، ربنا –سبحانه وتعالى– فرق بين النصر والفتح، الله –سبحانه وتعالى– له سنن في الفتوحات وله سنن في نصرة العباد الصالحين، وله سنن في التمكين، وله سنن في المعاملات، "سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا" الأحزاب:٦٢.

ومن المهم إن احنا نفهم سنة الله –سبحانه وتعالى–، والله –سبحانه وتعالى– وضح لنا كل شيء يعامل به البشر، كما قال –سبحانه وتعالى– "مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام:٣٨، وزي ما أشرنا في درس الاستغناء والاستعلاء بالوحي إن احنا محتاجين نرجع إلى كتاب الله حتى نفهم لو احنا عايزين نعرف المنطلق فين والهدف إيه؟ ونرى الأشياء على حقيقتها، فعلينا إن نرجع إلى كتاب الله وإلى سنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

مباشرة الفتوحات وترك الثغور يؤدي إلي التخبط والعشوائية، ده أصلًا إن كان الأمر فتح، الفتح في الشرع معناه فتح القلوب، والنصر في الشرع معناه النصر المادي؛ نصر القوة، فتح القلوب لأحكام الشرع، فتح البلاد لتطبيق الشرع، عشان كده كانت بتُسمى الفتوحات الإسلامية لأن الناس كانت بتدخل في دين الله أفواجا، لإن القلوب كانت بتفتح لاستقبال التوحيد، لإن البلدان كانت بتفتح لاستقبال الشرع وإقامة الشرع، عند دخول الإسلام منتصرا في مكة كان ذلك فتحًا، ربنا –سبحانه وتعالى– جعل ذلك فتح عند دخول الناس في دين الله أفواجا سمي فتح، ونزلت سورة الفتح في الحديبية "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا" الفتح:١، الفتح المبين هنا كان فتح قلوب الخلق لدعوة الإسلام، لدعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

انتشرت دعوة الإسلام بعد معاهدة الحديبية وكان ذلك فتح، وسمى الله –سبحانه وتعالى– ذلك فتحًا مبينًا، ولكن هل تتبع النبي –صلى الله عليه وسلم– الفتوحات، وترك الثغور التي وقف عليها، وترك الأعمال المستقرة التي بدأها النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ أم ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الفتوحات ولم يتوسع؟ ومتى كان يتوسع النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ وهل كانت المراحل التي يتوسع فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– مراحل زمنية تنتهي بزمن محدد؟ أم كانت هناك أهداف إذا تحققت وَسِعَنا أن نتوسع؟ ما المعيار؟ ما معيار التوسع؟

بداية خلينا ننطلق يا جماعة نقول إن فيه فرق ما بين الاستبدال والتوسع، إن هتجدوا إن النبي –صلى الله عليه وسلم– بدأ بالدعوة الفردية، ثم توسع النبي –صلى الله عليه وسلم– بالدعوة الجماعية ولم يترك الدعوة الفردية، يعني النبي –صلى الله عليه وسلم– بدأ بالتربية ثم انتقل النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد ما نزل قول الله –سبحانه وتعالى–: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ" الحجر:٩٤، انتقل النبي –صلى الله عليه وسلم– للدعوة العامة، وبعد كده فضل النبي –عليه الصلاة والسلام– في فترة الدعوة العامة فترات طويلة، وبعد كده ربنا أمر النبي –عليه الصلاة والسلام– بالهجرة. النبي لما هاجر لا ترك الدعوة ولا ترك التربية، وكُلِّف النبي –صلى الله عليه وسلم– بأن يقيم دولة، فلما أقام أحكام الشرع وأقام حكم الله –سبحانه وتعالى– في الناس لم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدعوة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– التربية، ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم العبادة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– إقامة أحكام الشرع.

ثم أُمِرَ النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد ذلك بالجهاد والفتوحات، فلما أُمِرَ النبي –صلى الله عليه وسلم– بالجهاد لم يترك النبي –عليه الصلاة والسلام– إقامة أحكام الشرع في المدينة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدعوة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– التربية.

فبدايةً خلينا نوضح إن دعوة النبي ما كانتش دعوة استبدالية، إنما كانت دعوة توسعية، ودي نقطة مهمة جدًا، ينبغي أن يفهمها العاملين لدين الله –سبحانه وتعالى–، والناس اللي بتشتغل في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–، والناس اللي بتعلم الناس قرآن، الهدف مش إنك أنت تستبدل البيئة ببيئة أو واقع بواقع ومسجد بمسجد ومنطقة بمنطقة، إنما الهدف إن أنت تحقق عبودية الله –سبحانه وتعالى–، وأحيانًا ده بيكون إنك تثبت على أمر الله –سبحانه وتعالى– وإنك إنت تلزم الباب الذي فُتِح لك. من فتح له باب فليلزمه. إن شاء الله لو ربنا –سبحانه وتعالى– قدر لنا إن بحث اسمه الإقامة على الثغور؛ مسألة مهمة مسألة إن الناس تركز، إن الناس تبقى عارفة هي عايزة إيه وعارفة هي إمكانياتها إيه، إن مش طبيعي إن احنا كل ما نلاقي بريق نور وكل ما نلاقي حاجة تلمع قدامنا وكل ما نلاقي حاجة مفتوحة قدامنا ندخل فيها، احنا كده عمرنا ما هنعمل أي حاجة.

ترك الثغور وترك الأعمال الدينية من المصائب، يعني من الحاجات اللي ربنا –سبحانه وتعالى– حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– منها، قال: "فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ" القلم٤٨:٥٠، ربنا –سبحانه وتعالى– حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من أن يترك الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى– بحثًا عن أرض جديدة، صاحب الحوت نبي الله يونس بن متى، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "لا تُفَضِّلوني على يُونُس بن مَتَّى"، النبي –عليه الصلاة والسلام– نهي الصحابة إنهم يفضلوه على يونس بن متى، والنبي –عليه الصلاة والسلام– هو أفضل العالمين بلا شك، لكنه هنا ينهى الناس عن أن ينتقصوا من يونس –عليه السلام–. يونس نبي كريم لكنه ترك باب من أبواب الدعوة بحثًا عن أرضٍ جديدة، دون أن يستأذن، دون أن يأخذ الأمر الشرعي من الله –سبحانه وتعالى–، فربنا –سبحانه وتعالى– قال: "فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" الصافات١٤٣:١٤٤. ربنا –سبحانه وتعالى– ابتلى يونس –عليه السلام– لأنه ترك باب من أبواب الدين كان ينبغي أن يقف عليه.

هنا نقف وقفة؛ المستقرئ لحياة النبي –صلى الله عليه وسلم– يرى أنه –صلى الله عليه وسلم– توسع في الدين، يعني في حركات انتقالية واضحة مدروسة مؤسسة بالوحي، انتقلت الدعوة من دعوى الفرد إلى مجموعة إلى طائفة إلى دولة إلى سلطة ثم إلى أمة، من غار يعبد الله فيه –سبحانه وتعالى– وحده إلى الشعاب ثم إلى الوديان ثم إلى جوف الكعبة ثم إلى المدينة وبناء المسجد وإقامة السوق، حتى عمت الدعوة شبه جزيرة العرب وهكذا كانت دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– تنتقل بالخطوة الثابتة من مرحلة إلى أخرى تدرجًا وتوسعًا.

فيثبت النبي –صلى الله عليه وسلم– الأعمال، النبي –عليه الصلاة والسلام– ما كانش بيعمل العمل وبعد كده يسيبه ويمشي، إنما كان بيعمل العمل ويثبته، كان ينشئ الثغور ويركز النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى يقيم أمر الله –سبحانه وتعالى– ثم يتوسع، فكان توسع النبي –صلى الله عليه وسلم– تثبيتًا لمرحلة سابقة حمايةً لها وتمهيدًا لمرحلة ما بعدها، فكانت كل مرحلة بتؤسس على مراحل ثم هي تمهيد لمرحلة أخرى، يعني هي انتقال توسعي وليس استبدالي.

النهاردة احنا بنلاقي الأخ بيبقى بيعمل عمل معين والأخت بتعمل عمل معين أو الداعية بيعمل عمل معين، وبعد كده يفتح هو جمعية خيرية وبعد كده هو يقرر إن هو يبقى هو المركز وبعد كده يعمل هو الجماعة، وبعد كده يبقى عايز هو يبقى رئيس البلد وبعد كده هو عايز يبقى هو مكان النبي –صلى الله عليه وسلم– هو وأصحابه، وهذا فيه خلل شديد في تصور دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم في تصور أصلًا وظيفة الناس في تحقيق أمر الله –سبحانه وتعالى–.

كانت كل مرحلة بتؤسَس على مراحل من التمهيد، بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– بالتربية، ويا جماعة فيه نقطة مهمة هل ترك النبي –صلى الله عليه وسلم– التربية وقت الجهاد مثلًا؟ يعني هل في غزوة الأحزاب؟ هل في غزوة فتح مكة؟ هل النبي –عليه الصلاة والسلام– ترك التربية؟ هل توقف هذا الثغر حتى مات النبي –صلى الله عليه وسلم–؟ لم يتوقف هذا الثغر حتى مات النبي –صلى الله عليه وسلم–.

كنا بنتكلم في بيئة الإيمان يعني مهم إن أنتم تسمعوا درس بيئة الإيمان إن مجالس الوحي من المجالس المهمة جدًا الرئيسة جدًا، مجلس الوحي هذا المجلس الذي انتظم فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– منذ بداية الدعوة إلى نهاية الدعوة، يعني تلاتة وعشرين سنة والنبي –صلى الله عليه وسلم– محافظ على إن هو يجلس مع معلمه جبريل –عليه السلام– حتى في آخر حياة النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يأتيه جبريل يعارضه القرآن فجاء في السنة التي مات فيها –صلى الله عليه وسلم– فعارضه القرآن مرتين.

يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كانت مجالس الوحي بتتضاعف مش بتقل، ما قالش بقى أنا خلاص كبرت ما عدش ينفع أقعد أتلقى العلم عند جبريل –عليه السلام–، ما قالش إن أنا خلاص أنا بقيت عندي مسئوليات كتيرة، إنما هذا هو الثبات، أمر الله –سبحانه وتعالى– بهذا، وهو الصبر على دعوة الله –سبحانه وتعالى– والصبر على دين الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى مسألة مهمة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بدأ بالتربية على الوحي في الغار ثم في دار الأرقم ثم في جلسات ولقاءات قرآنية في مجالس الوحي، ثم التوسع –فيه درس يا جماعة على الساوند اسمه مجالس الوحي أرجو إن انتم تسمعوه أيضًا بعد درس بيئة الإيمان– ثم التوسع بالدعوة في البيوت ثم الدعوة في الشوارع والنوادي والصدع بالحق، "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ" والنبي –عليه الصلاة والسلام– كل الخطوات اللي هو خدها ظل فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– مستمرا عليها حتى أقام النبي –صلى الله عليه وسلم– كوادر فيها، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كان هو اللي بيعلمهم القرآن الأول، كان هو اللي بيحفظهم القرآن، كان هو اللي بيعلمهم ازاي يقرأوا القرآن، وما مات النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى أنشأ كوادر تُعَلِّم القرآن، وقال من أراد أن يقرأ القرآن فليقرأه على قراءة بن أم عبد، وقال خذوا القرآن من أربعة.

فهنا النبي –عليه الصلاة والسلام– بدأ يؤسس أجيال تعمل للدين ويحيل عليها، ودي نقطة مهمة؛ إن النبي –صلى الله عليه وسلم– خطواته كان فيها تركيز شديد وكان فيها وضوح شديد، التوسع كان استصحابًا ولم يكن استبدالًا.

استمرت جلسات الوحي وتوسعت كمًا وكيفًا، كان خباب بن الأرت كان يُعَلِم سعيد بن زيد في نفس الوقت اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيعلم فيه في دار الأرقم، يعني فاطمة بنت الخطاب أسلمت في بيتها مع سعيد بن زيد وكان خباب هو اللي بيعلمهم لما دخل عليه عمر وإن كان الأثر بعض أهل العلم ضعفه وبعض أهل العلم حسنه، لكن فيه نقطة هنا نلتقطها من هذا الأثر في أثر إسلام عمر إن في الوقت اللي كان النبي –عليه الصلاة والسلام– بيشتغل فيه في الدعوة كان فيه واحد تاني عامل مجلس للوحي أيضًا في نفس الوقت.

يعني عمر انتقل من بيت خباب إلى دار الأرقم –على أحد روايات إسلام عمر– إن كان في نفس بيئة مكة كان فيه بيئات مختلفة كانت تعلم الوحي. كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لما يجتمع مع الصحابة في دار الأرقم في ذات الوقت ثم انتقلت الدعوة في مراحل عدة حتى وصلت إلى المدينة، حيث دولة النبي –صلى الله عليه وسلم–. وكان ذلك استصحابًا للدعوة والتربية. ثم اتسعت رقعة الدولة وشرع الجهاد دفعًا، ثم طلبًا بعد الأحزاب لما قال النبي –صلى الله عليه وسلم– اليوم نغزوهم ولا يغزوننا، هنا في هذه المرحلة لم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– إقامة الدولة.

وهكذا انتقلت التشريعات أو انتقلت الأعمال الدينية متوسعة متدرجة، وكان الوحي بينزل منجمًا، لم يكتفي النبي –صلى الله عليه وسلم– بمرحلة من المراحل زي التعليم مثلًا وقال أنا للتعليم فقط وقال إن هذا هو الدين، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– الدعوة، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– التربية بحجة إنه رئيس دولة وأنه عليه أن يقضي بين الناس، ولم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– العمل الخيري والمشي في حاجة الناس حتى إنه كان وهو من هو –صلى الله عليه وسلم– هو رئيس للدولة وهو حاكم وقاضي وهو نبي وهو معلم وهو مربي كانت تأتيه الجارية فتأخذ بيده فيمشي بها في حاجتها في المدينة. النبي –عليه الصلاة والسلام– ما تركش مجلسه التربوي مطلقًا، الصحابة كانوا بيقولون كنا نعد للنبي –صلى الله عليه وسلم– أكثر من مائة استغفار في المجلس الواحد، النبي –عليه الصلاة والسلام– كان

عنده مجالس هو بيعلم بها أصحابه ومجالس بيعظ فيها أصحابه، ولم يتعجل النبي –صلى الله عليه وسلم– الانتقال، لم يكن النبي –صلى الله عليه وسلم– يبحث عن الفتوحات إنما كان يبحث عن مراد الله –سبحانه وتعالى–.

قبل الصبر كانت التربية وأثناء الصبر وبعده كان الإيذاء، قبل الهجرة كانت هجرة الحبشة مرتين، كان الحصار تلات سنين، وأثناء الهجرة كانت المشاق وفقدان الأهل والأحباب، وبعدها كان الجوع والفقر وضيق العيش، كل ذلك لم يمنع هؤلاء من الاستمرار في التربية والدعوة، قبل الدولة كان فيه بيعة العقبة الأولى ثم الثانية ثم بعث مصعب وابنه مكتوم إلى المدينة، كل دي خطوات تدريجية، خطوات تدريجية بالتوسع، خطوات تدريجية لإن فيه خطوة هتتاخد بعد كده.

نقطة مهمة جدًا يا جماعة إن الإنسان اللي بيشتغل للدين ينبغي إنه يوطن نفسه على إنها تكون نفس مرنة. كنا مرة اتكلمنا في درس عن حاجة اسمها النفس المرنة، إن نفوسنا تبقى نفوس مرنة، وازاي تبقى نفوسنا مرنة وازاي نبقى فاهمين أو نبقى ماشيين نتتبع أمر الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى السؤال كيف تعامل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع الفتوحات الدعوية؟

أحيانًا الداعي إلى الله محتاج إنه يركز، محتاج إن هو يبقى عارف هو رايح فين وجاي منين، محتاج إن هو يبقى عارف مرحلته إيه، محتاج إن هو يبقى عارف هو إمكانياته إيه، محتاج إنه يبقى فاهم هو مش مسئول عن الكون، إنما هو مسئول عن نفسه ومسؤول إن هو كيف يرضي الله –سبحانه وتعالى–؟ وكيف يبحث عن الإحسان في رضا الله –سبحانه وتعالى–، ازاي إن أنا عندي إمكانيات معينة، ازاي أوظفها في طاعة الله –سبحانه وتعالى–؟

طيب افرض واحدة مثلًا بتحفظ أطفال قرآن وبعدين فجأة اتعرض عليها درس، افرض واحد ماشي وهو مثلًا بيدي دروس وبعدين فجأة اتعرض عليه إن هو يحفظ قرآن أو اتعرض عليه إنه يمسك مسجد أو اتعرض عليه إنه يمسك عمل دعوي أو عمل تربوي كبير أو إنه يشارك في مسألة مثلًا فيها نوع من أنواع الأعمال اللي فيها أعداد كبيرة من الناس، هل يا ترى الإنسان هنا يترك اللي هو عليه وينتقل إلى العمل الجديد والحاجة اللي هو يظنها فتح؟ يعني مثلًا لو واحدة بتحفظ مجموعة أطفال قرآن وبعد كده واحدة صاحبتها قالت لها أنا حاسة إن أنت أسلوبك جميل وظريف وإيه رأيك إن انت تيجي معايا تَحَضَّرِي درس وتيجي تديه لمجموعة من البنات؟ قامت هي راحت فلقت البنات دول قالوا لها والله ده احنا معجبين جدًا بكلامك، طيب بقول لك إيه ده احنا لنا أصحابنا كتير أوي، فممكن تقعدي معاهم؟ فبدأت تقعد معاهم، فبعد كده بدأوا أصحابهم دول يجيبوا أصحابهم وبعد كده بدأوا درس كبير، وبعد كده واحدة قالتلها معلش أصل أنا بنتي عندها مشكلة كبيرة ومحتاجين تقعدي معها وعندها شبهة إلحادية، فبدأت هي تروح تقعد مع الشبهة الإلحادية، كل ده خلاها تضيع أصلًا الحاجة اللي هي كانت بتعملها في الأول، اللي هي ربنا –سبحانه وتعالى– جعلها سبب من أسباب الفتح، ثم بعد ذلك بعد مجموعة من الانتقالات في العمل ده ثم العمل ده ثم العمل ده ثم تنظيم ندوة ثم الوقوف في جلسة فلانة، ثم الحقي ده فيه درس مش عارف بيتقال فين، طب الحقي ده فيه عمل دعوي فين، طب الحق ده فيه شغل دعوي فين، لحد ما فضلت تنتقل من هذا إلى هذا حتى وصلت إلى إنها بعد فترة لقت نفسها ما بتعملش أي حاجة، ولقت نفسها عندها كمية أعمال كتيرة جنب بعضها لكن هي مش مركزة في أي حاجة، وكل الثمرات اللي حواليها كلها ثمرات ضعيفة هشة بسيطة لان هي نفسها ما ركزتش، فبالتالي الناس كمان حواليها ما ركزوش، يا ترى هل ده صح؟ هل السيناريو ده، هل تعدد الأعمال ده، هل الانتقال من عمل لعمل لعمل لعمل تحت زعم إن ده ما ينفعش يتساب وده فتح كبير وده عمل مهم وده حاجة عظيمة، هل الحاجات دي كلها يا جماعة أنتم شايفين ده صح؟ يقينًا لأ، يقينًا فيه مشكلة هنا في الانتقال من عمل لعمل وعدم التركيز.

شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– لما فتح المدينة وإن شاء الله يعني خليني أشير إليها وإن كانت محتاجة إلى تفصيل مرة أخرى لكن الوقت مش هيسعفني إن أنا أتكلم فيها النهاردة في بحث الاستخلاف– النبي –صلى الله عليه وسلم– يا جماعة لم يترك العمل، النبي –عليه الصلاة

والسلام– لما كان أحيانًا يحصل فتح أو يحصل إن فيه حاجة مهمة ويحصل إن هو محتاج إنه يجمع بين عملين ويرى إن فيه مصلحة شرعية حقيقية من إن هو يعمل حاجة، النبي –عليه الصلاة والسلام– أسس بيئة قوية جدًا، ثم بعد ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– كان أحيانًا يطلع بره هذه البيئة لكنه كان بيستخلف، يعني بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– مصعب وابن أم مكتوم بينما هو بقى في مكة مع الصحابة في بيعة العقبة الأولى وبعدين بيعة العقبة الثانية النبي –عليه الصلاة والسلام– بعت ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلموا الناس القرآن.

كان ممكن النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول لهم تعالوا أعلمكم أنا، ما هو الناس جايين يقولوا احنا أسلمنا معاك وهاجر معانا وعندنا استعداد إن احنا نتحمل أعباء الدعوة ونتحمل أعباء الدين، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– بقي مع الصحابة في مكة وبعت مستكشفًا.
بعث مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم وبقي هو في مكة داعيا مربيًا.
وكذلك أبقى المسلمين في الحبشة ولم يأمرهم أن يتحولوا من الحبشة إلى المدينة، الحبشة فتح والمدينة فتح ومكة ثغر، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– ما تركش ثغر لثغر ولا فتح لآخر.
في فتح خيبر النبي –صلى الله عليه وسلم– استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري.
في فتح اليمن النبي –عليه الصلاة والسلام– لم يترك المدينة إنما بعث معاذ قائد.
هنا يا جماعة فيه نقطة مهمة: إن التوسع محتاج كوادر، محتاج دماء جديدة، محتاج معرفة يعني إيه ثبات، محتاج معرفة إيه الحاجة اللي محتاجة حاجة اكتر من حاجة، محتاجة معرفة إن ازاي إن أنا مش هعمل حاجة بتضييع حاجة، يعني أنا بعمل حاجة وأنا بحافظ على الحاجة اللي معايا، أنا بزود وأنا بحافظ على الحاجة اللي معايا، طب افرض تعارض ده مع ده مش هعمله، ما عنديش إمكانياته، اللي هو "لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ" التوبة:٩٢ هسيبه، طب ازاي هسيبه؟ ده فتح كبير ده درس عظيم ده بنات ممكن تلتزم ده ناس قلوبها مفتوحة، معنديش إمكانياتها اعمل إيه؟ هبحث عن حد يشيلها، مفيش حد يشيلها خلاص معنديش إمكانيات هعمل إيه؟ يعني هنا هحاول أجمع، لكن فكرة إننا ننتقل من عمل لعمل لعمل ونفقد تركيزنا ونفقد عملنا ونفقد ثغورنا ونفقد علاقتنا بالله –سبحانه وتعالى– ونفقد ثباتنا واستمرارنا وده بيؤدي إلى إن بعد فترة من الفترات تجد إن انت أو تجدي إن انت معندكيش تخصص، لإن انت بتشتغلي كل حاجة، اللي هو بيشتغل بنّاء ومقاول، وعلى رأي واحد كان بيقول لي أنا بلبس الحداشر فانلة في الفريق، يعني أنا بلعب مهاجم وبلعب مدافع وبلعب خط وسط، أنا بالبس الحداشر فانلة وبلعب المدرب، يعني أنا بلعب الشيخ وأنا اللي بحضر الدرس وبلعب الداعية وبلعب طالب العلم وبالعب المدعو وأنا اللي بجيب الناس وأنا اللي بنظم الناس وأنا اللي بعمل كل حاجة، ثم بعد ذلك أنا أبدأ أدي الدرس، وبعد كده بعد ما أدي الدرس أبدأ أحافظ على الدرس، وأتابع الناس وبعد كده أبدأ أحفظهم وبعد كده أبدأ أعلمهم، طب ما هو ده هيؤدي إن احنا معندناش ولا واحد متخصص في حاجة، كله بيشتغل كل حاجة، ما ده هيخلي إن يبقى فيه سطحية في الطرح، لإنه مهما بلغ الإنسان من قوة تركيز مش هيقدر يجمع بين هذه الأشياء.

لذلك يا جماعة مسألة التركيز مسألة مهمة، مسألة معرفة الأهداف مسألة مهمة، مسألة الثبات على الثغور، مسألة مهمة، مسألة الاستخلاف إذا أنا هترك عملي محتاج جدية إن أنا هترك عمل معين؛ انت قايمة على بيئة معينة لو انت هتمشي منها لأجل إن فيه حاجة مهمة جدًا وعظيمة جدًا ومشوار دعوي خطير جدًا؛ لازم تستخلفي. افرض ما لقيتش حد أستخلفه؟ خلاص ما تسيبيش عملك مطلقًا.
شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– يا جماعة في فتح مكة؛ النبي –عليه الصلاة والسلام– يا جماعة لم يقيم في مكة، عارفين مكة أحب بقاع الله إلى الله، وأحب البقاع إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومع ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد فتح مكة ما قالش خلاص والله مكة بقى اتفتحت أنا هقعد في مكة، لكن النبي –عليه الصلاة والسلام– قبل فتح مكة استخلف الناس على المدينة وبعد فتح مكة النبي –عليه الصلاة والسلام– رجع عاش في المدينة مرة أخرى، واستخلف على مكة مجموعة من الناس متوالين.

مع إن فتح مكة فتح عظيم جدًا، أنتم متخيلين يعني إيه فتح مكة؟ لكن النبي –عليه الصلاة والسلام– يدرك تماما سنة الله –سبحانه وتعالى– في معاملة الخلق، يدرك تمامًا مسألة التركيز، يدرك يعني إيه ثغور، يعني إيه إقامة على الثغور، إن مش الطبيعي إن سنة الله –سبحانه وتعالى– في المعاملة إن الإنسان كل ما يعمل حاجة ينقضها، وكل ما يقيم عمل صالح يتركه، وكل ما يمسك في ثغر يسيبه، وكل ما يفهم في تخصص شوية ينتقل منه إلى ثغر آخر، بل هذه مسألة تحتاج منا إلى تركيز كبير جدًا.

شوفوا ابن عباس بيقول لما خرج النبي –صلى الله عليه وسلم– لفتح مكة استخلف على المدينة أبا رُهمٍ كلثوم بن الحصين الغفاري، النبي –عليه الصلاة والسلام– استخلف على المدينة صحابي، ممكن كتير من الناس مش عارفين مين كلثوم بن الحصين، لكن هو كان لابد من حد يقيم الصلاة، لابد من حد يقيم على الوظائف الشرعية المهمة في مدينة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– بيستخلف حد ويذهب إلى الغزوة ثم يرجع مرة أخرى، ودي سنة الله –سبحانه وتعالى– ودي سنة النبي –صلى الله عليه وسلم– بأمر الله –سبحانه وتعالى–.

وموجود في كتاب الله –سبحانه وتعالى– زي في قصة سيدنا موسي ممكن نطرحه بعد كده لو ربنا –سبحانه وتعالى– قدر إن شاء الله في دورة أخري إن شاء الله رب العالمين في بحث الاستخلاف، إن سيدنا موسي قال: "اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي" الأعراف:١٤٢، إن الداعي عنده مهام مش هينفعش يترك ده ويسيب ده وينتقل من ده لده ويتعامل بنوع من أنواع الاستخفاف وأصل دول عددهم أكبر من دول وأصل دول أهم من دول، وأصل دول أولاد ناس أغنيا ودول ولاد ناس فقرا، أصل دول مناصب في المجتمع فاحنا لازم نقعد معاهم.

ربنا –سبحانه وتعالى– عتب على النبي –صلى الله عليه وسلم– في سورة تتلى إلى يوم القيامة قال: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ" عبس:١٠:١، فربنا –سبحانه وتعالى– عتب على النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه ترك من جاءه يسعى ثم انتقل أو ذهب ليدعو كبراء مكة، خدوا بالكم إن دعوة النبي –عليه الصلاة والسلام– ما كانتش دعوة بسيطة، يعني أبو جهل ده لو كان أسلم ولا كبار مكة أمية بن خلف ولا أبي بن خلف دول لو كانوا أسلموا كانوا وفروا على الدعوة خمستاشر عشرين سنة، ومع ذلك ربنا –سبحانه وتعالى– عتب على النبي –عليه الصلاة والسلام– قال له: لأ لأ ابن أم مكتوم أهم من هؤلاء، وابن أم مكتوم جاءك يسعى ومادام جاءك يسعى فلا تترك من جاءك يسعى لأجل هؤلاء الذين أعرضوا عن الدين، لإن كتير من الناس ممكن يقول أصل دي بنت فلان أصل دي بنت فلانة أصل دي معها جامعة إيه؟ أصل دي شاطرة قد إيه؟ أصل دي منصب مهم، أصل ده ممكن يؤثر في المجتمع، ده كله كلام مخالف تمامًا لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله –سبحانه وتعالى–.

طبعا ازاي أتوسع في عمل؟ لو إن عندك تمن. يعني يا جماعة الأعمال مبنية على الكوادر، إذا مفيش كادر يعني احنا نفسنا نبني جمعية خيرية، طب إنت عندك حد يشيل جمعية خيرية؟ لا احنا اللي هنشيلها، احنا نفسنا نعمل كتاب، هو انتم عندكم حد يشيل كتاب؟ لا، هو مين اللي هيشيله؟ احنا. أنتم مين؟ أنتم أصلًا كلكم مطحونين؟ وكل واحد بيعمل خمس ست عشر أعمال في بعض، وهو محتاج يتخفف من الأعمال عشان يركز ويتبنى في ثغره أصلًا، عشان يفهم هو محتاج إيه، ويفهم هو عايز إيه، ويفهم هو إمكانياته إيه، ويفهم هيكمل فيه ازاي، عشان يعرف ينتج.

التوسع محتاج كوادر، محتاج بيئات، محتاج بيئة مناسبة، محتاج توجيه، محتاج تحمل مسئولية، محتاج فهم لطبيعة البيئة الجديدة وطبيعة المجتمع الجديد أو التوسع الجديد أو العمل الجديد. طب إنت عندك تمن ده؟ لأ ما عنديش. محتاج نفهم يعني إيه استخلاف.

محتاجين يا جماعة أربع قواعد في التوسع:

الأولى: وجود الكوادر التي تحمل التوسع وعندها تصور وهدف.

رقم اتنين: إيجاد بيئة مناسبة قبل ما تنتقلي من عمل لعمل وقبل ما تنتقلي من مكان لمكان، وقبل ما تنتقلي من ثغر لثغر، وقبل ما تنتقلي من مجموعة لمجموعة، وقبل ما تنتقلي من تخصص لتخصص، وقبل ما تنتقل من دعوة لدعوة، ومن مجموعة لمجموعة، ومن بيئة لبيئة، محتاج تفهم الأربع الأشياء هذه الأربع قواعد الأولى وجود كوادر تتحمل التوسع، اتنين وجود بيئة مناسبة ويوجه فيها الكوادر وتتحمل مسئولية التوسع من إقامة أكثر من ثغر، وإلا؛ عارفين رُفِعَ ليسقط.

كان فيه مرة واحد عنده بيت تلات أدوار، وكان عايش فيه لكن البيت ما كانش مبني على أعمدة، كان مبني على حيطان، يعني البيوت القديمة ما كانش بيتعمل فيها حفر وأعمدة لتحت وبعد كده يعملوا أساسات قوية، كان الناس بتبني على حيطان حاملة، فكان بيعمل مثلًا دور ويصب وبعد كده يعمل دور تاني ويصب، فكان البيت تلات أدوار مبني على حيطان حاملة، يدوب البيت قايم بذاته كده قايم على قده يعني على ما قسم على قده خالص، وبعدين أحد السكان قال له والله أنا هبني دور رابع علشان أسكن فيه، فقالوا له يا ابني والله البيت ما يتحملش، قال لهم ليه؟ أنا مش هكلف حد حاجة، هو ما حدش هيخسر أي حاجة، أنا هاكلف الحيطان وأنا هاصب السقف، وأنا هادهن ومش عايز من حد منكم حاجة، وانتم ما بتكرهوليش الخير وأهي شقة زيادة وخلاص، ويبقى كل واحد فيكم عايش في شقة وأنا هزود شقة لي أتزوج فيها، بدأ هو يرفع البيت وبدأ يرفع السقف وبعدين اللي حصل إن الأربع أدوار وقعوا، فرُفِعَ ليسقط.

إن أحيانًا إمكانياتك إنك إنت تكون قايم على عمل معين أو يدوب عملين بالعافية، لما بتيجي تتوسع بتوقع كل حاجة، بتبوظ كل حاجة، حتى الأعمال اللي كنت بتعملها ماعدتش عارف تعملها، فكان الأولى لك إنك أنت تفهم إمكانياتك إيه، وبيئتك إيه؟ واحتياجك إيه؟

يبقى القاعدة الأولى: وجود الكوادر التي تتحمل، الكوادر دي يعني الأشخاص، أي عمل أي مشروع محتاج كادر، أي عمل أي مشروع محتاج شخص يشيله، اسألني أحكي لكم على آلاف الأعمال الخيرية على آلاف الأعمال الدعوية على آلاف المجموعات الدعوية والتربوية والتعليمية التي سقطت. لماذا سقطت؟ سقطت لإنه ما كانش فيه حد شايلها، كانوا كلهم ناس بتتجمع في الهيصة وتمشي في الهيصة، كمية أنشطة، يعني أنا أعرف دعاة عملوا كمية أنشطة آلاف الشباب، عشرات الآلاف من الشباب بل والله مئات الآلاف من الشباب، سمعوا دين واتحملوا دين لكن ما كانش فيه حد يتحمل هؤلاء، ولا حد يعلم هؤلاء، ولا حد يربي هؤلاء، ولا حد يتحمل دعوة هؤلاء، فهو عمل وخلاص، يقول لك أصل إنت ما تعرفش الدورة داخل فيها كم واحد؟ وبعد ما دخل فيها كام واحد؟ خرجوا ما دخلوا، طيب ما كان الأولى لك انك انت تعرف انت إمكانياتك إيه وتعمل حاجة على قدك، عشان تعرف تكمل بهم، عشان تعرف تستنقذ مجموعة من الناس تغير حياتهم فعلًا لتكون أرضى لله –سبحانه وتعالى–، بدل ما احنا بنعمل أعمال فيها انتشار كبير وفرقعات وهيصة وبريق وكلام كتير، ثم لا تجد كثير من الناس يثبت على دين الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى رقم واحد: وجود ناس شغالة، وجود متخصصين، وجود كوادر، وجود ناس عايزة تنتج حقيقة وتقدر تتحمل مشروعات وتقدر تتحمل أعمال دعوية.

رقم اتنين: وجود بيئات، لو مفيش بيئة، لو فيه كادر أوي ومفيش بيئة يشيل، يعني هتعمل بيئة تعليمية ومفيش علم ومفيش طلب علم ومفيش شيخ يعلم ومفيش كتب ومفيش دورات، طيب هيبقى فين البيئة التعليمية؟

رقم تلاتة: فقه الاستخلاف: أحيانًا ممكن نسيب أعمالنا عشان ننتقل لعمل آخر أو نسيب بيئتنا عشان نروح لبيئة أخرى، لكن ده مش دائما ده فقط مؤقتا، يا جماعة من فُتِحَ له باب فليلزمه، يا جماعة الأعمال ما بتتبناش بالأسبوع والأسبوعين والشهر والشهرين، يا جماعة سنة الله في التغيير محتاجة لناس ثابتة ومحتاجة ناس عندها بذل وثبات واستمرار فترات طويلة.

ثم رقم أربعة: تحمل التبعات.

يبقى التوسع استصحابًا وليس استبدالًا.

التوسع منوط بإيجاد الكوادر.

الاستخلاف على الأعمال قبل تركها سنة.

الترتيب والتدريج شرع لا يجوز التخلي عنه، فلا تتخلى عن الدعوة والتربية.

دي قواعد يا جماعة احفظوها، التوسع استصحابًا وليس استبدالًا، احنا مش بنستبدل أعمال بأعمال، إنما احنا بنتوسع، التوسع استصحابا وليس استبدالا، التوسع منوط بإيجاد الكوادر، إذا مفيش حد يشيل، عارفين واحد يجي يقول لك والله أنا نفسي اعمل مشروع كذا كذا، تقول له حضرتك عندك وقت؟ لأ، حضرتك عندك حد يشيله؟ لأ، حضرتك عندك تصور له؟ لأ، امال إنت جاي تقول لي إيه؟ جاي أقول أفكار حبيبي أنا مش محتاج أسمع أفكار أنا محتاج كوادر تشيل دين. ده مش تنطيط ولا استكبار عن سماع الأفكار، إنما معرفة حقيقة الحياة وسنة الله –سبحانه وتعالى– في إقامة الأعمال، العمل ما بيقومش علي الأفكار. مش كل واحد هيجي يقول فكرة إنما هتشيل لا مش هشيل، إيه رأيك نعمل كذا؟ هتقدر تعمل؟ لا مش هقدر أعمل، طيب انت بتطرح عشان أنا أعمل؟! والله أنا ما عنديش قدرة على العمل، قلقان لإن أنا مشغول بواحد اتنين تلاتة أربعة.

التوسع منوط بإيجاد الكوادر، الاستخلاف على الأعمال قبل ترك الأعمال سنة، وان احنا محتاجين أننا نفهم يعني إيه جدية العمل؟ ما حدش يا جماعة يستصغر عمل للدين، يعني ما حدش يقول هو أنا بعمل إيه أصلًا؟ يا جماعة المرأة كانت تقوم المسجد، تقوم المسجد ده يعني بتكنس المسجد، والنبي –صلى الله عليه وسلم– صلى عليها، عارفين يعني إيه واحدة كانت بتكنس المسجد، والنبي –عليه الصلاة والسلام– يبحث عنها يصلي عليها؟ هو مين نال هذا الشرف؟ مين عالم ولا شيخ يتمنى في يوم من الأيام إن النبي –عليه الصلاة والسلام– يصلي عليه؟ النبي –عليه الصلاة والسلام– يبحث عنها، ليه؟ كانت عاملة للدين؟ إيه ثغرها في الدين؟ ثغرها في الدين اللي كانت بتقف عليه اللي هي تملكه، ما كانتش بتعرف تعمل حاجة لا كانت شيخة ولا كانت معلمة ولا كانت مربية، كانت بتروح كل يوم تنضف المسجد من الحصى، المسجد كان بييجي كلاب تتبول فيه، كان بيجي فيه حصى كبير، كان فيه رمال، الريح بترمي الرمال أو طوب كتير، صخور، فكانت كل يوم تيجي تنضف معاها مقشة أو حاجة، تيجي تنضف الحصى الكبير وتكنس المسجد وتنضفه، بس كده؟ بس كده، ده كان ثغرها؟ ده كان ثغرها، هو ده اللي كانت تقدر عليه، ولكن كانت ثابتة عليه، كانت عايزة تعمله تتقرب بيه إلى الله –سبحانه وتعالى–، كان عندها تركيز في عمل للدين مهم ربما يستصغره كثير من الناس، لكن أنا عايز أقول لك مفيش حاجة في الدين صغيرة، مفيش حاجة في الدين ما لهاش قيمة، مفيش واحد بيشتغل للدين ما لوش قيمة، كل الأعمال الدينية لها قيمة، كل الناس اللي بتشتغل للدين لهم قيمة، كل الناس اللي بتعمل للدين له مكانة عند الله –سبحانه وتعالى–، ما حدش يستصغر عمله وما حدش يحتقر عمله، إن شاء الله أيضًا نعمل دورة في مشاكل عاملي الدين، في مسألة احتقار الأعمال، مفيش حاجة اسمها يا جماعة عمل قليل في الدين، مفيش حاجة اسمها إن واحد بيشتغل للدين وعمله قليل ولا عمله قليل ولا عمله أقل من العمل اللي أنا بعمله، لإن أحيانًا الواحد بيسمع نعرات كده يقول لك: لا لا أصل ده واعظ، لا لا لا أصل ده الداعي، لا لا لا أصل ده مش طالب علم، لا لا لا أصل ده مش فاهم إيه، أصل ده حركي، كمية تصنيفات وكمية نوع من أنواع الاستهزاء والسخرية من أعمال الدين "يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ" التوبة:٧٩، اللي هو واحد أعطى عمل بسيط، ربنا –سبحانه وتعالى– عتب على هؤلاء الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، الواحد لا يملك إلا جهده، يعني ما يملكش إلا حاجة بسيطة ما يملكش إلا جهد بسيط ساعة في الأسبوع أو ساعتين في الأسبوع، وده جهده، عليه إنه يركز بقى، عليه إنه يفهم الساعتين اللي في الأسبوع ولا الساعتين اللي بيملكهم في اليوم يعملوا إيه، كان مرة أخ بيقول لي أنا عايز اشتغل في الدين قلت له عندك وقت قد إيه؟ فقال لي أنا حياتي لله، قلت

له يا عم سيبك من الكلام الكبير ده تديني وقت قد إيه؟ هقول لك على حاجة؛ اديني ساعتين في الأسبوع بس منتظمين ثابتين نعمل فيهم عمل لله سوا، قالي ساعتين ده قليل جدًا ده أنا ممكن أدي خمس ساعات في اليوم، قلت له أنا مش عايز منك خمس ساعات في اليوم، أنا عايزك تديني ساعتين في الأسبوع لله، وتركز فيهم، انت بتعرف تعمل إيه في الدين؟ أنا بعرف أحفظ أطفال، قلت له طيب خلينا نعمل ساعتين في الأسبوع حفّظ فيهم أطفال لله –سبحانه وتعالى–، والله يا جماعة هو شهر، تاني شهر قال لي أصل أنا والظروف والحكاية ومش هقدر.

يا إخواننا دعكم من الكلام الكبير ودعكم من المساحات الواسعة اللي احنا بنحدث بها نفسنا إن احنا نقدر وهنقدر وهنعمل أنا بكلمكم على الواقع، أنا بكلمكم على الحقيقة، راجل بتشتغل وعندك بيت وعندك لحياة وعندك اهتمامات وعندك مسئوليات وعايز تتعلم ولك بيئة اجتماعية ولك رحم ولك أب وأم ولك مجتمع وعايز تاكل من حلال، طبيعي إنك عندك مسؤوليات حياتية فطبيعي إن يكون الوقت اللي عندك الباقي اللي انت هتشتغل فيه في الدين محتاج انك تركز، الوقت ده بقى اشتغله في إيه؟ ويا ترى اشتغله شغلانة واحدة ولا أي حاجة ماشية في الشارع أي حد بينادي في أي حتة آجي أنا رايح معاه؟

مراحل الدعوة يا جماعة محتاجة مننا تركيز، التركيز على الثغور والإقامة على الثغور، مسألة مهمة جدًا، معرفة سنن الله –سبحانه وتعالى– مسألة مهمة جدًا.

مكة كان فيها تربية إيمانية وتربية علمية، دار الأرقم كان فيها إقامة أفراد مؤمنين وبيئات إيمانية، التوسع كان فيه الدعوة "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ" والنبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيخشاهم في الأسواق، وكان بيذهب إلى أسواق العرب والناس كانت بتقف تتكلم في الشعر، وفجأة لقوا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيتكلم في نص الناس يدعوهم جهارًا ونهارًا، ويبدأ يكلمهم، وبعد ما يروحوا النبي –عليه الصلاة والسلام– يعقد مجالس الوحي في بيوت الناس، وبعد كده الحصار.

مراحل الدعوة كانت مراحل واضحة توسعية ثابتة، بلاش إن احنا نبقى عندنا عجلة نبقى مش فاهمين الناس بتتغير ازاي، نبقى مش فاهمين البيئات بتتغير ازاي، نبقى مش فاهمين الشيطان بيشتغل ازاي، "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" فاطر:٦.

فيه درس يا جماعة مهم –يبقى أنا النهاردة قلت على تلت دروس مهمين– درس بيئة الإيمان ودرس مجالس الوحي ودرس اسمه الشيطان عدو. خلينا نحاول نسمعهم لحد الأسبوع الجاي، اللي هو الدرس الأخير في نهاية هذه الدورة، إن احنا نحاول نسمع هذه الدروس، بيئة الإيمان والشيطان عدو ومجالس الوحي.

النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يهز عرش الشيطان، يعني االنبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيقيم بيئة ورا بيئة ورا بيئة، وتوسع ورا توسع، وفرض ورا فرض بيتغير ومجتمع بيتغير بالطريقة التي أمر الله –سبحانه وتعالى– بها. النبي –عليه الصلاة والسلام– ما كانش أي حاجة بتتفتح نجري وأي حاجة نروح، صحيح النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيقبل الفتوحات بطريقة غير عادية لكن في نفس الوقت كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يقيم على ثغره، كان النبي –عليه الصلاة والسلام– بيستصحب الفتوحات الدعوية.

طبعا مراحل دعوة النبي –عليه الصلاة والسلام– ممكن نقولها لكن هتحتاج مننا إن احنا نلخص السيرة، يعني أول شيء أقامه النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إقامة معاني التوحيد وتربية التوحيد وبناء بيئة الإيمان ومستقر الحياة المسجد النبوي، وبعد كده بدأ التوسع الدعوي، وبعد كده بدأ اجتماع المسلمين، وبعد كده بقى فيه صف.

النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام معاهدة مع اليهود وكل ذلك والنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يترك الدعوة، لم يترك التربية. النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام صرح الأخلاق "أفشوا السَّلامَ وأطعِموا الطَّعامَ وصِلوا الرحام وصَلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ"[٤٣]، والنبي –عليه الصلاة والسلام– أمرهم إن هم يظهروا الأخلاق وأمرهم إن هم يجتهدوا في حسن الخلق مع جميع الخلق، وده لم يجعله يترك الدعوة وإنما كان بيقيم صرح الأخلاق وصرح التربية موجود، كان بيقيم صرح الدعوة وصرح الأخلاق موجود، كان بيقيم صرح الجهاد وهو مستصحب الأخلاق، ما قالش لأ خلاص بقى مادام دي حرب مفيش أخلاق.

النبي –عليه الصلاة والسلام– علم الناس الأخلاق في أثناء الحرب حتى مع الأعداء، مسألة إن الدين يتحكم في كل شيء في الحياة، إن الدين له سنن، أن الله –سبحانه وتعالى– له سنن، وكذلك الأعمال لها سنن، الخطوة يا جماعة اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– أخذها لم يرجع فيها، بل تحمل تبعات كل خطوة، يعني الأمر اللي النبي توسع فيه كان له تبعات كبيرة جدًا؛ تبعات على مستوى الحياة، على مستوى الوقت، على مستوى المسئولية، على مستوى الأموال، على مستوى نفسيات الناس، زيادة على الأصل يعني الفترة اللي أسلم فيها خالد بن الوليد وأسلم فيها عمرو بن العاص زي ما اتكلمنا في مسألة المقامات والقيادة، الفترة دي دخل عدد كبير من الناس في دين الله أفواجا، ده عمل مشكلة عند الناس القديمة، ومع ذلك النبي –عليه الصلاة والسلام– استوعب ذلك، النبي –عليه الصلاة والسلام– تحمل تبعات ذلك، النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام مفاهيم جديدة حتى يتحمل التوسع الجديد والفتح الجديد، لأجل العمل الجديد ولأجل إقامة البيئات الجديدة ولأجل إقامة الأشخاص والأوامر الشرعية الجديدة التي أمره الله –سبحانه وتعالى– بها.

نقطة مهمة جدًا يا جماعة إن لكل توسع ثمن ولكل توسع تبعات، ودي القاعدة الرابعة إن فيه تبعات لده؛ تبعات لده على مستوى المسئولية، على مستوى الإدراك، على مستوى الفهم، على مستوى النفسيات، على مستوى الإنفاق، على مستوى الوقت، على مستوى المال، على كل المستويات. ولذلك مهم إن احنا نتحمل التبعات وإلا فاحنا نفضل نتحول إلى –عارفين اللي قاعد يعمل عمل وبعد كده ينقضه بعد كده ينتقل من عمل لعمل وبعد كده ينقضه عارفين اللي هو واحدة قاعدة تنتقل من كلية تجارة لكلية زراعة لكلية علوم لكلية كذا ثم المعهد كذا ثم المعهد كذا ولا شهادة خلصتها ولا تخصص خلصته ولا هي بعد عشرين سنة من الدراسة بقى معاها حاجة–، بقت بتعمل كل حاجة وفي كل حاجة فاهمة أي حاجة، ولكنها حقيقة مفيش عمل تقدري تقولي إن دي تخصص قرآن أو ده تخصص تربية أو ده تخصص دعوة أو ده تخصص مرحلة من مراحل الدعوة أو ده تخصص تعليم أو ده تخصص أيًا كان بقى.

كان شيخ الإسلام له كلمة جميلة كان بيقول الصادق يصنع الله له، إن أي حد بيشتغل للدين لو هو صادق مع الله –سبحانه وتعالى– ربنا –سبحانه وتعالى– هيصنع له الباب اللي هو بيعرفه، لإن كتير من الناس هو ما عندوش حاجة يعملها في الدين، أحد أصحاب الجماعات كان بيقول لي هو يعني هنعمل إيه يعني؟ هو الناس يا إما متعلمين يا إما بتوع عمل خيري، هو فهمه وإدراكه للحياة إن عبودية الله –سبحانه وتعالى– يا إما الناس تنتظم في عمل دعوي أو عمل تعليمي يا إما الناس تنتظم في عمل خيري، وده طبعا ده من السطحية بمكان. يا جماعة كل نَفَس الإنسان يستطيع يعبد ربنا –سبحانه وتعالى– فيه، وعلى قدر الناس على قدر الثغور، كل إنسان ممكن يكون له باب من أبواب الدين ما حدش يعرفه تاني خالص، ربنا –سبحانه وتعالى– هيصنعه له إذا هو أراد، مش لازم الناس اللي انت بتربيهم أو الناس اللي بتعلميهم يكونوا على نفس الباب اللي إنت بتعمليه ويختاروا نفس الاختيارات اللي انت بتختاريها، لكن المهم إن هم يكونوا أصحاب دين، المهم إن هم يكونوا يريدوا الله –سبحانه وتعالى– إن هم يريدوا أن يتقربوا إلى الله –سبحانه وتعالى–، المهم إن هم يريدوا أن يتعلموا الوحي، المهم إن هم يريدوا إن هم يدخلوا الجنة، المهم هم يكون معيارهم هو الوحي وهيكون قدوتهم هو النبي –صلى الله عليه وسلم–.

---

[٤٣] صحيح ابن حبان

ولو حصل تعارض ما بين الثغور وما بين الأعمال الدعوية لا ينبغي أن يُستغنى عن الحد الأدنى، يعني أحيانًا فيه وقت اسمه وقت النفرة العامة وقت النفير العام، يعني إيه؟ يعني مثلًا النبي –صلى الله عليه وسلم–كان مثلًا في وقت غزوة الأحزاب أو في وقت غزوة فتح مكة، ما كانش بيقول كل واحد قعد في مكانه، لأ، كان في حد أدنى من كل حاجة موجود؛ يعني كان فيه اللي بيحفظ القرآن موجود، واللي بيعلم النساء موجود، واللي بيعلم الناس أحكام الشرع موجود، واللي بيقضي بين الناس موجود، واللي بيصلي بين الناس موجود، لكن مش لازم يبقوا موجودين بكل إمكانياتهم، كانوا بيبقوا موجودين كل واحد في الباب اللي بيعرف فيه بالحد الأدنى، وبقية الناس كلها في المهمة التي كانت مع النبي –صلى الله عليه وسلم–، وده من فقه النبي –صلى الله عليه وسلم–.

النبي –عليه الصلاة والسلام– ما كانش بيقول أصل فيه ناس كتير جدًا جدًا جت داخلة فكله يفضل قاعد مكانه واحنا ما نلاقيش كوادر، إنما النبي –عليه الصلاة والسلام–كان يستخلف على الأعمال المهمة الرئيسية، ثم يذهب ليقيم العمل الجديد ويؤسس العمل الجديد ويرتب العمل الجديد، وثم بعد ذلك يعود مرة أخرى ويترك في العمل الجديد مجموعة من الناس ويبدأ ينمو هؤلاء الناس ويبدأ طاقتهم تزداد وإمكاناتهم تزداد ومواهبهم تثقل، ويعلمهم النبي –صلى الله عليه وسلم– حتي يكونوا هم كمان لهم باب من أبواب الدين المهمة.

يا جماعة احنا مش عايزين نستبدل ثغورنا بثغر آخر، مش عايزين نتوه، مش عايزين يبقى عندنا شتات، مش عايزين إن احنا نظن إن احنا عايشين في عالم الفتوحات، واحنا حقيقة قاعدين نستبدل من طاقة لطاقة، ومن عمل لعمل، ومن بيئة لبيئة، ومن واحد لواحد، ولا احنا في الآخر خالص بنعمل عمل نركز فيه ولا احنا في الآخر خالص بنصدق في إرادتنا إن احنا نستمر على طاعة معينة. بيقولوا جحا بيقول لك: "يكفيني نعيرها" لما عمل ساقية في وسط البحر، فبيقول له يا عم الساقية دي بتعمل إيه؟ الساقية دي المفروض إنها ترفع المياة من مكان واطي لمكان عالي أو تنقله من مكان لمكان، فقال له: "يكفيني نعيرها"، يا عم آدي أنا بشتغل وخلاص، ومش فارقة معايا مين اللي بيعمل إيه؟ المهم إن أنا قاعد وخلاص، إن أنا بعمل أي حاجة وخلاص.

فيه قواعد مهمة يا جماعة في الأعمال للدين، إذا تعارضت المبادئ مع الرجال بتقدم المبادئ، يعني مبادئ الدين أولى من بناء الرجال، وبناء الرجال أولى من بناء الأعمال، وإذا تعارض البناء مع الانتشار يُقدم البناء، فيه قواعد عامة كده إن ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"، أفضل حد عند الله –سبحانه وتعالى– هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكن كان فيه قيمة مهمة جدًا؛ قيمة إن الإنسان يعرف كيفية معاملة الله –سبحانه وتعالى–، طيب الشخص اللي أراد الله –سبحانه وتعالى– إنه يعلمنا من خلال تصرفاته وأعماله هو النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو خير من مشى على الأرض، هو أفضل الخلق علي الإطلاق، هو سيد ولد آدم ولا فخر كما قال –صلى الله عليه وسلم– هو أول من يفتح حِلَق الجنة، هو أفضل أولي العزم من الرسل، هو حبيب الله النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، ومع ذلك ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى"، إيه ده؟ هو ينزل عتاب للنبي –صلى الله عليه وسلم– في القرآن، كده مباشرة والناس كلها تقوله وما حدش يقول يعني طب ما كان ربنا ممكن مش لازم دي تظهر، لا لا لأ قيم الشرع أعلى من الجميع، ربنا –سبحانه وتعالى– أراد أن تكون القيم واضحة جلية حتى لو كان العتاب سينزل لسيد الخلق النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

يبقى دي نقطة مهمة إن أحيانًا إن احنا بنكسر قيم الشرع لأجل الأفراد، بنكسر المبادئ والأمور الشرعية لأجل الأفراد، وده يحتاج منا إلى وقفة، إن يا جماعة الشرع فوق الجميع، إن الوحي فوق الجميع، إن أوامر الله –سبحانه وتعالى– فوق أفرادنا وفوق نفوسنا.

رقم اتنين إذا تعارض الرجال مع الأعمال، إذا أنا هخسر صاحبي والا أخسر العمل؟ لا يا جماعة اخسر العمل. ليه؟ لإن الرجال أو الناس اللي شغالة في الدين دي مش ناس قليلة. يعني واحد يقول لك إيه؟ أصل عشان خاطر المرفق الدعوي وأصل عشان خاطر الصفحة ولا عشان خاطر المسجد ولا عشان خاطر المجلة ولا عشان خاطر الدار ولا عشان خاطر العمل الدعوي فيبدأ يخسر كل الناس اللي شغالة في

الدين أصلًا عشان خاطر مثلًا إن هو يبقى عنده صفحة مشهورة ولا يبقى عنده مرفق دعوي، يا جماعة المرافق بتروح وتيجي، المرافق بتتحرق على أصحابها، يا إخوانا أنتم تبنون دين، وبناء الدين يحتاج إلى فقه، ويحتاج إلى معرفة سنن الله –سبحانه وتعالى–، إذا تعارض بناء الرجال مع بناء الأعمال ابنوا الرجال، وإذا تعارض البناء مع الانتشار، إن أنا محتاجة آخد درس وأنا رايحة أدي درس؟ لأ اقعدي خدي الدرس، أصل أنا محتاجة إن أنا عندي حاجة مهمة وأصل أنا ما ينفعش أعمل، أنا بقول لك لأ اقعدي خدي الدرس، صدقيني، صدقني والله هتندم، بناؤك أولى من انتشارك، هيجي لك وقت تنتشر فيه وهيجي لك وقت إن الانتشار هيبقى فوق الطاقة، لكن صدقني وقت البناء، أنت هتندم على إنك أنت ضيعته.

مش عايز أسقط أكثر من ذلك على الواقع خلينا نلتزم بالنصوص أكثر، الموضوع له أبعاد كتيرة وله تصورات كتيرة وله إسقاطات كتيرة جدًا على واقع الدعوة عموما من التاريخ؛ من أول سقوط الخلافة لحد الأعمال الدعوية والجماعات ونشأتها وترتيبها، لكن بدون إسقاطات على الواقع كثيرة يكفينا إن احنا نفهم هذا، وان احنا نعرف إن احنا يا جماعة محتاجين نركز، محتاجين نقف على ثغورنا، محتاجين نبقى فاهمين سنة الاستخلاف، محتاجين نعرف إن احنا مش بنلعب، إن احنا نتعامل مع أمور الشرع وأوامر الشرع بجدية، محتاجين إن احنا نتحمل تبعات ومسؤوليات، محتاجين إن احنا نتوسع، محتاجين نعرف قيمة الشغل اللي احنا بنشتغله لله –سبحانه وتعالى–، وقيمة الناس اللي شغالة للدين، وان احنا لا نحتقر عمل للدين ولا نحتقر أحد شغال للدين مهما اختلف ثغره، مهما اختلف في تخصصه، مهما كان في باب من أبواب الدين احنا ممكن نكون مش بنعملها، لكن مش معنى إن احنا مش بنعملها إن احنا مش مؤمنين بها أو إن احنا نحتكر الدين فيها، فلا نحتقر أحد ولا نحتكر الدين على ثغورنا وأعمالنا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وأكتفي بهذا القدر وجزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله.

لو حد عنده سؤال في نفس الموضوع أنا موجود إن شاء الله،

سؤال: هو الطبيعي إن الواحد يجد لذة في الطاعة أكثر؟

ليس دائما، اللذة واستشعار اللذة ليست دائما، ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ" البقرة:٢١٦، والنبي –عليه الصلاة والسلام– قال من الأشياء التي يرفع الله بها العبد درجات ويمحو بها الخطايا، قال: "إسْبَاغُ الْوُضُوءِ علَى المَكارِهِ"[٤٤]، سُمِّيَت مكاره لإن الإنسان بيكرهها أو مكره عليها، يعني حاجة صعبة على نفسه، فمش دايما الطاعة فيها لذة، لأ أبدأ، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر مع الأنبياء قال: "فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ" الأنبياء:٧٦، وقال: "وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ" الأنبياء:٨٨، وقال: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ" الصافات: ١٠٦، عن سيدنا إبراهيم وعن سيدنا نوح –عليه السلام– وسيدنا يونس –عليه السلام–.

فنقطة إن الإنسان أحيانًا بيشتغل للدين هو بيكون متتبع الوحي لكن مش متتبع لذة نفسه، ولا متتبع خشوع نفسه وأحيانًا بيصلي ومش لاقي الخشوع. الدين مش طقوس نفسية بنعاني فيها أو بنعالج فيها مجموعة من الأعمال عشان نجد لذة نفسية، إنما الدين هو قضية إيمان قلبي واقتناع عقلي وانقياد جوارحي، يعني المسألة تحتاج إلى تفكير إلى وعي إلى إدراك إلى قرار، مش دايما احنا بنشتغل للدين عشان أنا مبسوط أو عشان أنا حابب، يعني لو كان الدين بالحب كان كتير من الناس اللي عملت للدين ما كنتش تعمل، وإيه اللي يخليه يتعب ويتبهدل ويشعر بنوع من أنواع المشقة وخصوصا إن فيه أعمال صعبة على النفس، صعب إنه يكسر نفسه صعب إن هو يعمل حاجة هو مش حاببها لكن خلاص هو معايير الدين كده وعليه أن يطيع حتى يقبله الله –سبحانه وتعالى–.

يبقى ملخص الكلام إن الدين هو الوحي، إن المعيار هو الوحي.

---

[٤٤] صحيح مسلم

سؤال: كيف نحدد الثغر؟

إمكانيات الإنسان؛ مراحله، هو يملك إيه؟ ويتعلم إيه؟ وبيئته إيه؟ ومهاراته إيه؟ وأكثر النقاط الإيجابية في شخصيته إيه؟ وأكثر النقاط الضعيفة فيه إيه؟ يعني مش هنجيب واحد ضعيف تجاه النساء، نقول له إدي درس للنساء، ونجيب واحد ضعيف في ناحية المال نقول له خليك امسك أمين خزنة، هو ضعيف في الباب ده، مش هنجيب واحدة ضعيفة في باب معين من الأبواب ونحطها فيه، هي بتشوف هي عندها مصادر قوة إيه؟ هي تقدر تعمل إيه؟

خالد بن الوليد يختلف عن أبو هريرة يختلف عن عبد الله بن مسعود يختلف عن مصعب يختلف عن عبد الله بن أم مكتوم يختلف عن المرأة التي كانت تقوم المسجد يختلف عن رفيدة الأسلمية يختلف عن أم سليم، كل واحد من دول كان له عمل من أعمال الدين مهم جدًا، كل واحد من هؤلاء كان له باب من أبواب الخير مهم جدًا، ولا يستطيع أحد أن يفعله إلا هو، لكنه كان بيعمل الحاجة اللي هو يقدر يعملها، ابن مسعود ربنا -سبحانه وتعالى- فتح له في حفظ القرآن، أبو هريرة ربنا فتح له -سبحانه وتعالى- في إن هو يجالس ويلاصق ويصاحب النبي -صلى الله عليه وسلم- في حفظ العلم والحديث، خالد بن الوليد ربنا فتح له في الجهاد، مصعب ربنا -سبحانه وتعالى- فتح له في الدعوة، مش كل الناس زي بعض، مش كل الناس تملك نفس المواهب، ومش كل الناس تملك نقاط القوة. لكن خلي الإنسان يبقى صادق مع نفسه والصادق يصنع الله له، فالإنسان يبقى صادق مع نفسه هو يحدد إمكانيات قوته إيه ويستقرئ تجاربه ويستقرئ هو ضعيف في إيه؟ ويستقرئ هو بيحب إيه؟ ويستقرئ هو يعرف يعمل إيه.

طيب النقطة التانية إيه أقصى عدد المسئوليات؟

دي مسألة متفاوتة، فيه واحدة متفرغة، فيه واحدة عندها وقت، فيه واحدة جوزها مسافر، فيه واحدة ماتزوجتش، واحدة تزوجت وبعد كده ظروفها إن عندها وقت طويل، فيه واحدة غنية عندها نوع من أنواع الوقت إن هي مش مشغولة بالبيت وعندها حد يشيل لها موضوع البيت، فيه واحدة محتاجة تشيل مسؤوليات البيت، فيه واحدة لسه أطفالها صغيرين، يعني مش كل البنات زي بعض مش كل الستات زي بعض سواء على المستوى الاجتماعي على المستوى الثقافي على المستوى الديني على مستوى البيئات الموجودة فدي مسألة متفاوتة.

وخطأ تمامًا إن احنا نقول للناس كلكم اعملوا حاجة واحدة أو في عمل أو عملين، لكن مهم إن احنا نكلم الناس في التركيز، وإن كل إنسان يبقى عارف هو بيعمل إيه وهيركز فيه ازاي، وإذا تعارض حاجة مع حاجة يعرف يوازن بينهم ازاي، وإيه المعايير اللي يعرف بها يقبل أو يرفض أي عمل.

علاقات دينية أثناء العمل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله عدد ما خلق، الحمد لله ملء ما خلق، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، الحمد لله على ما أحصى كتابه. الحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء، اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

من القضايا المهمة اللي احنا أُمرنا إن احنا نقيمها في حياتنا، هي إقامة علاقات شرعية، إقامة علاقات مجتمعية مهمة، دينية قبل أن تكون دنيوية، يعني ربنا –سبحانه وتعالى– أمرنا أن نقيم الدين، وللأسف الواحد بيشوف في الحياة الاجتماعية أو في حياة الناس إن اللي شغالين في الدين والعاملين للدين بيشوف إن العلاقات غالبها مبنية على المصلحة والعمل، يعني فيه تصور للعلاقات ينبغي إن احنا يكون عندنا تصور شرعي، إن ربنا –سبحانه وتعالى– جعل هناك علاقة اسمها علاقة الأخوة "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" الحجرات:١٠، دي علاقة، وكان فيه دورة اسمها دورة الأخوة مسجلة على الساوند كلاود لو تسمعوها.

نقطة إن الدين أنشأ علاقات بين الناس أنشأ علاقات بين المسلمين، والعلاقات دي مبنية على الإسلام، وأنشأ علاقات بين المؤمنين والعلاقات دي مبنية على الإيمان، وأنشأ علاقات بين العاملين، يعني الناس اللي بتشتغل للدين وبتجتهد عشان تقرب من ربنا ومجتهدة وباذلة من عمرها وباذلة من وقتها وباذلة من فلوسها وباذلة من فكرها عشان تقرب من ربنا وتنفذ كلام ربنا وتقيم أمر ربنا –سبحانه وتعالى– في حياتها، وتنشر كلام ربنا –سبحانه وتعالى– في وسط الناس، الناس دي بينها علاقات، هذه العلاقات ينبغي أن تكون أيضًا مضبوطة بضوابط الشرع.

احنا اتكلمنا على الاستغناء بالوحي والاستعلاء بالوحي ومعيارية الوحي، إن احنا ينبغي إن تكون علاقتنا مبنية على الشرع، كما إن عبادتنا منطلقها الشرع، وكمان أفكارنا وتصوراتنا ينبغي إنها تكون منطلقة من كتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–.

أحيانًا كتير احنا بنشوف العلاقات بتبقى مبنية على المادية، اللي هو إنت فيه شغل، أنت فيه صداقة، الجماعات قررت إنها تعمل علاقات مبنية على اللي هينضم للجماعة، الدولة قررت إنها تعمل العلاقات اللي هي مبنية على المواطنة، الناس بتعمل علاقات مبنية على المصلحة، المجتمع الحياتي غصب عن الناس بسبب إن فيه حاجات كتير وملهيات كثيرة أو مشاغل كثيرة بقت العلاقات فيها نوع من أنواع الانحسار، بقت العلاقات ضيقة جدًا وبقت العلاقات مبنية على الشغل، يعني إيه شغل؟ يعني مثلا ممكن تجد إن ناس بما إنها بتشتغل مع بعض فبقوا أصحاب وبقوا حبايب وبقوا أخوات، ولا شك إن الشغل بيقرب الناس من بعضهم لبعض، لكن علاقات الدين مش مبنية كده، يعني أخوة الدين مش مبنية على الشغل، إن أحيانًا كتير احنا ممكن نكون بنشتغل مع ناس هم مش الأقرب لنا، وممكن يكون أقرب الناس لنا أو الناس اللي بيننا وبينهم أخوة أقوى وإيمان أعلى ممكن يكون مش بنشتغل مع بعض، احنا عايزين نفصل ما بين الشغل وما بين العلاقات، وعايزين نعرف إيه قبل إيه؟ لإن أحيانًا كتير العلاقات بتُدَمَّر بالشغل وأحيانًا كتير بالعلاقات بتنفسخ بل ممكن أحيانًا كتير بيُصَد عن سبيل الله –سبحانه وتعالى– بسبب سوء المعاملات أثناء الأعمال المتفاوتة سواء العمل الديني أو العمل الدنيوي، وربنا –سبحانه وتعالى– قال: "وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" النحل:٩٤، ده كان في العقود؛ إن واحد أعطى واحد عقد اتفق مع واحد اتفاق وبعد ما اتفق بدأ يحصل نوع من أنواع التغير في الاتفاق بسبب إن واحد فيهم لاح له فرصة أفضل، عارفين قول الله –سبحانه وتعالى–: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ" النحل:٩٢، يعني واحدة كده متعلمة تغزل ومعاها إبرة الغزل ومعاها الخيط الطويل اللي بتغزل به وبعد ما عملت غزل شكله حلو كده، مثلا عملت مفرش حلو كده قامت شدة الخيط بعد ما قعدت

مثلا أيام طويلة تغزل الخيط ده قامت شداه ورجع خيط تاني إيه الجنون ده؟ طب انت ضيعتي كل اللي اتعمل ده كله عشان شدة الخيط دي، فربنا -سبحانه وتعالى- بيقول إن أحيانًا الإنسان ممكن يبني دين يبني دين يبني دين يبني دين وفي لحظة من اللحظات هو يشد الخيط فيحصل صد عن سبيل الله بسبب "أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ"، يعني يلوح له فرصة، هذه الفرصة تخلي عينه ينشغل، عارفين واحد اتفق اتفاق مثلا مع مسجد وبعدكده قابل واحد تاني، فقال له ما تيجي تخطب عندنا في المسجد، قال له والله ده أنا عندي خطبة واتفقت مع المسجد الفلاني يقول له يا عم ده مسجد صغير، ده مسجدنا كبير والعدد فيه كبير "أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ"، يعني فيه عدد أكبر، يعني فيه مساحات أكبر، يعني فيه مساحات من نفع أكبر، حتى في الدين؟ حتى في الدين.

فربنا بيقول: "إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"، ربنا -سبحانه وتعالى- ذكر إن ده فيه صد عن سبيل الله، عارفين "فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ" النحل:٩٤، إيه اللي خلاه يبقى ده صد عن سبيل الله؟ صد عن سبيل الله بسبب إن واحد مش واخد إن العلاقة ممكن تُدَمَّر وإن إنسان ممكن يضيع وإن إنسان ممكن ينتكس وإنسان ممكن دينه يتغير تمامًا لأجل أن هناك من نقض العهد معه، وكله باسم الدين وكله بيشتغل دين وكله أصل احنا مصلحة الدين.

فيا جماعة مهم إن احنا نفهم هي العلاقات في الدين بتنشأ ازاي؟ وإيه ترتيب العلاقات في الدين؟

لا يخفى عليكم إن ربنا -سبحانه وتعالى- قال: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ" إن يا جماعة فيه حاجة اسمها أخوة الإسلام، أخوة الإسلام إن بين كل الناس المسلمين اللي شهدوا إن لا إله إلا الله محمد رسول الله علاقة الإسلام، هذه علاقة متينة هذه علاقة قوية فيها الولاية وفيها النصرة، "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ" المائدة٥٥:٥٦.

المسلمون فيه بينهم وبين بعضهم نوع من أنواع الرابط، نوع من أنواع التناصر، نوع من أنواع الحب، نوع من أنواع التولي، الناس بتتولى بعضهم البعض وطبعًا ده مش معناه إنه يتولى واحد على الظلم، "انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا. فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذا كانَ ظالِمًا، كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ -أوْ تَمْنَعُهُ- مِنَ الظُّلْمِ؛ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ"[٤٥] إنك توقف واحد عند حده وإن تقول له لأ، اتقِ الله، ده نوع من أنواع المناصرة له، لإنك انت بتحبه وماتحبش إن هو يظلم الناس، فهنا نقطة علاقة المسلمين بعضهم ببعض علاقة مهمة جدًا وعلاقة العاملين للدين خاصة؛ بما إننا عاملين دورة خاصة والناس كلها شغالة للدين، اللي عايز يستزيد في الموضوع يسمع سلسلة الأخوة وهي بتفرق ما بين أخوة النسب وأخوة الوطن وأخوة الأرض وأخوة القبيلة وأخوة العمل وأخوة الإسلام العامة، وإيه الفرق اللي جاء به الإسلام.

لكن خليني النهاردة وأنا بتكلم في العلاقة بالناس اللي شغالة في الدين شوفوا ربنا -سبحانه وتعالى- بيقول: "شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ" الشورى:١٣، ربنا -سبحانه وتعالى- تكلم على مسألة إن الناس لا تتفرق، مسألة إن المسلمين أو العاملين للدين أو الأنبياء ربنا -سبحانه وتعالى- أمرهم إن هم يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه، ربنا -سبحانه وتعالى- وصى سيدنا نوح ووصى سيدنا إبراهيم ووصى سيدنا موسى ووصى سيدنا عيسى ووصى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، خدوا بالكم فيه تفاوت كبير زمني ما بين سيدنا نوح وسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، في تفاوت كبير تشريعي ما بين سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى -عليهم جميعا الصلاة والسلام- وما بين سيدنا عيسى، ومع ذلك ربنا بيقول: أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ، يعني اعملوا به واجعلوه قائمًا. لكل نبي من هؤلاء الأنبياء طريق في إقامة الدين، غير أنهم جميعًا يتفقون في الأصول والكليات على مر العصور، يعني كلهم مؤمنون بالله -سبحانه وتعالى- وأسمائه

---

[٤٥] صحيح البخاري

وصفاته، كلهم يؤمنون بالكليات الخمسة الضرورية، كلهم جاؤوا بحسن الخلق، كلهم جاءوا بعبادة الله وحده لا شريك له، كلهم جاءوا بالحاجات التي يستقيم البشر عليها، كلهم بالكلام عن الله وعظمة الله، كلهم جاءوا بالكلام عن حقائق الدنيا وعن الجنة والنار والدار الآخرة، لكن كل نبي من الأنبياء كان له تشريع مختلف، وكان له طريق مختلف عن غيره، ربنا بيقول للأنبياء لا تتفرقوا فيه، يعني لا تتفرقوا في الدين، والتفرق يا جماعة عكس التجمع، وأصل التفرق تباعد الذوات واتساع المسافة بين الناس وبيستعار التفرق لقوة الاختلاف في الآراء، وربنا –سبحانه وتعالى– بيحذر الأنبياء ألا يتفرقوا في الدين، التفرق بين الأمة بالإيمان بالرسل أو الكفر، حتى لا يختلفوا على الأنبياء، التفرق بين الذين آمنوا بأن يكونوا نحلًا وأحزابًا وشيعًا وأفرادًا، كل واحد بيقاتل ويعادي ويوالي على جماعته وعلى تصوره وعلى دولته وعلى فكره وعلى منهجه دون أن يعتبر إن الجميع أمة واحدة، إن احنا أُمرنا إن احنا نقيم الدين ولا نتفرق فيه.

محتاجين يا جماعة نعرف احنا ازاي هنتجمع؟ بعض الناس متخيل إن ممكن نتجمع على الأشخاص، يا جماعة الناس لن تتجمع على الأشخاص، يعني التجمع بيبقى له درجات، فيه تجمع على الشخص وفيه تجمع على العمل وفيه تجمع على الفكرة يعني دول تلات مراتب من مراتب التجمع.

فيه ناس متخيلة إن الناس عشان تتجمع محتاجة تتجمع على شخص معين يبقى هو ده قائدهم أو ده رئيسهم أو ده اللي مفروض إن الجميع يُذعن له ويسمع له ويطيع، ده كان موجود أيام النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، بعد موت النبي –صلى الله عليه وسلم– صعب بل يستحيل الناس هتعرف تتجمع على شخص واحد من هذه الأمة إلا أن يكون ده أمر قدري زي مثلًا مهدي آخر الزمان، زي سيدنا عيسى آخر الزمان، لكن مسألة إن حد هيقوم مقام النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– كفرد هذا يستحيل، الصحابة نفسهم مجتمعين يا جماعة كل الصحابة استطاعوا إن هم يؤدوا وظيفة النبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني النبي –عليه الصلاة والسلام– كان بيؤدي وظيفة أمة لوحده، فلما النبي مات النبي –عليه الصلاة والسلام– مهمة النبي –عليه الصلاة والسلام– أبو بكر شال جزء منها وعمر شال جزء منها وعثمان شال جزء منها وابن مسعود شال جزء منها وخالد بن الوليد شال جزء منها وأبو هريرة شال جزء منها، كل واحد على قدره.

ازاي احنا النهاردة نقدر نقول نحط مكان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، طيب إذا احنا مش هنقدر نجمع الناس على فرد، هيتجمع الناس على شغل معين؟ يعني هل الناس كلها هتبقى مثلًا حفظة قرآن؟ هل الناس كلها هتبقى مثلًا دعاة إلى الله على الطريقة المنبرية مثلًا؟ هل الناس كلها ينفع تبقى مثلًا عاملين للدين بطريقة مثلًا إن هم في طريقة التزكية؟ هل الناس كلها تنفع تبقى مجاهدين؟ هل الناس تنفع كلها تبقى قضاة؟ لا طبعا ده وكذلك هيستحيل أيضًا، لذلك التجمع الأصيل الذي جمّع به النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه كان على فكرة، كان على تصور الوحي، كان على الإيمان، كان على مجملات الإيمان، كان على أصول الدين.

لا تتفرقوا في إقامة الدين بأن ينشط البعض ويتخاذل البعض، لا تتفرقوا في إقامة الدين بان يتنابز هذا ويتدابر هذا مع هذا، "لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا"[٤٦] النبي –عليه الصلاة والسلام– بيعلم الصحابة ازاي يبقوا إيد واحدة.

لما الصحابة قالوا احنا عايزين نعرف إيه أعظم عمل نتقرب به إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ سؤال بيسأله الصحابة بينهم وبين بعض وهم قاعدين بيقولوا إيه أفضل عمل نتقرب به إلى الله –سبحانه وتعالى–؟ فنزل قول الله –سبحانه وتعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" الصف٢:٣، قال لهم لو انتم عايزين تعرفوا أعظم عمل عند الله –سبحانه وتعالى– "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ" الصف:٤، قال لهم ربنا –سبحانه وتعالى– بيحب إن الناس تكون اللي بتشتغل للدين –صف ده يا جماعة عارفين النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: "أَلَا تَصُفُّونَ كما تَصُفُّ المَلَائِكَةُ"[٤٧]، فيه سورة في القرآن اسمها سورة الصافات وفيه سورة في القرآن اسمها سورة الصف، صف الصلاة وصف الملائكة في العبادة وصف الجهاد في مواجهة الأعداء، دول تلات

[٤٦] صحيح مسلم
[٤٧] صحيح مسلم

صفوف ربنا –سبحانه وتعالى– ذكرهم في كتابه الكريم، الملائكة تصف في عبادة الله –سبحانه وتعالى– كلهم صف واحد، وسورة الصف اللي ربنا تكلم فيها –سبحانه وتعالى– عن مسألة إن المسلمين بنيان مرصوص، يعني إيه بنيان مرصوص؟ قالوا مرصوص يعني طوبة جنب طوبة جنب طوبة محطوط مرصوص في رصة واحدة، وقيل مرصوص يعني عليه طبقة من الرصاص، يعني اللي هو مصفح اللي هو مفيش حاجة تخترقه، اللي هو قوة تماسك غير عادية، الشيطان مايعرفش يدخل وسط الناس، الشيطان مايعرفش يدخل وسط العاملين للدين.

النهاردة العلاقات بقت مهترئة جدًا اللي هو أي حد بيتصيد للناس خطأ، اللي اشتغل للدين مفروض إن هو يكون يقولوا أهل السنة هم أعلم الناس بالحق، وأرحم الناس بالخلق. أعلم الناس بالحق يعني أكتر واحد يعرف ربنا –سبحانه وتعالى–، أكتر واحد نفسه يقرب من ربنا –سبحانه وتعالى–، هم أعلم الناس بالله –سبحانه وتعالى–، وأكتر واحد بيفكر في سنن الله في المعاملة، وأكتر واحد بيفكر في رحمة الله وفي عزة الله وفي قوة الله، هم أعلم الناس بالحق –سبحانه وتعالى–، وهم أيضًا أرحم الناس بالخلق، هو بيرحم الناس، بيرحم ضعف الناس وعجز الناس، وإذا احنا بنرحم الضعيف وبنرحم اللي بيعمل معصية وبنتساهل وبنترفق مع الراجل اللي بيعمل فاحشة واللي بيتكبر واللي بيطغى ونقول إن الدعوة محتاجة حسن خلق ومحتاجة رفق ومحتاجة لين فما بالنا إذا أخطأ أحد من العاملين للدين الناس بتمسك الطبلة والصاجات، ليه لما واحد يخطئ من العاملين للدين الناس بتتعامل معاه تعامل في غاية الشراسة، يا جماعة رفقًا هونوا على أنفسكم.

ينبغي إن يكون العلاقات صف؛ يعني المؤمن أخو المسلم يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه، لو احنا شفنا خطأ أو شفنا عيب نستره، وده مش معناه إن الناس اللي بتشتغل للدين إنها تعمل نوع من أنواع التحزب ضد المجتمع، وإن كل ما واحد من الناس يحصل بينه وبين فلان خطأ معين أو مشاحنة معينة الناس تتهمه إن ده عدو للإسلام وعدو للدين، لا لا لا مش كده خالص، كل العلاقات مع المسلمين ينبغي إنها تكون علاقات في غاية النقاء وفي غاية سلامة الصدر وفي غاية القوة والتماسك، دي علاقة عامة وبالذات وبالأخص العلاقة مع الناس اللي شغالة للدين.

طب افرض هو بيشتغل في الدين في حاجة أنا ما بعرفش أعملها، أو أنا ما شفتهاش، أو أنا مش عارفها أو حاجة مختلفة تمامًا عن اللي أنا بعملها، أحيانًا كتير الناس بتفاجأ إن هو بما إن فلان مثلًا واحد بيشتغل في الدعوة فيبدأ يسفه من الناس اللي بتشتغل في العلم، واحدة بتشتغل في التعليم فتبدأ مثلًا تسفه من الناس اللي بتشتغل في الفقه، واحدة مثلًا بتدرس أصول الفقه فتبدأ تسفه من الناس اللي بتدرس تجويد، وده مُشَاهَد بطريقة غريبة، يعني كل واحد عنده تضخم في المفاهيم عنده تضخم في الثغر اللي هو واقف عليه، متخيل إن الدين كله هو الثغر اللي واقف عليه، لدرجة إن فيه واحدة مثلًا ممكن تكفر واحدة مثلًا بتقرأ الفاتحة بطريقة خاطئة، فتقول لها لا انت صلاتك كلها باطلة، وانت ما ينفعش تصلي أصلًا، فتحس إن فيه نوع من أنواع الغلو الشديد "لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ" النساء: ١٧١، عدم وضع الشيء في موضعه وفي معياره، طبيعي إن انت ممكن تقرأ مثلًا لعالم من علماء التفسير هو بيتكلم إن العلم الأساسي الرئيسي الأصيل الذي ليس بعده ولا قبله؛ علم التفسير، وبعد كده تنتقل مثلًا لعلم الحديث تجد إن واحد مثلًا عمل كتاب في أهمية علم الحديث ويقول إن ده هو العلم الأصيل الذي لا تقوم الدنيا إلا به وهو أفضل العلوم، وبعد كده تنتقل لواحد مثلًا بيتكلم في علم العقيدة وبيتكلم عن أسماء الله الحسنى، فتجد إن هو عامل مقدمة، طبيعي إن أحيانًا ربنا –سبحانه وتعالى– بيشرح صدر كل إنسان إن هو يعرف أو إن هو يشعر بأهمية ما يفعل، ويشعر به باهتمام بالغ وإنه يشعر إن الحاجة اللي بيعملها دي حاجة عظيمة مهمة، وده أحيانًا بيكون مهم له لنفسه عشان هو يعرف يستمر، لكن هل هذه الحقيقة؟

يا جماعة الدين الوحي، الدين العظيم، الدين الشامل، الدين للعالمين، الدين يسع الجميع، كل فرد من أبناء الأمة له دور في الدين، وكل واحد بيشتغل في الدين له منا التقدير، وكل واحد بيشتغل في الدين لابد إن احنا نضعه في موضعه، فكرة التنابز بالألقاب وفكرة العلاقات المهترئة وفكرة التصيد للأخطاء وفكرة إن كل واحد ماسك في باب من الأبواب ومتخيل إن الدين كله هو الباب ده، وإن الباقي كله مبتدعة وضُلَّال

وفجرة وما يعرفوش حاجة، وأحيانًا بيصم ناس سبقته في العمل، شوفوا ربنا –سبحانه وتعالى– وهو بيثني على المهاجرين والأنصار قال: "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ" الحشر:١٠، إن واحد قلبه نضيف، واحد بيدعي لنفسه وبيدعي للناس اللي شغالة في الدين، وبيدعي للذين سبقوه بالإيمان، ربنا يثني على هؤلاء الذين سبقونا بالإيمان، إن واحد عارف إنه امتداد.

شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– الرقيق، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيعلم الصحابة معنى خطير؛ معنى التكامل في الدين، بيقول لهم: "إنما مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل بنيان، إن واحد بيبني بنيان، بنيان أحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة، لبنة يعني طوبة، النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول إن الأنبياء أقاموا مبنى الدين، كل واحد من الأنبياء على اختلاف أفكار، على اختلاف تشريعات، على اختلاف زمان، على اختلاف المكان، على اختلاف الأقوام، على اختلاف البدايات، واحنا كنا بنتكلم في البيان الدعوي كل نبي من الأنبياء ازاي واجه مشاكل قومه؟ شوفوا النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول إن موضعي من الأنبياء إن أنا الطوبة الأخيرة في بناء الدين، وإن بالنبي –صلى الله عليه وسلم– اكتمل الدين، بيقول إنما أنا موضع لبنة، تخيلوا يا جماعة إن النبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول أنا موضع لبنة، يعني إذا كان النبي –عليه الصلاة والسلام– النبي اللي هو أفضل من مشى على الأرض بيقول أنا بالنسبة لدعوة الأنبياء هي إكمال لدعوة الأنبياء، هي تمام لدعوة الأنبياء، هي استمرار لدعوة الأنبياء، هي إحياء لسنن الأنبياء من قبلي، هي إقامة لسنن الفطرة مرة أخرى، هي تكميل للأخلاق. هي إعادة بعث رسالة الأنبياء من قبل، هي إعادة التوحيد إلى نفوس الخلق.

تخيلوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– بينظر إلى نفسه كإنه موضع لبنة، وكلمة لبنة يا جماعة يعني حاجة بتتحط جوه بناء، أحيانًا كل واحد فينا ممكن يتخيل نفسه إن هو البناء، أو ممكن يتخيل جماعته أو مجتمعه أو الحاجة اللي بيعملها إن هي البناء، وبيمحور العالم كله حواليها، هو مش شايف أي حاجة في الدين إلا من خلال بنائه، يعني عارفين ربنا –سبحانه وتعالى– في غزوة أحد لما قال: "وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ" الأنفال:٤٦؟ وقال: "وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" آل عمران:١٥٢، ترتيب الآيات: رأوا ما يحبون؛ واحد شاف حاجة بيحبها في وقت ما كانش ينفع يشوفها فيه، هم رأوا الغنائم في وقت المعركة، فلما رأوها بدأ يحصل نوع من أنواع الهرج والمرج، بدأوا يخالفوا كلام النبي –عليه الصلاة والسلام–، بدأ يحصل تنازع لما حصل تنازع بدأ يحصل فشل. "حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ" ترتيب الآيات جاب النهاية الأول وبعد كده الخطوة اللي قبل النهاية، وبعد كده الخطوة اللي قبلها وبعد كده الخطوة اللي قبلها. ترتيب الأحداث إن الأول هم رأوا ما يحبون، ثم عصوا ثم تنازعوا ثم فشلوا. لكن ربنا –سبحانه وتعالى– جاب النهاية الأول؛ النهاية فشل. ليه النهاية فشل؟ لإن كانت البداية إن هم رأوا ما يحبون فعصوا فتنازعوا.

إن يا جماعة لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم. إن احنا أُمرنا بإقامة الدين، أُمرنا بالاجتماع بالدين، أُمرنا بإقامة سورة الصف، أُمرنا بإقامة علاقة الصف علاقة البنيان المرصوص، ده نوع العلاقة ولا قوة العلاقة؟ يعني هل طوبة جنب طوبة جنب طوبة دي بتعمل صف؟ والا طوبة جنب طوبة متماسكة بينهم مِلاط؟ عارفين الأسمنت اللي بيربط الطوب ببعضه فيه قوة تماسك يمنع إن أي حد يخترق، يمنع إن أي حاجة لو رصاصة، لو حاجة مخترقة بقوة رهيبة قذيفة بتُقذَف لا تخترق هذا البناء. ليه؟ لإنه متماسك أشد التماسك.

النهاردة احنا بنشوف علاقات للأسف مهترئة، والناس بقت –إلا من رحم الله– سهل إن أي حد يتكلم على أي حد، وده بقى منتشر حتى وسط العاملين للدين، ينبغي إن أهل الدين يكون عندهم من الورع من التقوى من الحذر في الكلام في بعضهم البعض، من إن هو يحط نفسه مكان الآخرين، إن هو يلتمس الأعذار، إن هو يستر العورات، إن هو يحوطه من ورائه، إن هو يبقى فيه قوة تماسك، إن هو يدعي للناس،

إن هو يفهم طبيعة الناس، إن هو يقدر الآخرين، لكن للأسف احنا بنشوف تسفيه، بعض الناس بيسفه من أي ثغر هو مش واقف عليه، من أي عمل هو ما بيعملوش، من أي حاجة هو ما شفهاش قبل كده، فتجد اللي مهتم بالعلم بيحتقر اللي بيعمل في الدعوة، اللي بيعمل في الدعوة بيحتقر أو بيسفه من اللي بيعمل في الأعمال الخيرية، واللي بيعمل أعمال خيرية يرى إن اللي قاعد يشتغل في العلم ده ما بيعرفش حاجة، بل حتى في داخل العلم نفسه اللي بيدرس كذا يسفه من اللي بيدرس كذا، وكل واحد بيقرأ كتابين زيادة على اللي قبله وبيبدأ يقول لك ده فلان ده بيفهم إيه؟ وفلان ده بيعرف إيه؟

أين الدين في هذه العلاقات؟ وأين الدين في هذا الدين؟ الاختلاف يا جماعة في الفروع مختلف، يعني اختلاف في الفروع في الفقه، ده من قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ"[48]، لكن مهم إن احنا نعرف العلاقات بين المسلمين، ومهم نعرف العلاقات بين العاملين للدين، مهم نعرف يعني إيه أخوة؟ ويعني إيه صف؟ ويعني إيه جماعة؛ السواد الأعظم؟ ويعني إيه أمة الإسلام؟

شوفوا دي مصطلحات صكت يعني مصكوكة شرعيا، يعني هذه مصطلحات تكلم بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وجعل الله لها معاني واضحة خوطب بها الناس، إن لابد للدين من حملة يقومون به، كل واحد من المسلمين مسؤول بين ايد ربنا -سبحانه وتعالى- انت فين؟ انت موضع لبنة؟

عارفين لما يكون عندنا زلط وطوب وأسمنت ورمل بس احنا ما عرفناش نقيم مدرسة، ليه؟ أصل الزلط لوحده والطوب لوحده والرمل لوحده والأسمنت لوحده والمدرسين لوحدهم والطلاب لوحدهم وكل حاجة لوحدها، ليه؟ لإن احنا مش عارفين نقيم علاقات قوية، لإن احنا مش عارفين نستفيد من بعضنا البعض، العالم العربي هو أغنى دول العالم، ومع ذلك انتم بتشوفوا العالم العربي في وسط الأمم أو في وسط الشعوب العامة لا تجد إن هو الأقوى ولا هو الأعلم، مع إنه عنده إمكانيات يعني أقوى ثروة سمكية وأكثر بترول وأكثر دهب وأحسن موقع في العالم وكمية ثروات طبيعية وكمية طاقات بشرية وكمية وكمية لكن فين هؤلاء في التقدم وفي مسيرة التقدم؟ ليه؟ مفيش علاقات قوية، إن الناس سهلة إنها تبيع أي حاجة في أي اتجاه، يا جماعة احنا أُمرنا إن احنا نقيم الدين، أُمِرنا إن احنا نقيم علاقات الدين، أول عائق وأخطر عائق في سبيل إقامة الدين هو التفرق، التفرق، النبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: "إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ"[49]. لذلك مهم إن احنا نقيم علاقات قوية ما نسمحش لشيطان يدخل بين المسلمين، ما نسمحش للشيطان إن هو يلعب بالعاملين للدين الكورة، ما نسمحش إن احنا علاقتنا تبقى علاقات مهترئة، ما نسمحش بإن احنا نبقى قاعدين نتنابز بالألقاب وقاعدين نسفه من بعض وقاعدين نحط من قدر بعض، هتخسر إيه لما تثني على أخوك؟ هتخسر إيه لما تثني على العمل الديني؟ هتخسري إيه لما تشوفي حاجة خير وتقولي الحمد لله ما شاء الله تبارك الله دي حاجة جميلة إن حد بيعمل كذا؟ إنك تفرحي بالخير وتفرحي بإقامة الدين حتى لو مش على ايديكِ؟

ما تتنازلوش عن الدعوة لإرضاء حد، وما تسفهوش من المسلمين على معيار إن كل واحد له دماغ معين، إن أحيانًا بيبقى فيه تضخم في المفاهيم، فيه مثالية فيه واحد عنده معيار بيحاسب الناس عليه، يعني فيه حاجة معينة هو بيعظمها؛ واحدة مثلًا بتعظم الأخلاق واحدة، بتعظم مثلًا التجويد، واحدة بتعظم الدعوة، واحدة بتعظم كتب العقيدة، واحدة بتعظم الشيخ فلان والشيخ علان، فبالتالي أصبح اللي هي بتعظمه ده بقى هو ده المعيار، فأي حد بتسمعه أو أي حد بتتكلم معاه أو أي حد بتشوفه بيشتغل في الدين بتحطه على الميزان، ينبغي أن يكون الميزان الوحي.

من المشاكل الأساسية الرئيسية التي ينبغي أن نتحاشاها مسألة المفاصلة على كل نقطة، وإن احنا نحول أي خلاف إلى عداء، وإن احنا بنتعامل بتصور مع المختلف معانا؛ انتم واحنا، ينبغي أن نتخطى الحكم على المواقف وعلى الأشخاص بمعيار الهوى إلى إن احنا نضع الشيء في

---

[48] صحيح مسلم

[49] صحيح مسلم

موضعه بمعيار الوحي، من الأخلاق السيئة اللي بتؤدي إلى زيادة ذلك مسألة عدم الصراحة والغيبة والنميمة وعدم الوضوح، احنا محتاجين يكون عندنا صراحة، محتاجين يكون عندنا شجاعة، محتاجين يكون عندنا قوة، محتاجين يكون عندنا صدق في التعامل حتى نقيم علاقات صحيحة، محتاجين إن احنا نقف مع أنفسنا وقفة. ليه لما يبقى خمسة قاعدين في أوضة وبعدين لما يختلفوا في رأي وبعد كده واحدة تقوم الناس تجيب سيرة اللي قامت؟ يعني ليه الأربعة يجيبوا سيرة اللي قامت؟ وبعد كده لما التانية تقوم نقوم نجيب سيرة اللي قامت التانية، يبقى التلاتة يجيبوا سيرة اللي قامت، ليه الغيبة بقت منتشرة في أوساط العاملين للدين؟ هل ده صحيح؟ هل يصح ده؟ فلانة بتخطأ فلانة بتقول كذا، طب ما تواجهيها، طب ما تعلميها، طب ما تتناقشي معاها، يا جماعة لابد ندرك إمكانيات كل واحد، ولابد ندرك إن كل إنسان عنده ما يقدمه للدين، كما قال شيخ الإسلام: "الصادق يصنع الله له"، يعني مش الثغور الحياتية الدينية اللي احنا بنعملها بس، ده فيه حاجات كتير أوي في الدين ممكن تتعمل، لكن اللي بيتعمل من الدعوة أو من التربية أو من تحفيظ القرآن أو من إقامة بعض المرافق أو من بعض الأنشطة الحياتية سواء على مستوى الرسمي أو الغير الرسمي أو التطوعي أو التربحي، كل هذه الأشياء أفكار الناس بتقدر تقدمها، لكن كتير من الأمة كتير من شباب وبنات المسلمين يقدروا يقدموا للدين حاجات عظيمة كبيرة في مناحي الحياة المختلفة، ويكون له أثر عظيم عند الله –سبحانه وتعالى–.

محتاجين يبقى عندنا تصور أوسع، تصور أشمل، بلاش يبقى عندنا التصور الأشمل ده في شخصنا، يعني بلاش نحط نفسنا مكان النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، ليه؟ لعدة أشياء؛ من الأخطاء يا جماعة الرئيسية الأصيلة إن حد يحط نفسه مكان النبي –عليه الصلاة والسلام–، سواء كجماعة أو كدولة أو كفرد إنه يحط نفسه مكان النبي –عليه الصلاة والسلام– لعدة أشياء:

– رقم واحد إن النبي –عليه الصلاة والسلام– كان مصدر الدين الأصيل الوحيد.

– رقم اتنين إن النبي –عليه الصلاة والسلام– حقيقةً هو بأمة، يعني مفيش حد هيعرف يكون مكان النبي –عليه الصلاة والسلام–، لو الأنبياء نفسهم موجودين ما يعرفوش يعملوا اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– عمله، ده مش معناه إن احنا ما نقتديش –عليه الصلاة والسلام–، لكن ده معناه إن احنا نقتدي بالنبي –عليه الصلاة والسلام– لكن واحنا عارفين إمكانياتنا، نقتدي بالنبي –عليه الصلاة والسلام– واحنا عارفين احنا مين والنبي –عليه الصلاة والسلام– مين، نقتدي بالنبي –عليه الصلاة والسلام– واحنا عارفين إن احنا بشر من أتباع النبي –صلى الله عليه وسلم–، احنا مش المركز اللي ينبغي أن يكون العالم كله حول هذا المركز، احنا مش الفرقان ولا آرائنا هي الفرقان ولا تصورتنا هي الفرقان ولا ثغورنا هي الفرقان إنما الفرقان هو الوحي، الفرقان هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، الفرقان هو القرآن، "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" الفرقان:١، آراؤنا مش فرقان وأفكارنا مش فرقان وثغورنا مش فرقان وتصوراتنا مش فرقان إنما نحن نجتهد في إقامة دين الله –سبحانه وتعالى–، وفي تعليم الناس دين الله –سبحانه وتعالى–، ونفرح بكل حد بيشتغل للدين، ونساعد كل حد بيشتغل للدين، وندعم كل واحد بيشتغل للدين.

ينبغي إن يكون فيه علاقات مع الناس اللي فوقنا والمشايخ اللي فوقنا، وعلاقات مع الناس أقراننا، والناس اللي شغالة في الدين في مساحات ممكن تكون نفس المساحات اللي احنا شغالين فيها أو في ثغور مختلفة، وعلاقات مع الناس اللي تحتنا والأجيال اللي جاية القادمة اللي محتاجين إن احنا نعلمها دين وننقل لها الخبرات.

يبقى احنا محتاجين نقيم علاقات مع اللي فوقنا، وعلاقات مع أقراننا والناس اللي جنبنا، وعلاقات مع الناس اللي جاية من بعدنا محتاجة تعلم دين ومحتاجة إنها تعرف دين، ومحتاجة إنها تستفيد من الأخطاء اللي احنا أخطأناها، ما يبدأوش من الأول، إن احنا نقيم علاقات قوية.

النبي –صلى الله عليه وسلم– دعا ألا يكون بأس الأمة بينهم شديدا، قال: "سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فأعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ فأعْطَانِيهَا، في الحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– بيقول إيه؟ وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا"[٥٠].

مش عايزين يا جماعة إن يكون بأسنا بيننا شديد، ربنا –سبحانه وتعالى– لما مدح أصحاب النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" الفتح:٢٩، يعني هو شديد ولا رحيم؟ هو الاتنين، هو بيعرف امتى يبقى شديد، وامتى يبقى رحيم، هو بيعرف امتى يبقى قوي وعنده عزة، وامتى يبقى سهل ومتواضع، امتى يبقى ذليل، "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" المائدة:٥٤.

يقول لك لفظ الذلة ما جاش إلا لله –سبحانه وتعالى–، ربنا –سبحانه وتعالى– ذكر الذلة في القرآن غير لما تكون ذل لله –سبحانه وتعالى– على دربين: الذل في الوالدين "جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" الإسراء:٢٤، والذل للمؤمنين، الناس اللي آمنت بالله –سبحانه وتعالى–. لكن قال: أَذِلَّةٍ عَلَى على ده لفظ استعلاء، فيقول لك إن هو هنا هو مش ذليل ذل انكسار، إنما ذليل ذل العزة ذل الدين، إن الدين هو اللي خلاه يبقى متواضع للمسلمين، هو يبقى متواضع لأهل العمل للدين، هو يبقى أخلاقه حلوة مع أهل العمل الدين، هو اللي بيتواصل معاهم، مش بيتعامل معاهم تعامل: فلان أخطأ، فلان لابد إنه يعاقب، فلان لابد إنه يُهزَّأ، فلان لابد إنه يُطرد، فلان بيتكلم في الدين ليه؟ وفلان ده بيفهم إيه؟ وعدة مفاهيم يعني من الأهمية بمكان إنها تُدَمِّر؛ مش تدمر صف تدمر أمة.

فالنبي –صلى الله عليه وسلم– دعا ألا يكون بأسهم بينهم شديد، شوفوا يا جماعة النبي –عليه الصلاة والسلام– حريص على الأمة، والنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول للصحابة: "وَكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا"[٥١]، قال لهم خليكم علاقتكم ببعض علاقة قوية، والأحاديث في هذا والآيات في هذا كثيرة جدًا، لكن خلينا النهاردة نلقي الضوء على مسألة إن احنا مش عايزين نبعد عن الشرع، وفي تصورات العلاقات مش عايزين نتعامل بسياسة التحزب والتشيع والتفرق، عايزين نتعامل بسياسة الصف، عايزين نلقي الضوء على مفهوم الصف، عايزين نقف مع كلمة رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، إن بين المؤمنين فيه رحمة، أهل السنة هم أرحم الخلق بالخلق، يلتمس الأعذار للناس ويعذر الناس، ده مش معناه إن انت تبقى مش حازم، ده مش معناه انك تبقى مش بتتعامل بمعيارية، ده مش معناه انك انت تسكت على الخطأ، إنما تلتمس الأعذار، إنما تعرف تعامل ازاي، إنما تعرف تفرق ما بين اللي أخطأ وهو يريد الشر وما بين اللي اجتهد ولكنه أخطأ.

كان فيه درس أعتقد في السيرة اسمه "سرية نخلة"، كنا بنتكلم فيه على أخطاء العاملين للدين، ممكن تسمعوه إن شاء الله، هو موجود على الساوند كلاود مسجل يعني.

ليه البأس بينهم شديد؟ شوف النبي –عليه الصلاة والسلام– يقول: "خَمْسٌ إذا ابتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تُدْرِكُوهُنَّ" منهم "وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ويَتَخَيَّرُوا فيما أَنْزَلَ اللهُ إلا جعل اللهُ بأسَهم بينَهم"[٥٢]، عارفين ليه البأس يا جماعة بيبقى شديد؟ عارفين ليه الناس بتبقى علاقتهم ببعض علاقة فيها بأس وشدة، وهم عارفين إن الراجل ده شغال للدين بقى له عشرين سنة، والست دي شغالة بتحفظ القرآن بقالها تلاتين سنة، والأخت دي بقى لها عشرين سنة بتجري عشان تدعو الناس إلى الله، وبتحاول تقيم دين في أعمال خيرية وبترفق بالناس؟ عارفين ليه البأس بيبقى شديد؟ لأنهم تركوا الوحي وتحاكموا إلى معيارية الأفكار، بيقول لك: وما لم تَحْكُمْ أئمتُهم بكتابِ اللهِ طب هم ما بيحكموش بكتاب الله، هيعملوا إيه؟ هيتحاكموا بالأهواء، سواء الهوى الشخصي أو هوى المجتمع.

لما تحاكموا إلى كتاب الله رحموا الناس، ولما تحاكموا إلى أهوائهم وإلى آرائهم جعل الله بأسهم بينهم شديد،

محتاجين إن احنا نرجع في علاقاتنا إلى الصف، محتاجين إن احنا نجتمع مرة أخرى على الطاعة، عارفين صف الجماعة؟

---

٥٠ صحيح مسلم
٥١ صحيح مسلم
٥٢ صحيح الجامع

تعالوا نقف وقفات بسيطة سريعة مع صف الجماعة، صف الجماعة ده مش فارق اللي واقف شاب ولا كبير ولا صغير ولا طفل، يعني هو الصف بيجي كل الناس واقفين وجوههم تجاه القبلة، كلهم وراء واحد، كلهم بيسمعوا نفس اللفظة فبيعملوا نفس الحركة، الصف بيبقى متساوي ساووا بين الصفوف وسُدُّوا الخَلَلَ، متلاصقين؛ رجل ده جنب رجل ده جنب رجل ده، بينهم وبين الصف اللي وراهم مسافة أيضًا مسافة ثابتة مستمرة، يعني هي نفس المسافة، مسافة ثابتة جدًا وواضحة جدًا، والصف اللي وراهم كذلك هم أيضًا يصلون إلى نفس القبلة.

مين في الدين بيشتغل ده؟ اللي هو بيشتغل وهو ينفع يقف في صف ويبقى اللي حواليه واقفين معاه متساويين، وكلهم عارفين الهدف الواحد. كنا بنقول عايزين نجتمع يا جماعة، إيه الحاجة اللي نجتمع عليها؟ فقلنا يا جماعة نجتمع على الهدف الواحد، نجتمع على الوحي الواحد، نجتمع على رضا الله –سبحانه وتعالى–، نجتمع على مجمل الدين، محتاجين إن احنا نتجمع على كتاب الله –سبحانه وتعالى– وعلى سنة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، محتاجين إن احنا نتجمع واحنا بنقرأ كتاب الله –سبحانه وتعالى–، قبلتنا واحدة ونبينا واحد ودينا واحد، محتاجين نتجمع على رضا الله –سبحانه وتعالى–، على الوحي، محتاجين نتجمع على العدو الواحد، "إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" فاطر:٦، أخوك مش عدو، أخوك لو اختلف معاك مش عدو، سواء كان الخلاف معاه خلاف سياسي، سواء الخلاف معاه خلاف اقتصادي، سواء الخلاف معاه خلاف في وجهات نظر على منصب معين، سواء الخلاف معاه خلاف على مال، هو مش عدو هو أخوك، احنا محتاجين نجعل العدو واحد، نعرف احنا بنتجمع على الهدف الواحد وعلى العدو الواحد وعلى المنطلق الواحد على المنهج الواحد.

المنهج الواحد اللي هو الوحي، إن احنا كلنا كتابنا واحد وسنة نبينا –صلى الله عليه وسلم– واحدة، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نتحاكم لأهوائنا وآرائنا، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نجعل شيء فوق موضعه، وإن احنا نضع أهواءنا وآراءنا وأفكارنا فوق الوحي، بلاش يبقى عندنا تضخم في المفاهيم إن احنا نخاصم ونعادي ويبقى فيه نوع من أنواع الشراسة، شراسة في المعاملة لأجل أي اختلاف، تتعجب! هو يا جماعة إيه يعني لما الناس تختلف؟ إيه المشكلة يعني؟ يعني طبيعي الناس ممكن تختلف في تصور العمل للدين، طبيعي، ليه نسفه من بعض؟ ليه يا إما الناس كلها يبقوا كذا يا إما يبقوا مبتدعة وضُلَّال؟ ليه اللي مش بيشتغل معانا يبقى ضال؟

ثم، ليه العلاقات ما بتبناش أصلًا علاقات أخوة طبيعية؟ شوفوا يا جماعة تصور النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– لما راح المدينة، النبي –عليه الصلاة والسلام– قبل ما يطلع الغزوات وقبل ما يقيم الحروب وقبل ما يقيم الجهاد في سبيل الله –سبحانه وتعالى–، وقبل ما يبعث المهمات في إن فلان مثلًا يُعلم القرآن وفلان يكون مساعد وفلان يكون محفظ وفلان يكون داعية وفلان يكون حاكم، النبي –عليه الصلاة والسلام– أقام أخوة الإسلام، إن يا جماعة العلاقات بتُقام أولا قبل العمل، الأخوة وبعدين العمل؟ ولا العمل وبعد كده الأخوة تيجي؟ العلاقات بتقام قبل العمل، النبي آخى بين المهاجرين والأنصار، لما آخى بين المهاجرين الأنصار بدأ تنطلق بعد ذلك لما بقى فيه مجتمع قوي بقى فيه مجتمع متماسك بقى فيه علاقات قوية بقى فيه نفوس سوية بقى فيه أخلاق واضحة "أفْشوا السَّلامَ، وأَطعِموا الطَّعامَ، وصَلوا باللَّيلِ والناسُ نيامٌ، تَدْخُلوا الجَنَّةَ بسَلامٍ"[53]، لما بقى فيه إفشاء للسلام بقى فيه إطعام للطعام بقى فيه لين في الكلام، فيه واحد كلامه لين وفيه واحد كلامه بينتش، يعني كلامه تحس إن انت قاعد بتتكلم مع واحد هو بيرد رد نتش كده، وفيه واحد بيرد رد شديد رد غليظ، وفيه واحد رده لين سهل، وده ينبغي إن يكون بين أهل الإيمان بعضهم وبعض.

طب ما فيه أخطاء بتحصل، ماشي إيه المانع إن احنا نواجه الأخطاء؟ إيه المانع إن احنا نواجه الأخطاء بالعلم؟ إيه المانع إن احنا نقول لفلان: والله أنا مقدر إن انت بتعمل كذا وكذا وكذا ولكن فيه مخالفة شرعية؛ ربنا –سبحانه وتعالى– قال كذا، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال

[53] صحيح ابن ماجه

كذا، وما ينبغيش إن احنا نعمل كذا. ممكن هو يقول لك: لأ انت مش واخد بالك أنا عملت كذا عشان كذا أحيانًا، الإنسان بيختار المفسدة الأقل لإن فيه مفسدة أعظم، واحنا قاعدين بمزاجنا حلو وقاعدين بنحكم؛ بنحكم على الأبيض والأسود، لكن أحيانًا بيكون اللي خد اختيار هو خد اختيار لإن هو كان قدامه أسود وأسود أوي، كان قدامه أبيض منقط أسود وأسود فاختار الأبيض منقط أسود، هو يعلم إن فيه شر لكنه ما كنش قدامه إلا ذلك.

فهنا نقطة مهمة يا جماعة إن احنا أُمرنا إن احنا نجتمع، وأمر الأنبياء بالاجتماع، وأُمرت الأمة بالاجتماع، وأُمروا بعدم التفرق وأُمروا بعدم الاختلاف، والنبي –عليه الصلاة والسلام– بيقول: "اقْرَؤُوا القُرْآنَ ما ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنْه"[٥٤]، النبي –عليه الصلاة والسلام– بيحذر يا جماعة إن احنا ما ينفعش إن احنا نختلف على القرآن، لإن لو اختلفنا على القرآن هيحصل إيه؟ هيحصل نوع من أنواع الزعل، ممكن الموضوع يتضخم عند واحد فيبدأ يحصل إيه؟ يبدأ يحول الاختلاف ده إن هو يفرق به الناس، وده من الأشياء المذمومة في الشرع، ومن الأشياء اللي النبي –عليه الصلاة والسلام– حذر منها وقال لما تكلم عن خوارج وتكلم في صفتهم وقال إن هم لم يؤتوا من قِبَل عبادتهم، دول أصحاب عبادة عظيمة جدًا، ولم يؤتوا من قبل قراءتهم للقرآن، إنما يقرأون القرآن ويحفظون القرآن أكثر من حفظ الصحابة، يدندنون بالقرآن بالليل والنهار يصنع لهم طنين، يعني تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم، وقراءتكم إلى قراءتهم بيصلوا وبيقرأوا وبيعيطوا في الصلاة وكل حاجة، لكن عندهم مشكلة في دماغهم، عندهم مشكلة في أفكارهم، عندهم مشكلة في تصوراتهم، إن هم جعلوا أفكارهم هي المعيار، لم يتحاكموا إلى معيار الشرع إنما جعلوا معيار الأفكار، حتى حاكموا النبي –عليه الصلاة والسلام– من أفكارهم بيقولوا للنبي –عليه الصلاة والسلام–: اعدل. تخيلوا! هو شايف العدل بدماغه. يا ابني هو أصلًا مستوى العدل هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، وأعلى درجات العدل وأعلى تطبيق للعدل في هذه الدنيا هو النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–، لكنه هو اعتبر إن لفظ العدل في القرآن وفهمه على دماغه وبدأ يحاسب الجميع على هذا الهوى وهذا الرأي.

محتاجين يا جماعة نعيد مرة أخرى تقييم لمسألة الصف، ازاي نقيم صف بينا وبين الناس، ازاي تكون علاقة اللي شغالين في الدين علاقات متماسكة، علاقات فيها دعاء وفيها ترابط وفيها تعاضد وفيها تكامل وفيها تناصر وفيها ستر العورات وفيها نصيحة ونصيحة قوية، مش عايزين الناس لما تكون بنقول علاقة صف يعني الناس تطبل لبعض، يعني الناس لما تشوف غلط تسكت وخلاص، تقول لك لأ أصل ده مننا وده علينا، مفيش الكلام ده.

إنما ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ" عبس١:٤، ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول في القرآن: "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" الحاقة٤٤:٤٧، تخيلوا ربنا بيقول لو النبي –عليه الصلاة والسلام– قال كلمة غلط علي "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ"، تخيلوا ربنا –سبحانه وتعالى– بيعاتب النبي –صلى الله عليه وسلم– من فوق سبع سماوات في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة أمام الجميع؛ أمام الكفار وبيقول: "عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ".

مش معنى علاقة الصف إن احنا نسكت عن أخطاء، إنما علاقة الصف: علاقة تماسك، علاقة تناصر، علاقة تعاضد، علاقة حب، علاقة سند، علاقة ستر العورات، علاقة حب حقيقي، علاقة تعاون؛ أعين أخويا قدر استطاعتي، مش أتمنى إن العمل ده يتهدم والعمل ده يسقط ده يضيع، وأتمنى إن فلانة تضيع لإن هي مش شغالة معايا وما بتسمعش لشيختي، وأصل هي تصوراتها غير تصوراتي وأفكارها غير أفكاري، إنما نضع كل شيء في معياره، ويجعل المعيار الرئيسي اللي بتبنى به العلاقات وبتفرق عليه العلاقات وبيوالى عليه ويعادى عليه هو الوحي، الوحي والوحي فقط.

---

[٥٤] صحيح البخاري

محتاجين نعظم كلام الله –سبحانه وتعالى–، محتاجين نجعل الوحي في حياتنا، محتاجين نجعل الوحي في علاقتنا، النبي –عليه الصلاة والسلام– وهو بيتكلم عن المسلمين بيقول: "حَقُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ سِتٌّ"[٥٥]، بيقول إن فيه ست حقوق بين أي مسلم والتاني، وتكلم عن علاقة المؤمنين اللي هي الناس اللي إيمانها اشتد وزاد والناس اللي بتشتغل في الدين والناس اللي بتجتهد للدين، المؤمنون "الذين آمَنوا باللهِ ورسولِه، ثُمَّ لم يَرْتابوا، وجاهَدوا بأموالِهم وأنفُسِهم في سبيلِ اللهِ"[٥٦]، أولئك هم الصادقون.

لما تكلم عن علاقة الإيمان قال: "أربعون خصلة بين المؤمنين أدناهن منيحة العنز" يعني إن واحد يترك سيارته أو واحد كان زمان في العرب يدي له عنزته، العنزة دي اللي هي الخروف أو معزته يحلبها لمدة مثلًا سنة يقول له خليها عندك استفيد بها، وبعد كده لما أنا احتاجها أو لو انت استغنيت عنها ابقى هاتهالي، ده من حسن العلاقة، ربنا –سبحانه وتعالى– ذم الذين يمنعون الماعون، الماعون ده اللي هو المواعين، الحاجة اللي بيستعان بها زي الحلة، الجار بيحتاج من جاره يقول له مثلًا عايز كذا عايز كذا، الأشياء والمستلزمات البيتية الحياتية اللي الناس بتستعملها في حياتها، ده ربنا ذم الناس اللي بتمنع الماعون، فإذا كان ده مع الجيران فكيف بالعاملين للدين؟

محتاجين في هذا الزمن الذي انتشر فيه الحقد والحسد والطمع والحرص والكبر والكذب محتاجين طوفان أخوة، محتاجين طوفان من التسامح بين العاملين للدين، محتاجين طوفان من التعاون والتناصر بين العاملين للدين، محتاجين ثورة أخلاق مرة أخرى بين العاملين الدين، محتاجين يبقى نقيم صف للعاملين الدين، مش معنى إن الشيخ فلان ما درسليش إن هو مش شيخ، ومش معنى إن فلانة مش بتشتغل في نفس الحاجة اللي أنا بشتغلها إن هي ما بتعملش حاجة في الدين، ومش معنى إن فلان مش شايف الثغر اللي أنا بشتغله إن هو ما بيعملش حاجة ومالوش أي قيمة ومالوش أي لازمة، هو بيعمل إيه أصلًا؟ بلاش النظرة الضيقة للدين، الدين يا جماعة أشمل وأوسع وأكبر، الدين للعالمين، كل إنسان ممكن يشتغل في الدين على قدره، ومفيش حاجة اسمها واحد في الدين مالوش مكان، مفيش حاجة اسمها واحد في هذه الأمة مالوش وظيفة، كل إنسان يستطيع إنه يخدم دين ربنا –سبحانه وتعالى– على قدره، كل إنسان يستطيع إنه يخدم دين ربنا على موهبته، كل واحد في الحياة له لازمة، وينبغي أن نقدر ذلك وألا نحتقر أي عمل للدين، ينبغي إن تكون العلاقة بين المسلمين علاقة صف، الناس اللي شغالة للدين ينبغي إن يكون بينهم علاقات قوية، يعني بلاش يبقى العلاقة بينا وبين بعض علاقة تسفيه، أحيانًا احنا ممكن نروح لشيخ ونجد الشيخ هو ضيق أصلًا، يعني هو دماغه كده أو نروح لأخت بتشتغل في الدعوة وتكون هي دماغها كده، وده مش معناه إن ده صح، إنما عادي، احنا بنستفيد الخير اللي عنده وبنعذره هو أيضًا، ممكن هو لم يتلقى هذا المفهوم، ممكن هو ما خدش باله، ممكن يكون هو عنده تضخم في حتة معينة، مش معنى كده إن احنا نسقطه، إنما نلتمس له العذر أيضًا ونفرح بما عنده ونأخذ ما عنده من الخير، لكن لا نتابعه على مسألة التقسيمات اللي بقى فيها نوع من أنواع الغلو، إن انت النهاردة بقيت ممكن تقعد مع واحد بيتكلم على الشيخ فلان، بعدين فجأة تلاقيه مثلًا بيتكلم كلام يعني واحد مش عايز يذكر أسماء في الواقع يعني لكن صراحة تقول له ده بأي معيار؟ ده بمعيار الدين؟ يعني الكلام اللي انت بتقوله ده أنا عايز فعلا أناقشه، عايز أناقشه على معيار الدين، تعال كده أناقشه على معيار قال الله قال الرسول، طيب عايز أناقشه على معيار أي معيار مجتمعي، انت بتجيب الكلام ده منين؟ هو ليس له معيار إلا الهوى، واللي بيتكلم به ده ممكن يكون واحد شيخ أو واحد داعي أو واحد ملتحي أو واحد قارئ أو واحد عنده باب من أبواب العلم هو متميز فيه، لكن مش معنى إنه متميز في باب من أبواب العلم إن هو يستطيع إن هو يقيم تصورات الشرع أو إن هو يفهم تصورات الشرع.

النهاردة يا جماعة عايزين نلقي الضوء على سورة الصف وعلى مسألة الاجتماع وعلى النهي عن التفرق، وطبعا ده كتير جدًا وموجود جدًا في كتير، أنا كنت عامل بحث عن التفرق وبحث عن الاجتماع وأسباب التفرق وأسباب تفرق الأمم السابقة، أسباب تفرق اليهود عن الأنبياء

---

[٥٥] صحيح مسلم

[٥٦] تخريج المسند

وأسباب تفرق اليهود مع بعضهم البعض وأسباب تفرق النصارى وده موجود في القرآن وربنا –سبحانه وتعالى– حذرنا من سلوك هذه الطريق: "..وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" الروم٣١:٣٢، وربنا حذرنا من طريق اليهود "فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ" المائدة:١٤، لكن ليس هذا موضعه.

لكن مهم جدًا يا جماعة إن احنا نحاول نقيم علاقات شرعية أصيلة مبنية على تصورات الشرع، محتاجين إن احنا نقف مع سورة الصف، محتاجين نقف مع حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– في الاجتماع، ونجتهد إن احنا قدر استطاعتنا إن احنا نجتمع.

شوفوا علماء العقيدة لما يصنفوا في العقيدة يقولوا أهل السنة والجماعة، يقول لك: هم أهل السنة بس؟ يقول لك: لا لا والجماعة. يعني إيه؟ يقول لك: لأنهم التزموا الجماعة، هم حريصين على الجماعة، حريصين على إن الناس تتجمع، حريصين على إن الناس تتجمع على السنة، حريصين على إن الناس تتجمع على الحق، حريصين على إن الناس تتجمع على الوحي، حريصين إن هم يعرفوا أماكن التجمع، مش بيفرقوا الناس.

عارفين أهل البدع بيسموهم إيه؟ يسموهم أهل البدع والتفرق، أهل الأهواء والآراء، يقول لك: هم بيسموهم أهل البدع والتفرق ليه؟ يقول لك: لإن كل واحد فيهم عمل بدعة وبدأ يفرق الناس حواليها، بدأ يمتحن الناس على شيء غير الذي أمر الله –سبحانه وتعالى–، واحد بيمتحن الناس يقول له تعالى انت بتقول إيه في كذا؟ تعالى انت بتقول إيه في فلان؟ تعالى انت رأيك إيه في كذا؟ إيه يا عم اللي انت بتقوله ده؟ هو انت مالك أصلًا؟ يحط رأيه أو فكرة أو تصور معين في دماغه ويبدأ يمتحن الناس عليها، أحيانًا بيكون الرأي ده رأي سياسي، أحيانًا يكون الرأي ده رأي في مسألة شرعية معينة، أحيانًا بيكون الرأي ده في اختيار حياتي معين، أحيانًا الرأي ده بيكون في شخص معين، ويبدأ يوالي ويعادي ويفسق ويبدع ويكفر على هذا الذي يراه هو أو يعظمه هو أو يضخمه هو.

الحقيقة لما تيجي تضع الأمر في معياره حقيقي تجد إن هذه القضية برمتها هي قضية من القضايا لكنها ليست القضية الأساسية التي ينبغي أن يتفرق الناس عليها، "وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" البينة:٤، فتفرقوا بعد بعثة النبي –صلى الله عليه وسلم– على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

حري بنا أن نقيم علاقات أصيلة، الكلام العملي يا جماعة محتاجين إن احنا ننظر إلى مجتمع العاملين للدين بأخطائهم بحلوهم ومُرِّهِم، ننظر إليهم بعين مختلفة عن العين الضيقة، محتاجين إن احنا نقيم علاقة الصف، محتاجين إن احنا نقيم العلاقات قبل الأعمال، بلاش نقيم الأعمال وبعد كده نقيم العلاقات، لإن ده بيؤدي إلى إن العلاقات بتدمر لو العمل توقف، وده من الأشياء المحزنة، بلاش نصد عن سبيل الله بسوء الأخلاق وسوء المعاملات بين الناس بعضهم وبعض وبالذات في العاملين للدين، خلينا يبقى عندنا رحمة ورفق ممكن ما نعرفش نشتغل مع بعض لكن ممكن نعرف نبقى أخوة وأخوات بيننا وبين بعض علاقات طيبة، أخوة بينهم وبين بعض علاقات طيبة وأخوات بينهم وبين بعض علاقات طيبة، مش لازم عشان ما عرفتش اشتغل مع فلانة إن أنا أعاديها وأشتم فيها وأتكلم عليها، مش لازم عشان ما عرفتش اشتغل مع فلان يكون هو عدوي، عادي جدًا إن أنا أحب له الخير، وأدعمه وأعينه لكن ما عرفتش أشتغل معاه، عادي جدًا انت ممكن أختك اللي هي نشأت معاكِ في نفس البيت وبينكم وبين بعض علاقات طيبة جدًا ما تعرفيش تشتغلي معاها، لكن بينكم وبين بعض حب وأخوة، مش لازم نربط ما بين الشغل والعلاقة، مش لازم لما نقيم علاقة تبقى العلاقة دي تبقى علاقة من منظور واحد، محتاجين نسمع بعض، محتاجين يبقى بيننا وبين بعض تماسك وتعاون وتناصر، العلاقة يا جماعة زي ما الإيمان قول وعمل واعتقاد كذلك الأخوة قول وعمل واعتقاد، محتاجين العلاقة دي يكون فيها بذل، ويكون فيها تضحية، يكون فيها إنفاق، يكون فيها كرم، يكون فيها عطاء، يكون فيها نصيحة، يكون فيها شجاعة، يكون فيها تحمل، مش إن والله العلاقة بيننا طيبة وبعدين أصل أنا محتاجة كذا، وبعدين تغيبي شهرين تلاتة وبعد كده أصل أنا محتاجة كذا، دي مش علاقة، ده مادية بحتة، ده انتفاع بحت، ولو حد عمل معاكي كده أنا أقولك تحمليه.

الناس يوم القيامة يتفاضلون عند الله –سبحانه وتعالى– ومن مواطن التفاضل العظيمة التي ينبغي إن تُلاحظ والتي نبه النبي –صلى الله عليه وسلم– عليها؛ الأخلاق، فقال: "إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا"[٥٧]، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. وجزاكم الله خيرًا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٥٧] صحيح الترغيب